



الجمهورية التركية
جامعة ماردين أرتوكلو
معهد اللغات الحية في تركيا
قسم اللغة والثقافة العربية

أساليب التنبؤ في القرآن الكريم دراسة نحوية وبلاغية

عيسى العيسى

19765019

د: أحمد كمي

ماردين 2022



T.C.

Mardin Artuklu Üniversitesi

Türkiye'de Yaşayan Diller Enstitüsü

Arap Dili ve Kültürü Anabilim Dalı

Yüksek Lisans Tezi

**Kur'an-ı Kerim'de Tembih Metodları
(Nahiv ve Belağat Açısından İnceleme)**

İSA ELİSA

19765019

Danışman

Doç. Dr. Ahmet GEMİ

Mardin 2022

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على مَنْ أُرْسِلَ بشيراً، ونذيراً، وسراجاً منيراً، وعلى آله وصحبه الأبرار وَمَنْ اسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ وعلى هديه سار، أما بعد:

فإنَّ من بلاغةِ الكلامِ ملاءمتهُ حالَ المخاطَبِ، فالمخاطَبُ سامعاً كان أم قارئاً قد تُعْتَرِيهِ غفلةٌ أو سهوٌ أو إعراضٌ عن الكلامِ المُوجَّهِ إليه، ومتى ما كان الكلامُ خالياً ممَّا يثيرُ الانتباهَ إليه ويجذبُ المداركَ صارَ مطروحاً لا فائدةَ تُرجى منه، فإذا رأيتَ القلوبَ تتعلَّقُ به والأبصارَ تشخصُ له فاعلمْ أنَّه قد جَمَعَ إلى معناه ما يُبَيِّهُ إلى فحواه، ولو سألَ سائلٌ: ما أساليبُ أو أسلوبُ التنبيةِ في اللغة؟ لجاءَ الجوابُ قاصراً عن مُبتغاهُ، لغيابِ الحديثِ عن التنبيةِ واقتصاره على ذكرِ بضعةِ حروفٍ تخرجُ لمعناه؛ "ألا" "أما" "ها"، ومن هنا جاءتْ هذه الدراسةُ لتبحثَ وتَسْجَلِيَّ أساليبَ التنبيةِ في اللغةِ والقرآن، تحتَ مسمى "أساليبِ التنبيةِ في القرآن الكريم"، باعتباره أهمَّ مصادرها في الاحتجاج، ولما أودَعَهُ اللهُ من الفصاحةِ والبلاغةِ التي تفوقُ سواه، ولعمومِ خطابهِ وتنوعه، فهو خطابُ الخالقِ إلى خَلْقِهِ على تعددِ مذاهبيهم وتنوعِ مشاربيهم، بسماعِهِ تقومُ الحجَّةُ وتنقطعُ المعذرةُ، وإنَّ نصّاً تقومُ الحجَّةُ به ببلوغه السمعَ حريٌّ به أن يُوقِظَ سامعَه من غفلتهِ وسهوتهِ ويجذبَ المُعْرِضَ والمُعَانِدَ لِيَسْتَنْكِرَ منه فتحشعَ القلوبُ وتُدَعَنَ العقولُ له، ولم يجدِ الكافرون المعاندون سبيلاً للخلاصِ من سطوتهِ إلا بصمَّ الأذانِ عنه والتشويشِ عليه، فخلدَ اللهُ مَقُولَتَهُمْ بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 26].

ويتطرقُ البحثُ لجملةٍ من المسائلِ أعطته أهميته وتكمنُ في تناوله التنبيةِ كوظيفةٍ لغويَّةٍ تُؤدِّي بِأساليبَ شتى منها النحويِّ ومنها البلاغيِّ، وتناولِ هذه الوظيفةِ في القرآن العظيم بكامله، وجمَعِ ما تشبَّهت من الأقوالِ فيها، وصولاً من ذلك إلى أهمِّ الأساليبِ ضلوعاً فيه وهي أساليبُ الإنشاءِ الطلبيِّ، تليها المفاجأةُ المتولدةُ من مخالفةِ المألوفِ المُنتظرِ والمسماةِ بالعدولِ اصطلاحاً، ثمَّ الأدوات التي دُكِرَتْ للتنبيةِ (ألا) و(ها) في ظلِّ غيابِ (أما) عن الذِّكْرِ في القرآن الكريم، وهذا ما جعلَ البحثَ أقربَ للبلاغةِ منه إلى النحو، مجيباً بهذه الدراسة عن جملةٍ من التساؤلاتِ تمحورت حول وظيفة اللغة الأساسية والوظائف التي تنفرع عنها وصلة التنبية بها، وهل التنبية مقتصر على أداتين أو ثلاث فحسب كما هو مستقر عند الأغلب، أم أن له أساليبَ أخرى؟ وهل المعاني

التي تضمنتها تلك الأدوات تفيد التنبيه في غيره كمعنى الطلب؟ وهل لخروج اللغة عن الشائع المؤلف دور في تحفيز المتلقي ولا سيما في نص معجز كالقرآن العظيم؟ ومما رغبت في اختيار هذا البحث في المقام الأول صلته بالقرآن الكريم، الذي أشرف بأن أكون ممن يدرس لغته وبلاغته وعظيم أساليبه التي أعجزت الخلق عنهم وإنسهم أن يأتوا بمثله، لتأتي قلّة الأبحاث والدراسة في التنبيه في المقام الثاني لاختياره، وحصر تلك الأبحاث في أدوات التنبيه دون التطرق لدور الأساليب البلاغية في التنبيه، أمّا عن الصعوبات في البحث فكانت التعامل مع نص مقدس ليس لك حرّية الخوض والقول فيه إلا بالضوابط الشرعية التي قد تضيق بعض الواسع في النصوص الأخرى.

والبحث فيه من الجديد الشّيء الكثير، فلم يسبق - كما أحسب - بدراسة تجمع الذي جمّع من متفرقات أساليب التنبيه مع قصوره عن استيعابها كلها، فضلاً عن شموله للنص القرآني، وذلك أنّ أغلب الدراسات التي سبقت كانت تركز على حروف التنبيه لا أكثر وقد تُضيف بعضها أسلوباً هنا أو ظاهرة هناك، ومن هذه الدراسات:

- (الوظيفة التنبيهية في سورة البقرة)، رسالة مُقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، إعداد الطالب: موهوب أحمد، ركزت الدراسة على أدوات التنبيه في سورة البقرة، وذكرت الحروف المقطعة، والتكرار، وهمزة الاستفهام، في جملة ما يفيد التنبيه في السورة.
- (التنبيه في اللغة) بحث في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في نحو ثلاثين صفحة، كتبه الدكتور: عبد الفتاح محمد، ربط فيه بين التنبيه ووظائف اللغة، وأشار إلى أساليب في التنبيه كأسماء الإشارة، والانتفات، والتقديم والتأخير، والكناية، وبعض المفردات.
- (الوظيفة التواصلية لحروف التنبيه في اللغة العربية) رسالة قدّمت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة وهران، إعداد الطالبة: مسلم سومية، عرض البحث لحروف التنبيه ودورها في العملية التواصلية مُطبّقةً ذلك على ديوان: محمد العيد آل خليفة.
- (أحرف التنبيه في القرآن الكريم) بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في النحو والصرف، جامعة أم درمان الإسلامية، إعداد الطالب: حبيب الله عبد الرحيم محمد صالح، ناقش البحث معاني أحرف التنبيه وبساطتها وتركيبها ومدخولها في القرآن الكريم.

وقد سلكتُ في البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بالوقوف على كل أسلوب أو ظاهرة بشيء من الإيجاز في اللغة، ومن ثمّ رصدها في القرآن الكريم، وإظهار هيتها والسبل التي سلكتها، وأقوال أهل العلم فيها، مُبيناً كيف أثرت في الكلام الذي جاءت فيه وتعدت به إلى المُتلقي.

وقام البحثُ على مقدّمةٍ ومدخلٍ وفصلين وخاتمة، بيّنتُ في المقدّمة أهميّة الموضوع وصُعوبته وأسباب اختياره وبعض الدراسات التي سبقته، بالإضافة إلى المنهج المُتبّع فيه والخطّة التي سار عليها.

المدخل تناولتُ فيه الحديث عن الوظيفة التواصلية للغة والوظائف المتفرعة عنها وجذورها في الموروث البلاغيّ وأقوال المحدثين فيها، وفصلت القول في الوظيفة التنبيهية بعض الشيء، وانهيته بالتعريف بالتنبيه في اللغة والاصطلاح.

أمّا الفصل الأوّل (أسلوب التنبيه النحوي) فقد أفردته للحديث عن أدوات التنبيه، المبحث الأوّل كان للأداة (ألا) تكلمت فيه عن خصائصها وأقوال العلماء فيها من حيث بساطتها وتركيبها ووظيفتها في الكلام وبعض أمثلتها في القرآن الكريم، المبحث الثاني للأداة (أما) وكذلك تكلمت فيه عن خصائصها وبساطتها وتركيبها، ووظيفتها، وذكرتُ أنّه لم يأت لها ذكرٌ في القرآن الكريم، المبحث الثالث الأداة (ها)، تكلمت فيه عن دخولها على أسماء الإشارة و (أي) التي للنداء والضمائر.

أما الفصل الثاني فقد كان للتنبيه البلاغي الذي قسمته إلى قسمين تنبيه مباشر وغير مباشر، انفرد القسم الأوّل بالحديث عن التنبيه المباشر وهو أساليب الإنشاء الطلبي، تناولتُ في المبحث الأوّل النداء وصلته بالتنبيه والأداة المستخدمة وطبيعة المنادى، وكان المبحث الثاني للاستفهام ودار أكثر الكلام فيه عن دور الهمزة ومدخولها الذي عزز التنبيه فيها، وجاء المبحث الثالث جامعاً بين الأمر والنهي وبيّنتُ فيه دورهما في التنبيه من خلال جملة من المسائل من ضمنها تكرار بعض الأفعال وتتابعها، أمّا المبحث الرابع والأخير فكان للتمني، فذكرتُ كل أمثلته في القرآن الكريم التي اقترنت كلاً بالنداء وهو ما جعل الكلام عليه مختصراً.

والقسم الثاني (التبنيه بالعدول) التبنيه غير المباشر، جاء في ثلاثة مباحث: المبحث الأول مفهوم العدول وضابطه وهدفه عرفت فيه العدول وبيّنت معيار قبوله والغاية منه، المبحث الثاني العدول الصوتي وتكلمت فيه عن الحروف المقطعة والفاصلة القرآنية والتكرار، المبحث الثالث العدول التركيبي تكلمت فيه عن الالتفات والتقديم والتأخير والحذف والرسم القرآني.

الخاتمة أجملت فيها أهمّ النتائج التي خلّص إليها البحث.

وأتوجّه بالشكر لكلّ من كان له فضلٌ في إتمام هذا البحث وفي مقدّماتهم د. عامر الجراح و د. أحمد كمي، اللذان أشرفا على هذا البحث وقدمّا لي النصّح والإرشاد، وكما أتوجّه بالشكر للأساتذة الكرام في جامعة ماردين وأخصّ بالذكر د. خالد العدواني، ود. ويسى، ود. عبد الغفور الصيادي، ود. إبراهيم الشيلي، ولا أنسى من الشكر د. إسلام جانكير، و د. خالد خالد أعضاء لجنة التحكيم.

وأرجو من الله أن أكون قد وفّقت فيما سعيتُ إليه، وحسبي أنّي حاولتُ وبذلتُ كلّ وسعي فإنّ أصبّتُ بفضلٍ من الله أحمدهُ عليه وإنّ أخطأتُ أو قصرتُ فمن العبدِ الفقيرِ وأسألهُ أن يتجاوزَ عني بعفوه وكرمه.

عيسى العيسى

2022

المُلخَصُ

فَصَدَتْ هَذِهِ الدَّرَاسَةُ بَيَانَ الأَسَالِيبِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَجَذِبُ انْتِبَاهَ المُتَلَقِّي وَتُوقِظُهُ مِنْ غَفَلَتِهِ، وَذَلِكَ بِدِرَاسَةِ "أَسَالِيبِ التَّنْبِيهِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ" لِكُونِهِ أَرْقَى وَأَفْصَحَ وَأَبْلَغَ نَصٍّ فِي العَرَبِيَّةِ، وَحَاوَلَتْ الدَّرَاسَةُ تَوْجِيهَ الأَنْظَارِ إِلَى التَّنْبِيهِ بِاعْتِبَارِهِ وَظِيفَةً لُغَوِيَّةً قَلَّ أَنْ يَخْلُوَ مِنْهَا كَلَامٌ، وَهَذِهِ الوَظِيفَةُ لَهَا صِلَةٌ بِأَسَالِيبِ كَثِيرَةٍ مِنْهَا النَّحْوِيُّ وَمِنْهَا البَلَاغِيُّ، وَحَازَ التَّنْبِيهِ البَلَاغِيُّ نَصِيباً أَوْفَرَ مِنْ نَظِيرِهِ النَّحْوِيِّ؛ لِكثْرَةِ الأَسَالِيبِ البَلَاغِيَّةِ الَّتِي تُؤَدِّي الوَظِيفَةَ التَّنْبِيهِيَّةَ وَقَلَّةِ الكَلَامِ عَلَيْهَا، عَلَى نَقِيضِ النَّحْوِيِّ فَقَدْ كَثُرَ الكَلَامُ فِيهِ مَعَ اقْتِصَارِهِ عَلَى بَضْعِ أَدْوَاتٍ غَابَ ذِكْرُ إِحْدَاها فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَجَاءَ التَّنْبِيهِ البَلَاغِيُّ عَلَى ضَرَبَيْنِ؛ مَبَاشِرٍ: يُمَثِّلُهُ الإِنْشَاءُ الطَّلْبِيُّ، وَغَيْرِ المَبَاشِرِ: وَيُمَثِّلُهُ العُدُولُ.

وَتَوَصَّلَتْ الدَّرَاسَةُ إِلَى أَنْ الإِنْشَاءَ الطَّلْبِيَّ أَوْثَقُ الأَسَالِيبِ صِلَةً بِالتَّنْبِيهِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، لِمَا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الطَّلْبِ وَالهَيْئَةِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَيْهَا تِلْكَ الأَسَالِيبُ، فَالنداءُ اقْتَصَرَ عَلَى الأَدَاةِ "يَا"، وَالاستفهامُ شَعَلَتْ "الهمزة" شَطْرَ أَسَالِيبِهِ وَشَكَّلَتْ مَعَ بَعْضِ الحُرُوفِ وَالأَفْعَالِ صَيْغاً أَشْبَهَ بِأَدْوَاتِ التَّنْبِيهِ، وَالأَمْرُ وَالنَهْيُ إِلَى جَانِبِ مَعْنَى الطَّلْبِ الجَازِمِ فِيهِمَا جَاءَتْ غِزَارَةُ أَسَالِيبِهِمَا وَتَكَرَّرَ بَعْضُ صَيْغِهَا مَعَزَّةً دَوْرَهُمَا فِي التَّنْبِيهِ، وَكَانَ لاقْتِرَانِ التَّمْنِي بِالنِّدَاءِ دَوْرٌ فِي صَرْفِهِ لِلتَّنْبِيهِ.

وَتَمَثَّلَ التَّنْبِيهِ بِالعُدُولِ بِالمُفَاجَأَةِ الَّتِي تَحْدُثُ لِلْمُتَلَقِّي مِنْ وَرَاءِ تَلَقِّيهِ المُتَنظَّرِ عَلَى غَيْرِ مَا يَنْتَظَرُ، وَهَذَا العُدُولُ قَدْ يَكُونُ صَوْتِيّاً كَالْحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ وَالفَاصِلَةِ القُرْآنِيَّةِ وَالتَّكَرُّرِ، وَقَدْ يَكُونُ تَرْكِيبِيّاً كَالأَلْتِفَاتِ فِي الضَّمائِرِ وَالعَدَدِ وَالزَّمَنِ، أَوْ بِتَقْدِيمِ وَتَأخِيرِ بَيْنِ أَجْزَاءِ الكَلَامِ، أَوْ بِحَذْفِ بَعْضِ أَجْزَاءِ الكَلَامِ، أَوْ بِتَغْيِيرِ بَعْضِ رُسُومِهِ.

الكلمات المفتاحية:

القُرْآنِ الكَرِيمِ، التَّنْبِيهِ، البَلَاغَةُ، الوَظِيفَةُ، أَسْلُوبِ، الطَّلْبِ، العُدُولِ

ÖZET

Bu inceleme, okuyucunun dikkatini çeken ve onu gaflet uykusundan uyandıran dilsel üslupların açıklanmasını hedeflemektedir. Bu hedef, “*Kur’ân-ı Kerîm’deki uyarı üslupları*” incelenerek gerçekleştirilecektir. Çünkü Kur’ân-ı Kerîm, Arapçadaki en yüksek, en fasih ve en beliğ metindir. Bu inceleme, kendisinden sık sık bahsedilen dilsel bir görev olması itibarı ile dikkatleri bu uyarıya çekmeye çalışmaktadır. Bu görevin, pek çok üslup ile bağlantısı vardır. Nahve (*gramere*) ve belagate dair üsluplar bu sayılan üsluplar içerisinde yer almaktadır. Belagate dair uyarı, eş değeri olan nahve dair üsluptan daha çok ilgi çekmiştir. Bunun sebebi, uyarı görevini yerine getiren belagat üsluplarının çok, bu konuda söylenen sözün ise az olmasıdır. Nahve dair üslup ise bunun tam tersi olup, içlerinden birinin Kur’ân-ı Kerîm’de bulunmadığı birkaç araçla sınırlı olmasına rağmen hakkında çok söz söylenmiştir. Belagatlı uyarı iki çeşit üzere gelmiştir; direkt ve indirekt. Direkt olanı “*talebî inşâ*” (*isteme ânında mevcut olmayan bir şeyi gerektiren istek*), indirekt olanı ise “*udûl*” (*dildeki yerleşik tarzı bırakarak daha etkili yeni bir ifade tarzına geçmek*) temsil etmektedir.

Bu inceleme, talebî inşânın, Kur’ân-ı Kerîm’deki uyarma konusu ile bağlantı açısından en sağlam ve en güvenilir üslup olduğu sonucuna varmıştır. Çünkü onda “*istek*” anlamı ve üzerinde bu üslupların geldiği bir gövde vardır. Nidâ, “*yâ*” edâtı ile sınırlıdır. İstifham (*soru*), üslupları doğrultusunda “*hemze*”yi kullanmış, bazı harf ve fiillerin yardımıyla tenbih/uyarı edatlarına benzeyen biçimler (*kipler*) şekillendirmiştir. Emir ve nehyde (*olumsuz emirde*), içlerinde yer alan kesin istek anlamının yanı sıra onların pek verimli üslupları ve bunların uyarma hususundaki rollerini güçlendiren bazı biçimlerinin tekrarı gelmiştir. Temennînin (*dilemenin*) nidâ ile birlikte kullanımının, onun uyarmaya yönelik çekiminde rolü olmuştur.

Uyarı/Tenbih, udûl ile, alıcı/okuyucu için beklenen telakkisinin ötesinde, beklenmeyen biçimde oluşan, sürpriz olarak gelişen bir biçimle temsil olunmuştur. Bu udûl, hurûf-u mukatta’,

Kur'ân âyetlerinin son kelimeleri ve tekrarlama gibi sesli de olabilir; zamirler, sayı ve zamandaki yönelim ile veya sözün parçaları arasında takdîm (*öne alma*) ve te'hîr (*erteleme*) yapma ile veya sözün bazı parçalarının hazfedilmesi (*gizlenmesi*) ile ya da bazı şekillerinin değiştirilmesi ile terkipsel (*bileşimsel*) de olabilir.

Anahtar Kelimeler:

Kur'ân-ı Kerîm' – tenbih – belagete – görev – üsluplu– istek –udûl.



ABSTRACT

This study aimed to show the linguistic methods that attract the attention of the recipient and wake him up from his negligence by studying “Methods of Warning in the Holy Qur’an” because it is the finest, most eloquent and most eloquent text in Arabic. The study tried to draw attention to the alert as a linguistic function that is rarely devoid of words, and this function is related to many methods, including grammatical and rhetorical, and rhetorical alert has a greater share than its grammatical counterpart; Due to the large number of rhetorical methods that perform the evoking function and the lack of talk about them, in contrast to the grammatical system, many talk about it with it being limited to a few tools, one of which was not mentioned in the Holy Qur’an, and the rhetorical warning came in two forms; Direct: represented by the order construction, and indirect: represented by the abandoning.

The study concluded that the order composition is the most closely related to the alert in the Holy Qur’an, because of the meaning of the request and the form on which these methods came. The call was limited to the tool “O” and the interrogation occupied the “hamza” half of its methods and formed with some letters and verbs formulas similar to the alert tools, the command and the prohibition besides the meaning of the assertive demand in them came the abundance of their methods and the repetition of some of their formulas reinforcing their role in alerting, and the association of wishful thinking with the call had a role in disbursing the alert.

The alert by abandoning is represented by the surprise that occurs to the recipient behind his expected reception other than what he expected, this abandoning may be phonetic, such as the syllable letters, the Qur’anic comma, and repetition, and it may be structural, such as paying attention in pronouns, number and time, or by introducing or delaying between parts of speech, by omitting some parts of speech, or by changing some of its drawings.

KEY WORDS

The Holy Quran, The Alert, The Rhetorical, The Function,
Style, The Request, Order,



محتويات البحث

I.....	المُقدِّمة
V.....	المُلخَّصُ
VI.....	ÖZET
VIII.....	ABSTRACT
X.....	محتويات البحث
1.....	1. المدخل
1.....	1.1. وظائف اللغة وصلة التنبيه بها
1.....	1.1.1. الوظيفة التواصلية والوظائف المتفرعة عنها
6.....	1.1.2. الوظيفة التنبيهية
7.....	1.1.3. مفهوم التنبيه لغةً واصطلاحاً
10.....	2. أسلوب التنبيه النحوي
10.....	2.1. حروف التنبيه
11.....	2.1.1. ألا
17.....	2.1.2. أما
19.....	2.1.3. ها التنبيهية
24.....	3. أساليب التنبيه البلاغية
25.....	3.1. التنبيه بالإنشاء الطلبي (التنبيه المباشر)
25.....	3.1.1. النداء
49.....	3.1.2. الاستفهام
69.....	3.1.3. الأمر والنهي
84.....	3.1.4. التمني
87.....	3.2. التنبيه بالعدول (التنبيه غير المباشر)
88.....	3.2.1. مفهوم العدول وضابطه وهدفه
91.....	3.2.2. العدول الصوتي

108.....	3.2.3. العدول التركيبي
130.....	4. الخاتمة
134.....	5. المصادر والمراجع



1. المدخل

1.1. وظائف اللغة وصلة التنبيه بها

لا ريبَ أنّ أيّ لغةٍ وُجِدَتْ، ما وُجِدَتْ إلّا لتكونَ وسيلةً للتواصلِ بين من ينطقون بها، ولتعبّر في المقام الأول عن حاجاتهم، ولهذا تتعدّم الفائدةُ من اللغة عند الجاهل بها، ولا تغدو عنده أكثر من طلاسَمَ و أصواتٍ غيرِ مفهومةٍ، متجردةٍ من مهمّتها الأساسية؛ ألا وهي تحقيقُ التّواصل، وليس بادلًا على هذا الكلام أكثر من العجز عن فهم كلام مَنْ تُجهلُ لغته ليس من البشر فحسب بل حتّى الكائنات الأخرى، فمعلومٌ أنّ الله قد خصّ كلّ كائنٍ بوسيلةٍ أو لغةٍ يُعبّرُ بها عمّا يريدُه، وتكون وسيلةً تواصله مع أبناء جنسه، وجهلُ الجاهلِ بتلك اللغة أو الوسيلة لا يقتضي انعدامها، فهذا سيدنا سليمانُ عليه الصّلاة والسّلامُ، علّمه الله منطِقَ الطّير، فكان قادرًا على التّواصلِ معها، وقد جاءَ ذِكْرُ ذلك في القرآن الكريم في قصته مع الهدد الذي جاءه نبياً سبأً، بل سمع قولَ نملةٍ فتبسّم ضاحكاً من قولها، فالمهمّةُ الأساسيّةُ للغة هي تحقيقُ التّواصل.

لقد ركزت كثيرٌ من الدراسات الحديثة في دراستها للغة على دراسة وظائفها، فاللغة بناءٌ واستعمالٌ، فهي بناءٌ من حيث شكلها، واستعمالٌ من حيث وظيفتها في المجتمع، وقد درس العلماء اللغة في جانبها الصّوري، فننح عن ذلك دراسات صوتيّة، وصرفيّة، ونحويّة، ومُعجميّة، أما في جانبها الوظيفي الاستعمالي فقد درسوا وظائفها¹ وانتهوا إلى أنّ وظيفة اللغة الأساسية هي تحقيقُ التّواصل.

1.1.1. الوظيفة التواصلية والوظائف المتفرعة عنها

تطلق الوظيفة على مسميات كثيرة وهي منزعة من معاني لغوية متقاربة تدل على الاستمرار والإلزام، وقد جاء في لسان العرب: أن الوظيفّة من كلّ شيء: ما يُقدّر له في كلّ يومٍ من رزقٍ أو طعامٍ أو علفٍ أو شرابٍ، وجمّعها الوظائفُ والوظُفُ، ووظفَ الشيء على نفسه

¹ حاقّة عبد الكريم، الوظائف اللغوية وتطبيقاتها في القرآن الكريم، المنهل، 2019م، المجلد: 5، العدد: 1، 31.

ووظفَهُ تَوْظِيفاً أَلَزَمَهُ إِيَّاهُ²، ويمكن تلخيصه؛ بأنه العمل المقدر الذي يلتزمه صاحبه أو يلزم به نفسه، أو يلزمه به غيره، بحيث يترتب عليه متابعته والالتزام به بشكل مستمر.

وتُعرَّف الوظيفة في الاصطلاح: بأنها «المنزلة التي يتبوؤها كلّ عنصرٍ من عناصر الكلام، كالوحدة الصوتية، والوحدة الصرفية، والكلمة والتركيب في البنية النحوية للملفوظ»³، ولعل المقصود بالوظيفة هو الاستعمال على حد أبسط معانيها.

أمّا التواصل: فهو عملية ارتباطٍ وتوافقٍ بين جهتين على الأقلٍ بهدف المنفعة المتبادلة، وله أشكال كثيرة، لعل أرقها وأوسعها انتشاراً، التواصل اللساني أو اللغوي بأنواعه المقروءة أو المسموعة، وكلما كانت اللغة معبرة عن حاجات ناطقها، مفهومةً من متلقّيها، كان التواصل أنجح وأنفع، وحول هذه الخاصية للغة كانت تدور تعريفات اللغة والبلاغة والبيان عند القدماء والمحدثين، مركزين في المقام الأول على خاصية التواصل، فابن جني (ت.392هـ) يعرف اللغة بقوله: «وأمّا حدّها فأصواتٌ يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم»⁴، فاللغة عند ابن جني هي حلقة الاتصال بين المتكلم والسامع للتعبير عن حاجاتهم.

أما ابن سنان الخفاجي (ت.466هـ) فيقول: «ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهراً جلياً، لا يحتاج إلى فكرٍ في استخراجه، وتأملٍ لفهمه، والدليل على ذلك أنّه غير معنيّ بذاته، إنّما احتاج الناس له ليعبروا عن أغراضهم، ويفهموا ما استقر من معانٍ في نفوسهم»⁵، وإلى مثل هذا يذهب أبو هلال العسكري (ت.395هـ) في قوله: «إنّ البلاغة كل ما تُبلِّغ به المعنى قلب السامع، فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورةٍ مقبولةٍ ومعرضٍ حسن»⁶.

² ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، مادة (وظف)، دار صادر بيروت، 1992م.

³ صالح بلعيد، النحو الوظيفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، 6.

⁴ ابن جني: أبو الفتح عثمان، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، غت، 34/1.

⁵ ابن سنان الخفاجي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 1982، 220 \ 221.

⁶ أبو هلال العسكري، بن عبد الله بن سعيد بن سهل بن يحيى، الصناعتين، ت: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، 1419هـ، 10.

وإذا انتقلنا إلى صاحب البيان "الجاحظ" (ت255هـ) وجدنا التواصل يتجسد عنده من خلال الإبانة عن المعاني حيث يقول: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يحترق القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأفهمت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»⁷ ويقول أيضاً: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني، من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد؛ أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة»⁸.

وبناءً على ما تقدم بيانه يتضح أن العرب نظروا إلى اللغة باعتبارها قناة اتصال، وظيفتها الأولى تحقيق التواصل بين ناطقيها، إلا أنهم - والحق يقال - لم يحددوا تلك الوظيفة وبيّنوا معالمها كما فعل علماء الغرب في العصر الحديث، فقد حددوا العملية التواصلية من خلال تحديد عناصرها بطريقة أكثر علمية، وهذا ما نلمسه عند علماء اللغة أمثال؛ دي سوسير، ومارتينيه، وجاكسون.

دي سوسير في معرض حديثه عن كيفية التخاطب اللساني، تجسد عنده أن اللغة ما هي إلا علامات وإشارات هدفها التواصل، وعملية التواصل والتبليغ هذه تحتاج إلى باثٍ ومثلق وقناة لتبليغ أو نقل المرسل اللغوية⁹.

مارتينيه يرى أن «إحدى وظائف اللغة الاتصال، وهي الوسيلة التي تسمح لمستعملها بالدخول في علاقات مع بعضهم بعضاً، وهي التي تضمن التفاهم المتبادل بينهم»¹⁰، فاللغة عنده لها عدة وظائف.

⁷ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، ت عبد السلام هارون، دار ومكتبة الهلال بيروت، 1423هـ، 82.

⁸ ن. م، 82.

⁹ فاطمة الزهراء صادق، التواصل اللغوي ووظائف عملية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، مجلة الأثر، العدد 28، 2017م، 53.

¹⁰ عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة الجزائر، ط1، 2003م، 80.

أما رومان جاكبسون فهو المُنظَرُ الحقيقي لنظرية التواصل اللغوي، لأنه استطاع الإلمام بجميع العناصر التي تقوم عليها العملية التواصلية، مع تحديد الوظائف المنوطة بكل عنصرٍ منها، وقد حددها بستة عناصر، وستة وظائف:

المرسل: القطب الأول في عملية التواصل وهو من يعنى باختيار المرجع والقناة والشيفرة للرسالة التي يود تبليغها، ووظيفته تعبيرية كما حددها جاكبسون، تعبر عن موقف المرسل من الموضوع الرسالة¹¹.

المرسل إليه: أو مستقبل الرسالة وهو القطب الثاني في عملية التواصل ووظيفته إفهامية تظهر عندما يكون الاتصال هدفاً لإحداث تأثير على المتلقي (المرسل إليه)¹².

القناة: أو صلة الوصل ووظيفتها انتباهية¹³.

المرسلة: وهي مضمون وموضوع الخطاب في عملية التواصل اللغوي، ويشترط فيها أن تكون ملائمة للمرجع والمستقبل، ووظيفتها شعرية وغرض هذه الوظيفة تطوير شكل المرسلة بذاتها¹⁴.

السياق: الشفرة أو الوسيط الحامل لمضمون الرسالة، ووظيفته مرجعية تؤيد الأخبار الواردة في الرسالة وتكون اللغة حينها بمثابة رمز يومي إلى ما يراد تبليغه¹⁵.

11 عبد الكريم، 2019م، 43.

12 ليلي زيان، عملية التواصل اللغوي عند رومان جاكبسون، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، العدد 1، 97.

13 ن. م. 98.

14 ن. م. 100.

15 ن. م. 98.

القانون: أو السنن وهو البنية التي يحيل إليها الخطاب، ووظيفته ما وراء اللغة¹⁶ ومحور هذه الوظيفة الكلام عن اللغة بواسطة اللغة.

لقد استطاع جاكبسون أن يحدد عناصر العملية التواصلية بنوع من الدقة، مع إضافة وظيفة لكل عنصر، إلا أنّ تلك الوظائف التي ذكرها لم تكن هي الوظائف الوحيدة للغة، بل زاد البعض وظائف أخرى، والحقيقة أنّ لكل نص أدبي وظائف قد يتقرد بها عن غيره، وتهيمن عليه، وقد لا تنطبق بعض الوظائف على كل نص، فإذا ما جئنا إلى القرآن الكريم، وهو نص مقدس تربع على عرش الفصاحة والبلاغة والبيان، إذ ليس ثمة نص يجاريه في الفصاحة ولا يقاربه في البلاغة، وجدنا أنّ بعض الوظائف التي تمخض عنها الدرس اللساني الحديث كما مر معنا عند رومان جاكوبسون ومن قبله، لا يمكن تطبيقها عليه، لأن من تلك الوظائف ما يصح نسبته للقرآن الكريم ومنها ما لا يصح نسبتها إليه، فالوظيفة التعبيرية، ووظيفة إقامة الاتصال، ووظيفة ما وراء اللغة لا يسلم بنسبتها للقرآن الكريم، أما الوظيفة الندائية التنبيهية فيمكن نسبتها للقرآن الكريم¹⁷.

ولن نطيل الكلام على صحة نسبة تلك الوظائف للقرآن الكريم، لأنها ليست معنية في بحثنا، والخوض فيها يتطلب الحيطة والحذر الشديد، فالنص القرآني وإن كان كتاب لغة بامتياز، إلا أنّه مع ذلك نصّ مقدس، ولغة القرآن لا تعامل كما تعامل أي لغة أخرى، لأن مصدر القرآن إلهيٌّ منزّه عن مشابهة البشر في نفسياتهم وحاجاتهم¹⁸، فضلاً عن جعل القرآن الكريم مادة لتجريب كل ما تذهب إليه العقول البشرية من تصورات حول اللغة، ولاسيّما من أقوام لا يعرفون للقرآن قدره وعظمته ومكانته، بل إنّ أغلبهم وإن اعترف أنّه نصّ مقدسّ إلا أنه لن يعرف له حقه وحدود التعامل معه، فتراه يُخضع القرآن الكريم للعلوم التي وصلت إليه، بدعوى التجرد والموضوعية، فيتجرأ على الخوض في مسائل ما كان ينبغي له أن يخوض فيها، بل قد ينسب للقرآن ما لا يليق به، إمّا عن جهلٍ أو هوى.

¹⁶ صادق، 2017م، 56.

¹⁷ عبد الكريم، 2019، 44.

¹⁸ ن.م، 37.

لكن على الرغم مما بينته آنفاً، لم أعرض عن استخدام مصطلح الوظيفة التنبيهية التأثيرية في العملية التواصلية، للتعبير عن التنبيه، وجعل الكلام عن وظائف اللغة تمهيدا لبحثنا؛ أساليب التنبيه في لقرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية، لأنّ الوظيفة التنبيهية تشتمل على معنى أوسع من معنى التنبيه الذي قد يكون معنى بلاغياً ثانوياً، وليس ذلك بهوى مني والعياذ بالله، ولا جهلاً بعظمة القرآن أن يُنسب إليه ما لا ينبغي لمقامه، بل هو من باب استعارة مصطلح أعمّ لمعنى ليس بمنفي عن كلام الله، فالقرآن ما نزل إلا لتنبيه القلوب واستثارة العقول لتعود لفطرتها التي فطرت عليها من توحيد الله وامتنال أمره واجتناب نهيه، فالتنبيه وثيق الصلة بالنص القرآني، ونرجو من الله أن نكون وفقنا في اختيار هذا المصطلح للتعبير عن هذا المعنى، ومن هنا صار لزاماً علينا أن نبين بشيء من التفصيل ما هي الوظيفة التنبيهية أو التأثيرية؟

1.1.2. الوظيفة التنبيهية:

ويسمى البعض الندائية¹⁹، أو التأثيرية²⁰، وتسمى الإفهامية²¹، وحقيقة هذه الوظيفة أنها تجمع بين وظيفتين الأولى مناطة بالمستقبل (المرسل إليه) والثانية بقناة الاتصال، بحسب التقسيم الذي ذكره جاكسون، إلا أن هذه الوظيفة لا تملك حدوداً تحدها، ولا تنحصر بإشارات أو حروف، بل تتعدى إلى كل أسلوب يثير المتلقي ويلفت انتباهه، ولعل أوثق الأساليب صلة بها كما ذكر غير واحد، هي النداء والأمر والعرض والتحضيض والاستفهام. ولكثرة الجمل التي يُنادى بها المرسل إليه لإثارة انتباهه، أو ليطلب منه القيام²² بأمر يبقيه حاضر القلب مستيقظ الفكر فقد أطلق البعض على هذه الوظيفة اسم الوظيفة الندائية، أو التأثيرية، وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ هذه الوظيفة موجودة في القرآن الكريم، لكن وفق التصور الصحيح للتنبيه بما لا يتعارض وقدسية القرآن وخصوصيته، فلا تكاد تخلو سورة من أساليب النداء، والطلب.

¹⁹ عبد الفتاح محمد، التنبيه في اللغة، جامعة البعث، حمص، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، العدد 61، 2002م، 11.

²⁰ صادق، 2017م، 57.

²¹ زيان، 2016م، 97.

²² عبد الكريم، 2019م، 42.

وأما تخصيص أساليب الطلب ولا سيما الإنشاء الطلبي بالتنبيه والإثارة دون الأساليب الخبرية، فعائد إلى عدم خضوعها للصدق وعدمه، والذي بدوره يضعف من حدة التأثير في تلك الأساليب على عكس سابقتها، ولم تذكر أساليب الإنشاء غير الطلبي في أساليب التنبيه لأنها في الحقيقة أخبار بصيغ إنشائية، فالحال المانعة واحدة في الاثنين.

ونظراً لأن هذه الوظيفة تتعلق بعنصرين من عناصر العملية التواصلية كما بينا وهما المتلقي وقناة الاتصال، فإن الأساليب تنقسم إلى أساليب تنصب للتأثير على المتلقي بطريقة مباشرة من خلال الطلب أو أساليب غير مباشرة تتمركز حول وسيلة الاتصال والتي تبقى المستقبل متابعاً للاتصال حتى لا يغفل عنه إلى غيره وذلك يتأتى للنص من خلال عنصر المفاجأة في النص؛ وهي تولد غير المنتظر من المنتظر، فالمفاجأة تهتز لها النفس بفضل شحنتها التأثيرية العالية لكونها غير مُنتظرة²³ وهذه المفاجأة يمكن أن ندرجها تحت مصطلح العدول. ولتكتمل الصورة قبل الولوج في البحث لابد لنا من تعريف التنبيه

1.1.3. مفهوم التنبيه لغةً واصطلاحاً.

تجتمع المعاني اللغوية للتنبيه على معنى التحول من حالة مانعة من الإدراك كالنوم والغفلة إلى حال مدركة وهي اليقظة وقد ورد في لسان العرب مادة (ن، ب، هـ): النُبْهُ: القيام والانتباه من النوم، وقد نَبَّهَهُ وَأَنْبَهَهُ من النوم فَتَنَّبَهُ وَأَنْبَبَهُ، وَأَنْبَبَهُ مِنْ نَوْمِهِ: اسْتَيْقَظَ، وَالتَّنْبِيهُ مِثْلُهُ، وَنَبَّهَهُ مِنَ الْعَفْلَةِ فَانْتَبَهَ وَتَنَّبَهُ: أَيْقَظَهُ، وَتَنَّبَهُ عَلَى الْأَمْرِ: شَعَرَ بِهِ، وَهَذَا الْأَمْرُ مَنْبَبٌ عَلَى هَذَا أَي مُشْعِرٌ بِهِ²⁴.

ولا يبعد معنى التنبيه في الاصطلاح عن المعنى اللغوي له إلا في إسناد فعل التنبيه إلى الملقى أو المخاطب وبيان أن بغيته من الكلام الذي يلقيه هو لفت انتباه المستقبل له لأهمية ما يلقيه الملقى، ولغياب الكلام عن التنبيه كأسلوب من الأساليب المستعملة في اللغة فقد غاب تعريفه عند القدماء وظهرت مع ظهور الكلام عنه عند المحدثين فقالوا في تعريفه: «هو لفت نظر

²³ زيان 2016م، 97.

²⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نبه)، دار صادر بيروت، 1993م.

المخاطبِ إلى أمرٍ ما، واستحضارُ ذهنه إلى ما يُلقيه المتكلمُ، وتَهَيُّئُهُ لِمَا سِيُحَدِّثُهُ بِهِ»²⁵، أو «هو أن تُنَبِّهَ المخاطبَ على ما تُحَدِّثُهُ بِهِ، ولا يَكُونُ تَنْبِيهُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ ذَا أَهْمِيَّةٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخاطَبِ، حَتَّى لَا يَفُوتَهُ الْمَقْصُودُ نَتِيجَةَ غَفْلَتِهِ»²⁶.

فالتنبيهُ أسلوبٌ بلاغيٌّ على غرار باقي الأساليب البلاغية يتطلبُ مراعاة أحوالِ المُخاطَبِينَ، يقولُ عبد القاهر الجرجاني (ت.471هـ): «وجملَةُ الأمرِ أَنَّهُ لَيْسَ إِعْلَامُكَ الشَّيْءَ بَعْتَهُ غَفْلًا، مِثْلَ إِعْلَامِكَ لَهُ بَعْدَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ وَالتَّقْدِيمِ لَهُ»²⁷، ذلك أَنَّ الْمَخاطَبَ كَثِيرًا مَا يَحْتَاجُ إِلَى تَنْبِيهِ لِيَعْلَمَ الْكَلَامَ وَبِفَهْمِهِ، حَتَّى لَا يَفُوتَهُ الْمَقْصُودُ، فَالتَّنْبِيهُ يَضْمُنُ نَجَاحَ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَالِيَّةِ بَيْنَ الْمُتَخاطَبِينَ.

ومراعاة أحوالِ المخاطبين تكون على حسب حال كل مخاطب، فكما أن الخبر يلقى حسب حال المخبر به ويتنوع بين ابتدائي وطلبي وإنكاري، فالتنبيه يتنوع تبعاً لحال المتلقي للتنبية فالمتيقظ لا يحتاج ما يحتاجه الغافل بل يكفي مجرد الإشارة والتلميح لتزيد يقظته خلافاً للغافل أو الساهي فهو بحاجة إلى شحنة تأثيرية أقوى لتوقظه من غفلته، أما المعرض والمكابر المتعمد فلا بد له من تنبيه أقوى من سابقه يصرع كبره وعناده ويحطم أبواباً أو صدها لتحول دون إيابه وإذعانه.

ومن تعريفِ التَّنْبِيهِ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً، وَكَلَامِ الْجَرْجَانِيِّ، يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ التَّنْبِيهِ لَيْسَ غَرَضاً بِلَاغِيّاً ثَانَوِيّاً، يُذَكِّرُ بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْأُخْرَى، بَلْ هُوَ وَظِيفَةٌ لُغَوِيَّةٌ يَنْدُرُ أَنْ يَخْلُوَ مِنْهُ كَلَامٌ، وَمِنْ الْإِجْحَافِ حَصْرِهِ فِي بَعْضِ الْحُرُوفِ أَوْ الْإِشَارَاتِ، وَأُثْبِتَتِ الدِّرَاسَاتُ أَنَّ لِلتَّنْبِيهِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ صِلَةً بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَسَالِيْبِ، مِنْهَا النِّدَاءُ وَالِاسْتِفْهَامُ وَالْأَمْرُ، وَأَمُورٌ سِيَأْتِي الْكَلَامُ عَنْهَا لِاحْتِقَاقِ²⁸.

واستناداً إلى ما تقدّم ذكره من وظائف اللغة وعلى رأسها الوظيفة التنبيهية، وتعريف التنبيه والوظيفة، فإننا سندرس التنبيه من خلال الوظيفة التنبيهية التأثيرية في القرآن الكريم، والتي لا يُمكنُ حصرها في بعض الأدوات مثل، ألا، وأما، وهاء، ويا، التي تذكر كأدوات للتنبيه واصطلاحاً

²⁵ مسلم سومية، الوظيفة التواصلية لحروف التنبيه في اللغة العربية، (ماجستير)، جامعة وهران، 2011-2012، 42.

²⁶ م.ن 42، فتح الله صالح المصري، الأدوات المفيدة للتنبيه في كلام العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، غ.ت، 93.

²⁷ الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، 1992م/ب، ط1،

على تسميتها بأدوات التنبيه أو أسلوب التنبيه النحوي، بل الحقيقة أن التنبيه يتجاوز تلك الأدوات إلى أساليب أخرى؛ أشهرها الأساليب التي تتضمن معنى الطلب، وأساليب انحرفت عن المعهود فأحدثت عند ذلك نوعاً من المفاجأة التي تثير ذهن المتلقي وتقرع سمعه وتستنفره وتشدّه ليفطن إلى ما يلقي إليه فيلتزم به.

لذلك كانت الدراسة هي أساليب التنبيه في القرآن الكريم، التي تشمل بدورها أسلوب التنبيه النحوي، بالإضافة الي أساليب أخرى أدت دور المثير والمنبه في النفس، وهي ما يمكن أن نُدرجه تحت مسمى التنبيه البلاغيّ الذي له النصيب الأكبر من البحث؛ إذ يشمل أساليب كثيرة منها ما هو خاص بالقرآن الكريم، ومنها ما هو عام موجود في اللغة لكنه وُظّف في القرآن الكريم بطريقة جعلته يتفوق على غيره، لأنه صيغ على أحسن لفظٍ وأروع أسلوب، وستكون البداية مع أدوات التنبيه "ألا" و"أما" و"ها".

2. أسلوب التنبيه النحوي

إنَّ إطلاقَ لفظِ أسلوبٍ على معنى التنبيه سواء كان في النحو أو البلاغة هو خلاف المتعارف عليه في أقوال العلماء ومصنفاتهم، التي تكاد تُجمَع أنَّ حروف التنبيه الأصلية أربعة هي: "ألا"، "أما"، "ها"، "يا"، إلا أن منهم من قصرها على الثلاثة الأولى، مستبعدين بذلك "يا"، كالزمخشري وابن الحاجب (ت: 646هـ) الذي قال في باب حروف التنبيه:

ونبّهوا بـها أما، ثمّ ألا على الكلام بعدها ليحصل²⁹

فقد اكتفى بذكر الأدوات "ألا"، "أما"، "ها" وحذف "يا"، وحدد وظيفة تلك الأدوات بالتنبيه على الكلام الذي يليها، وتحققه وهذه الأدوات التي تذكر للتنبيه هي ما يمكن أن يطلق عليه أسلوب التنبيه النحوي.

وحروف التنبيه على الرغم من أهميتها في الكلام فإننا لا نجد لها ذكراً مستفيضاً لدى النحاة على خلاف غيرها من حروف المعاني، مثل حروف الجر والقسم وما شابهها من حروف المعاني، التي حظيت بنصيب كبير من اهتمام العلماء، واحتلت مكاناً واسعاً في مصنفاتهم، فمن النادر أن تراهم يُفصّلون الحديث فيها، وغالبُ حالهم معها هو ذكرُ بعض خصائصها من غير تعمقٍ في وظيفتها ومدلولها في التركيب، وتوظيف حرف التنبيه للدلالة على التنبيه ليس اعتباطياً، بل هو مبنيٌّ على مجموعة من الركائز التي يقتضيها السياق، إذ لا يمكن توظيف الحرف أو استبداله بغيره إلا إذا علمنا ما له من خصائص ووظائف تظهر كل منها في سياق معين، ويمكن لها أن تتغير بتغير ذلك السياق³⁰، وسنحاول أن نفضل الكلام على تلك الحروف وخصائصها فيما سيأتي من كلام.

2.1. حروف التنبيه: سيفرد الكلام هنا للحديث عن الحروف التي لا تنتظم في أسلوب معين وهي "ألا" "أما" "ها"، أمّا "يا" فسيأتي الكلام عليها لاحقاً ضمن أسلوب النداء، ونبدأ بتعريف حرف التنبيه قبل الحديث عن كل حرف منها بشكل مستقل.

²⁹ ابن الحاجب النحوي: أبو عمرو عثمان، شرح الوافية نظم الكافية، ت: موسى بناي علوان، مطبعة الآداب بالنجف، 1980م، 401.

³⁰ سومية، 2012م، 52.

وحرف التنبيه: «هو حرفٌ تصدَّرَ به الجملُ كلها حتَّى لا يغفلَ المُخاطَبُ عن شيءٍ مما يلقي المتكلِّمُ»³¹.

2.1.1. الأ.

الأ: بفتح الهمزة والنَّخْفِيفِ حرف من حروف المعاني مبنى على السكون لا محل له من الإعراب، يأتي في صدارة الكلام³²، ويفيد عدة وظائف، وتلك الوظائف تتحدد تبعاً لحال التركيب الواردة فيه، فتأتي لمجرد التنبيه وهي التي تسمى الاستفتاحية، فتدخل على الجملتين، مثل:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾³³

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾³⁴

وتأتي لوظائف أخرى إلى جانب وظيفة التنبيه تتناسبُ وسياق الكلام الذي سبقت فيه، مثل العرض³⁵: كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا نُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾³⁶، والتحضيض³⁷: وهو طلب الشيء بحث وشدة، وهو كالعرض من حيث الاستعمال وفي كونه طلباً، إلا أن التحضيض أشد توكيداً، كقوله تعالى: ﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾³⁸، فالطلب الذي أفادته الأداة لم يبلغ التنبيه لكنه غلب عليه فالصحيح أن التنبيه ملازم لها في حال دخولها على الجمل واستفتاح الكلام بها، سواء دلَّت على الطلب أم لم تدلّ، وذكر من وظائفها أنها تكون حرف جواب بمعنى بلى³⁹ نحو: قال: ألسنت المبتلى؟ قلت: ألا، وهي في هذه الحال لا تفيد التنبيه.

31 عصام الدين إبراهيم الإسفراييني، شرح العصام على الكافية، دار الكتب العلمية، غت، 315.

32 طاهر يوسف الخطيب، المعجم المفصل في الإعراب، مراجعة: إميل بديع يعقوب، دار المكتب العلمية، بيروت، 4، 2007م، 59.

33 القرآن الكريم، يونس، 62.

34 القرآن الكريم، هود، 8.

35 ابن هشام، 1985م، 97.

36 القرآن الكريم، النور، 22.

37 ابن هشام، 1985م، 97.

38 القرآن الكريم، التوبة، 13.

39 المالقي، 79، غت.

فـ"ألا" حرف تنبيه يتصدر الكلام لينبه إلى ما يليه من كلام، ويدعو للاهتمام به، وجعله البعض إذ ذاك حرف استفتاح، وقد لاقى هذا القول اعتراضاً من البعض لأن الاستفتاح في حقيقته ليس سوى موقع الكلمة في التركيب، ومنهم ابن هشام(ت:761هـ) الذي أشار إلى خلل عند المعريين، وهو قولهم عن ألا: حرف استفتاح، ففي قولهم هذا إثبات للموقع وإهمال للمعنى⁴⁰، استناداً إلى أن موقعها الصدارة دائماً، في حين أنّ وظيفتها هي التنبيه، فيلزم من ذلك أن نعربها حرف تنبيه لا استفتاح.

والاستفتاح والتنبيه على هذه الحال التي تقدمت، لا تعارض بينهما، ولا يلغي أحدهما الآخر، بل التنبيه ملازم له، ويفيدان تهيئة ذهن المخاطب وتنبيهه إلى ما سيُلَقَى إليه من كلام، لذلك فكل حروف الاستفتاح تفيد التنبيه، فالتنبيه وظيفة عامة تُؤدَّى بِطُرُق شتى، وما حروف الاستفتاح إلا إحداها، لذلك كان الأنسب تسميتها حروف تنبيه، لأن إضافة التسمية للمعنى المُختص به أكثر تمييزاً من إضافته إلى ما ليس مختصاً به ولا من دلالاته، والتنبيه من دلالة "ألا" بخلاف الاستفتاح، شأنها في ذلك شأن غيرها من الحروف التي تصدرت الكلام وجاء مفتتحاً بها، لكنها لم تسمَّ حروف استفتاح، بل نُسِبَت إلى وظيفتها الأصلية التي تؤديها، فحروف الاستفهام مثلاً سميت بهذا نظراً لأن الاستفهام هو الوظيفة الحقيقية التي تؤديها، وما الاستفتاح إلا موقعها في الكلام.

وتأتي "ألا" التي للتنبيه في غالب الأحيان لتفيد توكيد ما بعدها وتحقيقه، فتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽⁴¹⁾، وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾⁽⁴²⁾. فقد استُفْتَحَ بها الكلام في الشاهدين، فأفادت التنبيه كما أفادت تحقّق وقوع ما بعدها، ودخلت على الجملة الاسمية في الآية الأولى والجملة الفعلية في الثانية.

وقد تأتي "ألا" مكررة في التركيب زيادةً في التنبيه، وتوكيداً له كما في قول امرئ القيس:

⁴⁰ ابن هشام، أبي محمد عبد الله جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ت: مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، دار الفكر دمشق،

1985م، ط6، 95.

⁴¹ القرآن الكريم، يونس، 62.

⁴² القرآن الكريم، البقرة، 13.

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصُبحٍ وما الاصبحُ فيك بأمثل⁴³.

ويصحُّ الكلامُ من دونها، لذلك جاز حذفها لعدم إخلالها بالمعنى، فالغرضُ منها متعلقٌ بالمخاطب، وهو لفتُ انتباهه، واهتمامه وتركيزه، حتى تتَّمَّ مخاطبته، فهي حرف يسبق عملية التَّواصل ويسعى لإنجاحها، وليست مما يُبتَغى تَبليغُه وتوصيله، لذلك يجوز حذفها دون أن يتأثر الكلام بحذفها.

2.1.1.1. بساطة "ألا" وتركيبها:

للعلماء في "ألا" التي للتَّنبيه قولان من حيث بساطتها وتركيبها، الأول يرى أنَّها مركبة من همزة الاستفهام و"لا" النافية، فيذكر ابن فارس (ت:395هـ) أن الهمزة للتَّنبيه ولا للنفي⁽⁴⁴⁾، وفي حالها هذه تفيدُ التحقيق، لأن همزة الاستفهام تفيد التحقيق والتوكيد إذا دخلت على النفي، واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾⁽⁴⁵⁾، وإلى هذا القول يميل الزمخشري، فهي عنده مركبة من همزة الاستفهام و"لا" لإعطاء معنى التَّنبيه والتحقيق⁽⁴⁶⁾، وتابعهم على ذلك الإمام الرضي الذي قال فيها: كأنَّها مركبة من همزة الإنكار وحرف النفي، والإنكارُ نفي، ونفيُ النفي إثباتٌ، ورُكِّبَ الحرفان لإفادة الإثبات والتحقيق، فصارا بمعنى "إن"⁽⁴⁷⁾.

⁴³ عبد الرحمن المصطاوي، ديوان امرئ القيس، دار المعرفة بيروت، 2004م، ط2، 49.

⁴⁴ ابن فارس، أحمد، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهم، الناشر: محمد علي بيضون، 1997م، ط1،

93.

⁴⁵ القرآن الكريم، البقرة، 11.

⁴⁶ الزمخشري، 1407هـ، 62.

⁴⁷ حبيب الله عبد الرحيم محمد صالح، أحرف التَّنبيه في القرآن الكريم، ماجستير، جامعة أم درمان، 2009م، 66. الإسترابادي، 1978م،

ج4، 421.

أمّا الفريق الثاني فهم على خلاف الأول يرون كونها بسيطة غير مركبة، ومنهم ابن مالك: « وأما ألا المستفتح بها فغير مركبة»⁴⁸، وقد ترد كلمة "ألا" للاستفتاح والتبويه، وهي كلمة واحدة⁴⁹، ودليله على ذلك أنّها سبقت (إن)، كقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁵⁰، والنفي لا يصح حينئذٍ، واستدلوا على بطلان دعوة التركيب وأنّ الأصل بساطتها بدخولها قبل إن، ورب، وليت، والنداء⁵¹، ومعلوم أنّ النفي لا يستقيم مع أي واحدة منهن، فنحن لا نستطيع نفي التمني، أو النداء، كما هو حالها في:

ألا ربّ يومٍ لك منهن صالح ولا سيما يومٌ بدارة جلجل⁵²

ألا ليت شعري، كيف حادثٌ وصلها؟ وكيف تُزاعي وُصلة المُتغيّب؟⁵³.

والراجح من كلام الفريقين هو مذهب من يقول ببساطتها وعدم تركيبها، لعدم استقامة المعنى المنفي مع ما يليه، إذا أرجعناها إلى أصلها، ولكون النفي يليها كما في قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلُن أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا⁵⁴.

فلو صحَّ القول بتركيبها، فكيف يجوز دخول حرف النفي على حرف نفي آخر.

48 ابن مالك الطائي، محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، ت: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي، ط1، غت، ج3، 1655.

49 عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط15، غت، ج1، 708.

50 القرآن الكريم يونس، 62.

51 أبو حيان الأندلسي، محمد بن علي بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ت: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، 1993م/ا، ط1، 191/1. الزمخشري، 62/1.

52 المصطاوي، 2004م، 26.

53 ن.م، 74.

54 ديوان عمرو بن كلثوم، تج: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، 1991م، ط1، 78.

وحاول البعض أن يجد في كلام الزمخشري مخرجاً من ذلك حين قال: وكأنهما مركبتان من همزة الإنكار وحرف النفي، والإنكار نفي، ونفي النفي إثبات، ورُكِّبَ الحرفان لإفادة الإثبات والتحقيق، فصار بمعنى إن، فهما صارا بمنزلة كلمة واحدة فجاز أن تدخل على ما لا يدخل عليه حرف النفي⁵⁵، وسواء كانت ألا حرفاً بسيطاً أو مركباً، فالتنبيه قائم فيها على كل أحوالها، ومصدق هذا القول سيأتي لاحقاً في موضع الكلام على همزة الاستفهام ودخولها على النفي.

2.1.1.2. خصائص "ألا" وميزاتها

تمتاز "ألا" بعدة خصائص تجتمع في أغلبها مع "أما" منها:

صدارة الكلام: لـ "ألا" صدارة الكلام ومقدمته، وينبغي لها ألا تأتي في مرتبة متأخرة عنه، وذلك لأنها ملازمة للاستفتاح كما نوّهنا سابقاً، حتى غلب عليها تسميتها قولهم: "حرف استفتاح"، ف قيل فيها: "ألا": «حرف استفتاح يُبْتَدَأُ به الكلام»⁵⁶، وقيل: "ألا": «حرف يرد لمعان منها استفتاح الكلام وتنبيه المخاطب»⁵⁷.

كسر همزة إن بعدها: الأغلب يرى وجوب كسر همزة إن بعد "ألا" والأمثلة تؤيد ذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾⁵⁸، وذلك عائد إلى أن "ألا" لا تؤثر فيما بعدها من كلام، ويجوز الاستغناء عنها فتكون الجملة بعدها بحكم الابتدائية فتكسر همزة إن كأنها

⁵⁵ ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد الحسني، الأمالي، تح: محمد محمود الطناحي، مكتبة الناخي القاهرة، ط1، 1992، ج2، 296.

⁵⁶ الإسترابادي، رضي الدين، شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق طهران، 1978م، ج4، ص421.

⁵⁷ المرادي، الحسن بن القاسم، الجني الداني في حروف المعاني، ت: د. فخر الدين قباوة/ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1992م، 384.

⁵⁸ القرآن الكريم، هود، 60.

في بداية الكلام، وقد ذكر الحسن بن القاسم المرادي قولاً عدّه غاية في البعد يجيز فتح أن بعدها كما تفتح بعد حقاً⁵⁹.

دخولها على الجمل: تختص "ألا" بالدخول على الجمل، اسمية وفعلية، خبرية وطلبية، أمراً ونهياً واستفهاماً، مثل: جملة الاسمية: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾⁶⁰، جملة اسمية مصدرية بناسخ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾⁶¹، ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾⁶²، جملة فعلية فعلها ماضٍ ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾⁶³، ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾⁶⁴، مضارع: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾⁶⁵، وقد استأثرت الجملة الاسمية بنصيب أوفر من قرينتها الفعلية وذلك لما فيها من التقرير والتحقيق الذي يتناسب مع معنى التنبيه.

صحة الكلام بدونها: قد أسلفنا أنّ حذف "ألا" لا يؤثر في الكلام الذي يليها، لأنه تام قبل دخولها عليه، فهي لا تدخل على كلام ناقصٍ لنتمّ معناه، قال المالقي (ت.702هـ): وإذا لم تدخل صح الكلام دونها، ذلك لأن المعنى تام قبل دخولها على الكلام⁶⁶، وهذا الذي أعطاها دوراً تقوم بها حال ورودها، وهو التنبيه على الكلام، لا العمل فيه.

⁵⁹ المرادي، 1992م، 381.

⁶⁰ القرآن الكريم، هود، 18.

⁶¹ القرآن الكريم، البقرة، 214.

⁶² القرآن الكريم، يونس، 55.

⁶³ القرآن الكريم، الأنعام، 31.

⁶⁴ القرآن الكريم، التوبة، 49.

⁶⁵ القرآن الكريم، هود، 8.

⁶⁶ المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ت: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية

دمشق، غت، 78.

دخولها على الجمل المصدرية بما يتلقى به القسم: ذكر العلماء أن الجمل التي تدخل عليها لا تكاد تقع بعدها إلا مصدرية بما يتلقى به القسم⁶⁷، مثل إن، قد، وحروف النفي وغيرها، وهذا يساهم في إفادتها تحقيق ما بعدها. قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁶⁸.

2.1.2. أما.

أما: بهمزة على ألف وميم مخففة، هي أداة من أدوات التنبيه، وهي حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب، تفيد التوكيد والتحقيق لما بعدها، شأنها في ذلك شأن "ألا"، إلا أن "ألا" للاستقبال، و"أما" للحال، فهي تؤدي وظيفة تنبيه المخاطب للرسالة الموجهة إليه، وتؤكد مضمونها، وتتفق "أما" مع "ألا" في أنهما من حروف الاستفتاح، وهو كما بينا سابقاً موقعها في التركيب، وهو ملازم للتنبيه فيهما على الدوام.

والغالب في "أما" أن تكون حرف استفتاح وتنبيه كما تقدم الكلام عليها، لكنها قد تتجاوز تلك الوظيفة إلى غيرها من وظائف مثل: العرض: وتختص إذ ذاك بالمضارع، ومنه قول ديك الجن الحمصي(ت:236هـ):

أما ترى الحُسْنَ والإِحْسَانَ قد جُمِعَا فاشربْ فَإِنَّكَ فِي عَرَسٍ وَفِي عِيدٍ⁶⁹

أن تكون بمعنى حقاً أو أحقاً: وتُميِّزُ عند ذلك بفتح همزة "أن" بعدها⁷⁰، ولم يرد لـ أما شاهد في القرآن الكريم مطلقاً على خلاف "ألا" التي دُكرت مراراً، إلا أن شواهدا كثيرة في الحديث

⁶⁷ الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، طبعة دار الكتاب العربي

بيروت، 1407هـ، ط1، ج1، 62

⁶⁸ القرآن الكريم، يونس 62.

⁶⁹ ديوان ديك الجن الحمصي، ت: مظهر الحجي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م، ط1، 260.

⁷⁰ ابن هشام، 1985م، 79.

الشريف وكلام العرب فمن الحديث الشريف قول النبي صلى الله عليه وسلم، حديث قتيبة بن سعيد: «أما إنَّه من أهل النَّار»⁷¹.

ومن شواهدهما قول قيس بن الملوح⁷²:

أما والذي أُنلَى بِلَيْلَى بِلَيْتِي وَأَصْفَى لَيْلَى مِنْ مَوَدَّتِي المحضاً.

2.1.2.1. بساطة "أما" وتركيبها:

على غرار أختها "ألا" حصل الخلاف في "أما"، فريق يرى أنَّها مُركبةٌ من همزة الاستفهام وحرف النفي، ومِمَّنْ قَالَ بهذا ابن الشجري؛ وكأَنَّها مُركبةٌ من همزة الإنكار وحرف النفي، فصارا بمعنى "أن"⁷³، وعلى ذلك تبعه ابن هشام بقوله: تكون مركبة من الهمزة و"ما" النافية⁷⁴.

الفريق الثاني: هم الذين يقولون ببساطتها، ومنهم ابن حيان⁷⁵ وربما كان هذا هو الرأي الأصوب لأنَّ معنى التنبيه يتوافق معه أكثر وإن كان التنبيه ليس بمنفي حتى على الرأي الأول الذي يرى تركيبها.

2.1.2.2. خصائص "أما"

خصائص "أما" أشبه بخصائص "ألا" وهي:

⁷¹ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه

صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، رقم: 2898.

⁷² ديوان قيس ابن الملوح، ت: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1999م، 104.

⁷³ الشجري، 1992م، 297/296.

⁷⁴ ابن هشام، 1985م، 79.

⁷⁵ صالح، 2009م، 71.

صدارة الكلام: تحتلُّ "أما" صدر الكلام الذي تأتي فيه، حالها حال حروف التنبيه، وذلك تنبيهاً للمخاطب على الرسالة التي تصدرُها، حتى لا يُغفلَ عنها، لأن استحضار ذهن السامع قبل إلقاء الكلام عليه أولى من تأخيره، فثمة تناسب بين صدارتها للكلام وصدارة التنبيه للمنبه عليه.

دخولها على الجمل: لا تدخل "أما" إلا على الجمل، بنوعيها الاسمية والفعلية، فمن الاسمية: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أما إنَّكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»⁷⁶، ومن الجملة الفعلية قوله عليه الصلاة والسلام: «أما لو قُلْتَ حينَ أمْسَيْتَ: أعُوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ من شرِّ ما خلقَ لم تَضُرَّكَ»⁷⁷.

كسر همزة "إن" بعدها: وتُكسَرُ همزة "إن" وجوباً بعدها، لأن "أما" تدخلُ على الجملِ لا المفرد، والجملةُ بعد "أن" المفتوحة الهمزة بحكم المفرد، وبعد "إن" المكسورة الهمزة جملة ابتدائية، ومثاله: «أما إنَّكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر»⁷⁸.

وقوعها قبل القسم: كَثُرَ مَجِيءُ "أما" قبل القسم، تنبيهاً عليه، وتحقيقاً للمُقَسَّمِ عليه، لذلك اعتبرت من مقدمات اليمين وطلائعه⁷⁹، كقوله عليه الصلاة والسلام: «أما والله، لله أشدُّ فرحاً بنبوة عبده من الرجلِ بِرأجلته»⁸⁰.

2.1.3. "ها" التنبيهية.

حرف تنبيهٍ لا محل له من الإعراب، تتصدرُ الكلام الذي تتصل به، مفرداً أو جملة، فتسبقه بالتنبيه عليه، والمشهور فيها مجيؤها مع أسماء الإشارة، و"أي" التي لنداء المعرف بـ"ال"،

⁷⁶ ن.م، رقم: 633.

⁷⁷ ن.م، رقم: 2709.

⁷⁸ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم 633.

⁷⁹ الزمخشري، 1407هـ، 62.

⁸⁰ مسلم، رقم: 2746.

وقيل تأتي قبل القسم، وذكروا أنها قد تستعمل مفردة من غير مدخول، فيقال: ها بمعنى: تنبه، قال المالقي: «وقد تستعمل مفردة فيقال: ها، بمعنى تنبه»⁸¹.

2.1.3.1. "ها" التنبيهية وأسماء الإشارة:

وأكثر دخولها على اسم الإشارة الذي يكون للقريب، أي الخالي من كاف الخطاب ولام البعد إذ من غير المؤلف أن ترد مجردة من "ها" التنبيهية، نحو: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذُرِ الْأُولَى﴾⁸²، أمّا ما وُضِعَ للمتوسط في البعد، وهو المقرون بكاف الخطاب، فيَقَالُ وُرُودُهَا مَعَهُ وَيَسْتَنَتِي مِنْ ذَلِكَ (نَمْ، هِنَا، هُنَاكَ)⁸³، ومن أمثلتها مع المقرون بكاف الخطاب قول طرفة بن العبد:

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطرف الممدد⁸⁴

وينتفي اتصالها بالمشار إليه البعيد المقرون بلام البعد، فلا يقال: "ها ذلك"، "ها هنالك"، والعلة في ذلك إمّا؛ كَثْرَةُ الزَّوَائِدِ وَالْعَرَبُ تَكْرَهُ ذَلِكَ⁸⁵، أو غِيَابُ الْمُشَارِ إِلَيْهِ عَنْ مَرَأَى الْعَيْنِ، فَلَا يُنْبَهُ الْغَافِلُ لِيَبْصَرَ مَا غَابَ عَنْ مَرَاهُ⁸⁶.

⁸¹ المالقي، غت، 406.

⁸² القرآن الكريم، النجم، 56.

⁸³ ابن هشام، 1985م، 456.

⁸⁴ ديوان طرفة بن العبد، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، 2002م، ط3، 25.

⁸⁵ أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ت: حسن هندواوي، دار القلم دمشق، 2000م/ب، ط1، 197.

⁸⁶ الإسفراييني، غت، 79.

ومن أمثلة "ها" مع اسم الإشارة في القرآن الكريم: ﴿هُذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِ﴾⁸⁷، ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾⁸⁸، ﴿هُؤَلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾⁸⁹، وهي في هذه الأمثلة كلها حرف تنبيه دخل على اسم الإشارة للقريب.

2.1.3.2. اتصال "ها" التنبيهية بـ "أي" في النداء.

أي: اسم مذكر مفرد، مؤنثه آية، جيء به صلة لنداء المعرف بالألف واللام، والذي يليها هو المقصود بالنداء، لكن لما امتنع نداءه استُعِينَ بـ "أي" فصارت هي المنادى، ولحقت بها "ها" ولازمتها، إما عوضاً عما تُضَافُ إليه "أي"⁹⁰، أو تمييزاً بين النداء والاستفهام اللذين تُسْتَعْمَلُ فيهما "أي"، فحيثُ لَحِقَتْهَا "ها" فهي منادى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾⁹¹، فهي تنبيه على أن أي منادى وليس اسم استفهام، وتنبيه على المنادى الحقيقي الذي يعقب أي.

2.1.3.3. دخول "ها" التنبيهية على القسم:

ومن المواضع التي قلَّ أن تأتي فيه، وقوعها مع لفظ الجلالة الله، فتُعَوِّضُ عن حرف القسم⁹²، ومنه قول الشاعر:

ها الله لن أبرح باب الدار أو أقضين منكم أوطاري⁹³

وقول زهير: تعلمن، ها- لعمر الله - ذا قسما فاقدرِ بذرِعِكَ وانظرُ أين تَسْلِكُ⁹⁴

87 القرآن الكريم، الحج، 19.

88 القرآن الكريم، القصص، 27.

89 القرآن الكريم، الكهف، 15.

90 ابن هشام، 1985 م، 456.

91 القرآن الكريم، الانفال، 20.

92 ابن هشام، 1985 م، 456.

93 عبد الله الكرد البيتوشي، كفاية المعاني في حروف المعاني، ت: شفيق برهان، دار اقرأ للطباعة والنشر، دمشق 2005 م، ط1، 131.

94 ديوان زهير بن أبي سلمى، تح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية بيروت، 1988 م، ط1، 81.

واختلفوا في دخولها على ضمائر الرفع المنفصلة، وعلى أنّ المشبهة بالفعل، على قولين: الأول يرى أنّ الضمائر و"أنّ" المشبهة بالفعل فصل بين "ها" واسم الإشارة، واستشهدوا بقول الاعشى على جواز الفصل بـ "إن":

ها إن ذي عُذرة إلا تكن نَفَعْتَ فإن صاحبها مُشارك النَّكِدِ⁹⁵.

والثاني: يرى جواز دخولها، ولاسيما على الضمائر، وهو من الكثير الذي يصعب حصره، واحتجوا عليهم بدخولها على الضمير وعلى اسم الإشارة في وقت واحد كما في قوله تعالى: ﴿هَآأَنُتُمْ هُوَآءِ جُدَلُتُمْ عَنْهُم فِي الْحَيَوَةِ﴾⁹⁶، ولو صحّ القول بالفصل لما جاز أن تدخل على اسم الإشارة، حيث ذكرت مع الاثنين⁹⁷.

هذه هي الأدوات التي تُستخدمُ للتَّنْبِيهِ في اللغة العربية، وليس هناك خلافٌ في إفادتها لمعنى التَّنْبِيهِ، لكن البعض أضاف إليها معانٍ أخرى، إلا أنّ تلك المعاني لم تُعدْ أن تكون وصفاً لموقع تلك الأدوات، أو حملاً لها على معانٍ تحتملها الأدوات في حال تركيبها، حيث يُرجعون المعنى إلى كلّ جزءٍ من التركيب، وإن كان الراجح غير ذلك، ويمكنُ إجمالُ خصائص تلك الأدوات فيما يلي:

أولاً: صدارة (ألا، وأما) في الكلام، وصدارة (ها) لما بعدها من معنى تفيد التنبية عليه.

ثانياً: دخول (ألا وأما) على الجمل دون المفردات، أما (ها) فتدخل على المفردة في أغلب أحوالها، وذهب البعض لجواز دخولها على الجمل.

⁹⁵ ديوان النابغة الذبياني، ت: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية بيروت، 1996م، ط3، 17.

⁹⁶ القرآن الكريم، النساء، 109.

⁹⁷ سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، 1988م، ط3، ج2، 355/354،

أبو حيان التذليل والتكميل، 2000م، 199،

ثالثاً: دخولها على ما يدخل عليه القسم، كما في (ألا وأما)، أما (ها) فدخولها على القسم محل خلاف.

رابعاً: وجوب كسر همزة إن بعد (ألا وأما)، لأن الجملة بعدها بحكم الابتدائية. أما (ها) فتدخل على اسم الإشارة، والضمير، والماضي المقرون بقَد على خلاف في ذلك.

وتجتمع هذه الأدوات في أنها لا تحتل محلاً من الإعراب، وغير عاملة فيما بعدها، الأمر الذي جعلها خالصة للتنبيه، وهذا الأمر جعل البعض ينظر إليها أنها مركبة من همزة الاستفهام وحرف نفي، كما في (ألا وأما)، أما (ها) فلا خلاف في بساطتها، فهي اكتسبت معنى التنبيه من صدارتها للكلام وخلوها من معنى ووظيفة ثانية تؤذيها، وهذا ما جعل الكلام دونها مكتملاً مستغنياً عنها فلا يتأثر بحذفها.

3. أساليب التنبيه البلاغية

مُنذ اللحظة الأولى لحديث البلاغيين عن المصطلحات البلاغية مثل الفصاحة والبلاغة والبيان، وهم يُنبّهون على أهمية التأثير في المتلقي، ومراعاة أحواله، ومطابقة الكلام لمقتضى حاله، فيقول الجرجاني متحدثاً عما يُحدّثه النص في المتلقي: «ولم أزل منذ خدمتُ العلم، أنظرُ فيما قاله العلماء في معنى "الفصاحة" و"البلاغة" و"البيان" و"البراعة"، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجدُ بعض ذلك كالرّمز والإيماء والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيئ ليُطلب، وموضع الدفين ليُبحث عنه فيُخرج، وكما يُفتَح لك الطريقُ إلى المطلوب لتسلّكه، وتوضع لك القاعدة لتبني عليها»⁹⁸.

ولا يخفى أنّ النص القرآني أرقى أشكال التواصل اللغوي، وأكثرها تأثيراً في المتلقي، فهو يراعي مشاركة المتلقي واسترعاء استجابته، وتتولى مجموعة من العناصر اللغوية هذه المهمة.

وإذا ما رجعنا إلى تعريف علم المعاني عند البلاغيين نجدهم يركزون في تعريفهم على مطابقة مقتضى الحال فالسكاكي (ت. 626هـ) يقول: «هو تتبع خواص تراكيب الكلام على ما يقتضي الحال»⁹⁹، أي إنّ وظيفة علم المعاني هي التعبيرُ بصورة تُراعي أحوال المتلقي (سامعاً كان أم قارئاً) في مستوى فكره وفهمه، ليكونَ استعداده للفكرة المراد طرحها استعداداً إيجابياً، وتخصيصُ علم المعاني من بين علوم البلاغة الثلاث بالحديث هنا، لا يعني قصور العلمين الآخرين عن تادية التنبيه في الكلام، بقدر ما يعني وضوحه في هذا العلم وصلته بأدوات التنبيه النحوية، ولا سيما "ألا" و"أما" اللتان تدرجان ضمن أساليب الإنشاء الطلبي فضلاً عن الصلة الوثيقة بين النحو وعلم المعاني والذي أخذ في الحقيقة من تسمية علم معاني النحو كما يذكر العلماء.

وأشار كثير من الباحثين إلى أنّ الأساليب الإنشائية الطليبية هي الأكثر قدرة على لفت انتباه المخاطب أو المتلقي، لأنّ الغاية الأساسية لتلك الأساليب هي مخاطبة المتلقي مباشرة،

⁹⁸ الجرجاني، 1992م/ب، 34.

⁹⁹ السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، 1987م، ط2، 161.

وطلب استجابةً منه، لذلك كان تعريفها: بأنها ما يبتغي مطلوباً غير حاصلٍ وقت الطلب، وتشمل الأمر، والنهي، والاستفهام، النداء، والتمني.

أمّا الأسلوب البلاغي الثاني الذي يُثير المتلقي ويلفت انتباهه وتدرج كثير من أساليبه تحت مباحث علم المعاني فهو "العدول" بما يُحدثه من خروج عن المؤلف، سواء كان على مستوى الصّوت، أو التركيب، والتنبيه بالعدول هو أشبه بحالة التنبيهية ودلالاتها على التنبيه مع الفارق بينهما.

وبهذا الكلام المتقدم ينقسم المبحث البلاغي هنا إلى فصلين الأول للإنشاء الطلبي والثاني للعدول.

3.1. التنبيه بالإنشاء الطلبي

الكلام كما هو مقرر عند البلاغيين إما أن يكون خيراً؛ وهو ما يوصف بالصدق أو الكذب، أو يكون إنشأً؛ هو ما لا يوصف بكذب أو صدق، وينقسم إلى طلبي وغير طلبي، والطلبي ما يبتغي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وأساليبه هي الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، وهذه الأساليب هي التي يكثر ذكرها في الدلالة على التنبيه، لأنها تتطلب استجابة من المتلقي، بخلاف الخبر الذي يحتاج إلى ما يُنبّه عليه، ويعزز دلالاته، وهذا الذي سنحاول استجلاء كُنْهِه هنا، وسنبداً الكلام مع النّداء، ثمّ الاستفهام، يليه الأمر والنهي، فالتمني.

3.1.1. النداء

النّداء وسيلة من وسائل الاتصال بين البشر، ولا يُستغنى عنه لأهميته والحاجة إليه في التّحذير والتنبيه والإرشاد، وتمتاز اللغة العربية بتنوع أساليب النداء فيها بما يتناسب مع الغرض والحال والمقام، فتختلف الأداة والأسلوب تبعاً لذلك.

والنداء لغةً: مشتقٌّ من النّدى، وأصله هو (ن، د، ي)، والنّدى: البَللُ، وما يسقط في الليل، والنداء: الصوت مثل "الدّعاء"، "الرّغاء"، وناداه ونادى به مُناداةً ونداءً: أي صاح به،

والندى بُعد الصوت، وفلان أندى صوتاً من فلان: أي أبعد مذهباً وأرفع صوتاً¹⁰⁰، والعرب تمدح الرجل بكثرة ريقه دلالة على فصاحة لسانه، لأنّ الفم الذي يكثر فيه الريق تسهل حركة اللسان فيه، على عكس من يجف ريقه حتى لا يكاد ينطق بكلمة، ولهذا يعمد من يريد الكلام إلى شرب الماء لينطلق لسانه بحرية وعفوية.

اصطلاحاً: هناك تعاريف كثيرة للنداء، تتفق كلها على لفت انتباه المنادى، واستدعائه، ليُقبل على المنادى ويسمعه، فمن تلك التعاريف: أنّ "النداء": «توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبهه للإصغاء، وسماع ما يريد المتكلم»¹⁰¹.

وقيل: النداء: «طلب المتكلم إقبال المخاطب حساً أو معنى»¹⁰².

للنداء أدوات يمتاز بها، منها ما هو خاص بالنداء، ومنها المستعمل في النداء وفي غيره، وجُلّها يُنطق بامتداد الصوت، فتنبُّت كوامن نفس الداعي، وتجذب انتباه المدعو، فهي أشبه ما تكون بصيحة أو طريقة في أذن المتلقي، لإيقاظه، وصرف انتباهه للحاجة الملحة لسماعها¹⁰³.

وأدوات النداء عند سيبويه هي: "يا"، "أيا"، "هيا"، "أي"، "الهمزة"¹⁰⁴، وزاد البعض على هذه فقالوا هي: "الهمزة، يا، أي، هيا، آ، آي، وا"¹⁰⁵، وقسموا هذه الأدوات إلى قسمين تبعاً لحال المنادى، قسم لنداء القريب وهي: "الهمزة، وأي"، وقسم لنداء البعيد وهي: "يا، أيا، هيا، آ، أي"، أمّا "وا" فللندبة والاستغاثة، وأشهر حروف النداء وأكثرها استعمالاً: "يا"، وسُميت أمّ الباب، ولا

¹⁰⁰ ابن منظور، لسان العرب، مادة ندى، 1992م،

¹⁰¹ عباس حسن، غت، ج4، 1.

¹⁰² القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، المعروف بخطيب دمشق، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، دار

الجيل بيروت، غت، ط3، 91.

¹⁰³ محمد محمد أبو موسى، دلالات التركيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، 1987م/b، ط2، 262/261.

¹⁰⁴ سيبويه، 1988م، 229.

¹⁰⁵ بدوي أحمد طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة جدة، دار الرفاعي الرياض، 1988م، ط3، 57/28.

يُقَدَّر عند الحذف سواها، ولا يُنادى اسم "الله" عز وجل، و"أيها" و"أيتها" إلا بها، وتُستعمل للندبة بدلاً من "وا"¹⁰⁶.

2.1.1.1. النداء والتنبيه:

لَعَلْنَا لَا نَغَالِي إِنْ قُلْنَا إِنَّ النِّدَاءَ مِنْ أَوْثَقِ الْأَسَالِيبِ صِلَةٌ بِالنَّبِيِّ، وذلك ظاهر عياناً في تعريف النداء، وغرضه، ولعل ذلك ما حدّا ببعض لإطلاق اسم الوظيفة الندائية¹⁰⁷ على الوظيفة التأثيرية التنبيهية، وَعَدَّهِمُ النِّدَاءَ مِنْ أَحْصَى الْأَسَالِيبِ الَّتِي تُوَدِّي الْوِظِيْفَةَ النَّبِيَّيَّةَ.

فعدت تعريف النداء تجدُّ أغلب النحاة والبلاغيين يربطونه بالتنبيه، فابن يعيش (ت.643هـ) يقول: وأصلُّ النِّدَاءِ تَنْبِيهُ الْمَدْعُوِّ¹⁰⁸، وَسِيْبِيَّيْهِ يُعْرَفُهُ: تَنْبِيهِ الْمَدْعُوِّ، ودُعَاؤُهُ بِأَحْرَفٍ مَخْصُوصَةٍ¹⁰⁹، ولك أن تلاحظ ذلك التوافق على جعل النداء هو التنبيه، فثمة اعتقادٌ ضمنيٌّ عند كل من يُعرِّفُ النِّدَاءَ؛ أَنَّهُ تَنْبِيْهِ، حتى وإن لم يُذكر ذلك صراحةً، ولن نكثر من ذكر تعاريف للنداء فالذي ذكرناه فيه الكفاية ولا حاجة لنا إلى الإعادة والإطالة.

ولا يختلفُ الكلام في أدوات النداء عن تعريف النداء في ملازمتها للتنبيه، فمن بعض ما قيل في تلك الأدوات: «وأمَّا الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء: بيا، وأيا، وهيا، وأي، وهيا، وبالألِف»¹¹⁰، فسببويه يئصُّ صراحة على تسمية حروف النداء بحروف التنبيه، وابن جنِّي في حديثه عن "يا" في النداء ومعناها يذكُر أنَّها تنبيهٌ ونداء¹¹¹، وأكثر النحاة يذكرون "يا" في جملة أدوات التنبيه، فيقرئونها ب(ألا، وأما، وها)، فدلالة "يا" على التنبيه محلُّ اتفاقٍ، ولاسيما عند دخولها على ما ليس بمُنَادَى مثل "الأمر"، أو "التمني"، أو "رب" وغير ذلك مما تدخل عليه "يا"، ولا تستبعد دلالة التنبيه عن "أيا" و"هيا" فالبعض قال: "هيا" هي "يا" مضافٌ إليها هاء التنبيه، وألحقوا

¹⁰⁶ ابن هشام، 1985م، 482.

¹⁰⁷ محمد، 2002م، 11.

¹⁰⁸ ابن يعيش، موفق الدين بن علي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، غت، ج1، 127.

¹⁰⁹ سببويه، 1988م، 182.

¹¹⁰ ن.م، 329/2.

¹¹¹ ابن جنبي، الخصائص: 192/2.

"أيا" بـ "هيا" على اعتبار أنها قد تكون لغةً فيها¹¹²، والحقيقة أن زيادة الهاء والهمزة على "يا" لا تغير من دلالتها على التنبيه، فالتنبيه قائم في "يا" على كلِّ أحوالها.

والغرض الحقيقي من النداء هو التنبيه، أي أن الوظيفة اللغوية التي يَضطلعُ بها النداء هي التنبيه، فالقصد الأول للنداء هو تنبيه المخاطب وتحفيزه لسماع ما يُطلبُ منه، فيبقى المنادى منهياً لما سيعقبُ النداء فهو المقصود، فالتركيب الندائي وظيفته تنبيهيةً إشارية¹¹³.

والذي يَخُصُّ إليه الكلامُ الآنفُ الذكر في تعريف النداء، وأدواته، وغرضه، أنَّ النداء والتنبيه متلازمان، وأنَّ النداء من أهم الأساليب التي تؤدي الوظيفة التنبيهية في اللغة، فلا ريب أن يُطلقَ عليها البعض اسم الوظيفة الندائية، لثبوت التنبيه في النداء عموماً حيثُ حلَّ، ولكن لو يَممنا نظرننا صوب الكتاب العزيز هل سنجد مصداقاً لهذه النتيجة أم غير ذلك؟ وهل في أسلوب النداء في القرآن الكريم ما يميزه عن سواه ويدعم ما قيل في صلة التنبيه بالنداء؟

3.1.1.2. النداء وصلته بالتنبيه في القرآن الكريم

كثُر في القرآن استخدام أسلوب النداء، كثرةً تلفت النظر إليه، وتنبّه على ما يلي النداء من معانٍ وجب الوقوف عليها، لِمَا في النداء من إيناسٍ للمنادى بقربه من المنادي، وإحصائية أساليب النداء في القرآن الكريم ترقى إلى أكثر من أربعمئة أسلوب ندائي، ومما يُلحظُ على النداء في القرآن الكريم، ويعزُّزُ صلته بالتنبيه، عدَّةُ أمور منها:

أ. الأداة "يا":

وعلى كثرة أساليب النداء في القرآن الكريم، وتنوعها، لا نجدُ ذكراً لأداة غير "يا"، فهي الوحيدة التي جاء ذكرها في الذكر الحكيم "361" مرة¹¹⁴، «فعلى كثرة وقوع النداء في القرآن لم

¹¹² السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ت: عبد الرحمن هندواي، غ/ت/ b، ج2،

¹¹³ مبارك تريكي، النداء بين النحويين والبلاغيين، حوليات التراث، العدد: 7/ 2007م، 142.

¹¹⁴ سعاد زدام، دلالة الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم النداء أنموذجاً، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2018/2019، 10.

يقع نداء إلا بها»¹¹⁵، إلا ما اختلفوا فيه وهو موضع واحد جاءت فيه "الهمزة" على إحدى القراءات حرف نداء¹¹⁶ وهو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُتْ ءَأَنَاءَ أَلَّيْلِ سَاجِدَا وَقَائِمَا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾¹¹⁷، والحقيقة أن الهمزة همزة استفهام.

وحذفت "يا" في خمسة وستين موضعاً¹¹⁸، أغلبها في نداء الرب ولم تذكر إلا في موضعين مع لفظ الرب، الأول في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾¹¹⁹، وقوله في سورة الزمر: ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾¹²⁰.

وذكروا لحذف أداة النداء "يا" من نداء الرب في القرآن الكريم نكتاً منها؛ أن "يا" تستعمل لنداء البعيد والله قريب، وكل نداء الرب هو من باب الدعاء، فحذفت لتتناسب القرب من الله، فيما حملها البعض على محمل آخر، وهو كون النداء يحمل في جانبه نوعاً من الأمر، فحذفت "يا" ليذهب معنى الأمر ويبقى التّفخيم والتّعظيم الملازم لاسم الربّ جلّ جلاله¹²¹ وفي هذا مصداق لمعنى لتتبيه لأن التتبيه للغافل أو للساهي وحذفها هنا حذف للتتبيه، لأن الله ليس بغافل ولا ساهٍ.

أما ذكر "يا" مع لفظ الرب في الموضعين الذين ذكرا في القرآن الكريم فلعله - والله أعلم - راجع للمقام الذي ذكرا فيه، وهو مقام شكاية من النبي صلى الله عليه وسلم، وإثبات "يا" في النداء هنا دليل على الحالة التي عليه القوم حيث أفادت "يا" التي تكون في الأصل لنداء البعيد، بعد القوم في هذه الحال عن الله سبحانه وتعالى مع أنه قريب، فلما هجروا القرآن ولم يؤمنوا صاروا

¹¹⁵ السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق، غ.ت، ج1، 167.

¹¹⁶ ن.م، 167.

¹¹⁷ القرآن الكريم، الزمر، 9.

¹¹⁸ محمد فؤاد عبد الباقي، المجمع المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، 1945م، 287. زدام، 2019م، 11.

¹¹⁹ القرآن الكريم، الفرقان، 30.

¹²⁰ القرآن الكريم، الزخرف، 88.

¹²¹ الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، ت: أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء العربية عيسى البابي الحلبي، 1957م، ط1، 213/3.

بمنزلة مَنْ أبعده الله فبعده، وربما كان ذكرها هنا تنبيهاً للقوم الذين يشكوهم، تنبيهاً لهم أنهم على هذه الحال قد أعذر فيهم، وأنه يشكو أمرهم إلى خالقهم، فلينتبهوا وليحذروا من عاقبة فعلهم.

تنويه: ومما ينبغي أن نُنبه عليه في هذا الموضع هو استحالة تطبيق الوظيفة التنبيهية على هذا النوع من النداء، وهو نداء الرَّب، فالله سبحانه وتعالى حيٌّ قيومٌ لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، لا يعقل ولا يسهو، يسمع ويبصر كلَّ شيءٍ، ويعلم ما في البر والبحر، مُطَّلَعٌ على خلقه، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وإضافةً للتَّنبية لله تَقْتَضِي نسبةً ما لا ينبغي أن يُنسبَ إلى الله سبحانه وتعالى، لذلك لن نتطرق للنداء الموجه إلى الله سبحانه وتعالى في حديثنا عن النداء ودلالاته على التنبيه في القرآن الكريم، ونكتفي بالقول؛ إنَّه دعاء، والتنبيه إن كان موجوداً فهو للنفس التي تُتأدي وتناجي لأنَّ الغفلة من طباعها، والغفلة هي من تحول دون استجابة الدعاء الذي لا يقبل من قلب ساه أو غافل، فتوقظه مناجاته لخالقه، فينادي العبد ربه تنبيهاً لنفسه التي بين جنبيه، أنها تناجي العظيم، الذي إليه المُنتهى وهو المَفْرَعُ.

ب. النداء بـ "أيها" في القرآن الكريم وصلته بالتنبيه

مرَّ معنا الكلام عن "أيها" في معرض حديثنا عن "ها" التنبيهية، وذكرنا أنَّه جيء بـ "أي" صلة لنداء المَعْرِفِ بـ "ال"، وأُضِيفَتْ لها "ها" التنبيهية، فاجتمع التنبيه في صيغة "يا أيها" من طريق النداء، ومن طريق "ها" التنبيهية.

وعند استعراض صيغ النداء في القرآن الكريم، نلاحظ استعمالاً واسعاً لصيغة "يا أيها"، إذ إنها استحوذت على شطرِ النداء تقريباً من جملة النداء في القرآن الكريم، حيثُ تكررت 143 مرة¹²² من أصل 361 نداءً، وشملت عدة أصناف من المناذِي، أشهرها نداء "الذين آمنوا"، الذي نُودِيَ في 91 موضعاً، وهو أكثر نداء تكرر في القرآن الكريم¹²³، أمَّا صيغة المؤنث "يا أيُّها"

¹²² عبد الباقي، 1945م، 110/112.

¹²³ السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م/ا، ج3، 110، زدام،

2019م، 80.

فلم ترد إلا في موضعين؛ نداء النفس المطمئنة، ونداء العير، ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾¹²⁴،
﴿أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسُرِقُونَ﴾¹²⁵.

واستخدام القرآن لـ "أيها" في النداء خير دليل على إرادة معنى التنبيه، لما فيها من مبالغة في تأكيد التنبيه من عدة أوجه؛ ما في "يا" من التأكيد والتنبيه، وما في "ها" من التنبيه، وما في التدرج من الإبهام في "أي" إلى التوضيح، والمقام يناسبه المبالغة والتأكيد¹²⁶، فالنداء من الخالق جلّ جلاله إلى عباده، يَعْظُمُ أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَوَعْدٌ وَوَعِيدٌ، وَأَمْرٌ عِظَامٌ جِسَامٌ، وَجَبَّ أَنْ يَنْتَبِهُوا لَهَا وَيَتَّقُوا، وَلَا يَغْفُلُوا عَنْهَا، فَنَاسَبَ الْحَالُ أَنْ يُنَادُوا بِمَا فِيهِ تَنْبِيهُ أَوْ كَدُّ وَأَبْلَغُ¹²⁷، وهذا ما يؤكد كلام أبي السعود في تفسيره لكثرة مجيئها، إذ يقول: «كثُرَ سلوكها في التنزيل المجيد، كيف ولا، وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الأحكام و الشرائع، وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بأن تقشعر منها الجلود، وتطمئن بها القلوب الآيبة، ويتلقوها بأذان واعية، وأكثرهم عنها غافلون، فاقتضى الحال المبالغة والتأكيد في الإيقاظ والتنبيه»¹²⁸، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَزُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾¹²⁹، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾¹³⁰.

ج. الاستفتاح بالنداء:

نَمَّة تَلَزَمُ بَيْنَ الْاِسْتِفْتَاكِ وَالتَّنْبِيهِ، فَالْأَصْلُ أَنْ تُنْبِئَ عَلَى الشَّيْءِ قَبْلَ ذِكْرِهِ أَوْ حَدِثِهِ حَتَّى لَا يَفُوتَ الْمَقْصُودُ مِنَ التَّنْبِيهِ، وَالْاِسْتِفْتَاكِ هُوَ وَصْفٌ لِمَوْقِعِ الْكَلِمَةِ فِي الْكَلَامِ، وَارْتَبَطَ كَثِيرًا بِأَدْوَاتِ

¹²⁴ القرآن الكريم، الفجر، 27.

¹²⁵ القرآن الكريم يوسف، 70.

¹²⁶ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي بيروت، غت، 58/1.

¹²⁷ م، ن، 58 / 1.

¹²⁸ ن، م، 58 / 1.

¹²⁹ القرآن الكريم، النساء، 59.

¹³⁰ القرآن الكريم، البقرة، 21.

التنبيه، حتى أنّ البعض يُعربها حروف استفتاح، ولا نعني بكلامنا عن الاستفتاح بالنداء، الكلام عن الاستفتاح بـ "يا" على ما يليها من منادى، فذلك معلومٌ، لأنّ المنادى في اللغة العربية لا يسبق أداة النداء، بل السبق لها على الدوام، فترتيبها من الرتب المحفوظة، بل نقصد بالاستفتاح بالنداء في القرآن الكريم؛ استفتاح السور بالنداء، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾¹³¹.

ولقد جاء النداء في القرآن الكريم في فاتحة عشر سور، هي "النساء"، و"المائدة"، و"الحج"، و"الحجرات"، و"الأحزاب"، و"المتحنة"، و"الطلاق"، و"التحريم"، و"المزمل"، و"المدثر"، خمسٌ منها كان النداء للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي "الأحزاب"، و"الطلاق"، و"التحريم"، و"المزمل"، و"المدثر"، والنداء كله من الله في تلك السور تنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم، أو لعباده على ما سيلي النداء من أمرٍ أو نهْيٍ وأحكامٍ جليّة تستدعي اليقظة واستشعار عظيم ما يأتيهم من ربهم، ولا دليل أوضح على ذلك من سورة المَزْمَلِ، والمدَّثَرِ، فهما من أوائل ما نزل من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾¹³²، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثَرُ﴾¹³³، فخاطبه الله سبحانه وتعالى بالنداء لينبئه إلى عظيم ما سينزلُ عليه، أو ينزل به، من الأمور التي ينبغي أن يتهيأ لها.

وهكذا جاء موقعُ النداء في مُسنَّهَلِ جملة من السور مُضْفِيّاً على النداء بعداً في التنبيه فوق الذي في أسلوب النداء، فصار النداء تنبيهاً على مجمل السورة لا على معنَى مُنفردٍ يتلو المنادى.

د. المنادى في القرآن الكريم

تنوع المنادى في القرآن الكريم من وجوه: فمن جهة الصياغة النحوية جاء المنادى العلم، والمضاف، والنكرة المقصودة، وغير المقصودة، وأكثرُ تلك الأصناف ذكراً هو المنادى المضاف، يليه نداء النكرة المقصودة، ثم نداء الأعلام، أما غير المقصودة فلم تأتي إلا في موضع واحد، وانعدم نداء الشبيه بالمضاف.

¹³¹ القرآن الكريم، المزمل، 1.

¹³² القرآن الكريم، المزمل، 1.

¹³³ القرآن الكريم، المدثر، 1.

ومن جهة المنادِي فالنداء قسمان؛ نداء من الله سبحانه وتعالى، ونداء من غير الله، فمن نداء الله؛ نداء الله لأنبيائه، ولعموم الناس، ولبني آدم، ولمعشر الجن والإنس، وللذين آمنوا، ولأولي الألباب، ولعباده، ولأهل الكتاب، ولبني إسرائيل، وللذين كفروا، ولإبليس، وللجمادات، ولذي القرنين، ولنساء النبي، وللنفس المطمئنة، أمّا النداء الآخر؛ فهو إمّا من الأنبياء لأقوامهم، أو من الأقوام لأنبيائهم، أو من الملائكة أو إلى الملائكة، أو نداء الناس لأنفسهم، ونداء العباد لبعضهم ، ونداء من النساء، ونداء من الحيوانات، ونداء من الجنّ، ونداء من الشيطان، ونداء من فرعون.

ويمكن تصنيف المنادى في القرآن صنفين: منادى عاقل؛ ويشمل النداء العام، ونداء الفئات، ونداء الأعلام، ومنادى غير عاقل؛ نداء الحيوانات، نداء الجمادات، نداء التمني والويل والحسرة.

1- نداء العاقل:

(أ). النداء العام:

استعمل القرآن الكريم صيغاً عامة في النداء، تشمل جميع المكلفين من الإنس والجنّ، وغالبها كان للإنس، وهذه الألفاظ هي: "الناس"، و"الإنسان"، و"العباد"، و"بني آدم"، و"معشر الجن والإنس"، وتفيد كلها العموم، ولا تكاد تختلف في اشتغالها على عموم ما تحتها، فالناس و"الإنسان" و"الإنس" و"بني آدم" هم البشر، وهم عباد الله، ويشترك معهم في العبودية الجن.

وجاء هذا التنوع في الخطاب ليشمل المكلفين على تعدّد أحوالهم، إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، مؤمنهم وكافرهم، وتصدر النداء الآيات القرآنية لما له من تأثير في النفوس، وتنبه للغافلين، والمعرضين، فنوّدوا بما يُحرك عاطفتهم وعقولهم وأرواحهم، بأسلوب جامع مانع، ليتنبهوا إلى ما يدعوهم إليه من الإيمان بالله، وإفراده بالعبودية، والإيمان بالرسول وما يحملونه من حقّ أُرسّلوا به.

وستتوقّف عند كل صنف من تلك الأصناف بشيء من التوضيح من غير إطالة، حتى لا نخرج عن هدفنا، والبداية ستكون مع نداء الناس لأنّه الأكثر من بين المنادى العام.

نداء "الناس": تكرر نداء "الناس" في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة¹³⁴، تصدر غالبها الآيات التي جاءت فيها، مسبوقاً أحياناً بلفظ "قل"، وكلها جاءت بصيغة النداء "يا أيها"، فيما حذف "يا" في موضع واحد وهو قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾¹³⁵، وقد اقترن نداء الناس بالكلام عن الخلق، والبعث، والنشور، وذلك تنبيهاً لهم على أصلهم، وضعفهم، وتنبيهاً لهم على أن لهم خالقاً ينبغي أن يعبدوه، ولا يشركوا معه غيره، فكما أنه لا خالق غير الله، فلا معبود بحق سواه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾¹³⁶، ففي نداء الناس وتخصيصهم بالخطاب، تنبيهاً للغافلين منهم والمعرضين عن سبيل الحق، وهزاً لأسماعهم لعلهم يتدبرون، فثخبت قلوبهم لما جاءهم من الحق، وتخصيص هذا النداء بالنداء بـ "أيها" يتناسب مع معنى العموم في لفظ الناس لأن "أيها" تفيد المبالغة في التنبيه من عدة وجه سبق وذكرناها، والمبالغة هنا تناسب حال الجمع الذي تنطوي عليه لفظة الناس فمن الناس من هو معرض ومكابر وغافل وساهٍ وفيهم المؤمن الذي يزيد التنبيه تنبيهاً، وقد وصف الله حال الناس بقوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾¹³⁷، وفي هذا بيان أن القلة القليلة من الناس من ينتفعون بكلام الرسل ويؤمنون وغالبهم المشركون المقيمون على شركهم وكفرهم، وتخصيصهم بتنبيهه زائد على غيرهم فيه مراعاة لحالهم.

نداء "الإنسان": الإنسان اسم جنس يقع للمذكر والمؤنث، للمفرد والجمع، وقد وُصفَ الإنسان في القرآن الكريم بأنه عجولٌ كثير الجدل، هلوغٌ عند المصيبة، منوعٌ للخير الذي عنده، ضعيف في كل أحواله، وليس له صلاح إلا برجوعه إلى ربه حتى يجبر كسره ويستتر عيبه، وقد ورد نداء الإنسان في موضعين في الذكر الحكيم، وكانت الغاية من النداء تنبيه الإنسان إلى ضعفه أمام خالقه، ودُكر في كلا الآيتين لفظ "رب" متصلاً بكاف الخطاب "ربك"، وكان النداء بصيغة "يا أيها"، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾¹³⁸، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ

¹³⁴ زدام، 2019م، 17.

¹³⁵ القرآن الكريم، النساء 133.

¹³⁶ القرآن الكريم، البقرة 21.

¹³⁷ القرآن الكريم يوسف 103.

¹³⁸ القرآن الكريم، الانفطار 6.

كَدَحًا فَمُلْفِيهِ¹³⁹، في آية "الانفطار" تقدم نداء الإنسان على سؤال فيه تقييع وتأنيب، ووقت السؤال هو يوم القيام، سؤال سَيَصْعَبُ الإجابة عنه، سؤال ينتظر كل من عصى الله؛ ما الذي دفعك لتعصي ربك؟، وقد جاء النداء بلفظ الإنسان لإفادة العموم، تنبيهاً لكل مَنْ يسمع هذا الكلام أنه هو المقصود؛ فتنبه قبل أن تقف ذلك الموقف، وتحير جواباً لذلك السؤال، فتنبه يا من عصيت ولا تستصغر ذنباً، ولا تغتر لأنه لم يُعاجلك بالعقوبة، والنداء هو الذي تولى وظيفة التنبيه في الآية، والمنادى هنا وإن خُصَّص بعينه بلفظ الانسان إلا أنه يفيد عموم الجنس، فهو نداء خاص لإنسان أصابه نوع من الغفلة، فعصى ربّه، وحال بينه وبين طاعة خالقه حائل لا يعفيه من عقابه.

نداء العباد: العباد جمع "عبد"، ويجمع كذلك على عبيد، لكن النداء في القرآن الكريم لم يأت إلا بصيغة (يا عبادي)، لأن المقصود بـ "العباد"؛ هم العباد الصالحون، المُقَرَّوْنَ بالتوحيد، الصّارِفون عبوديتهم لله جل جلاله، أمّا "عبيد"؛ فتنصّرف غالباً للمعرضين المكذبين، فناسب ذلك الإعراض عن تخصيصهم بالنداء، فالنداء تنبيه، وهؤلاء لا نفع في تنبيههم، لأن إعراضهم عناد للحق، لا عن جهلٍ وغفلةٍ.

وَوَرَدَ نداء "العباد" خمس مرات في التنزيل الحكيم، ثلاث في سورة "الزمر"، وواحد في "العنكبوت"، وواحد في "الزخرف"، ومن نداء "العباد" قوله سبحانه جل شأنه: ﴿قُلْ يُعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾¹⁴⁰، ولك أن تلاحظ كيف جاء النداء للعباد لِيُنَبِّهَهُمْ على ما نُودُوا من أجله، ويقفوا على عظمتهم، وزاد الكلام تنبيهاً وقوعه مقولاً لفاعل الأمر "قل"، وأضيفت لفظة "عباد" إلى ياء المتكلم "عبادي"، إضافة تشريف تُفيدُ الأَمْن من العذاب¹⁴¹، فالخطابُ مُوجَّه للعباد المؤمنين الذين أسرفوا على أنفسهم في الذنوب، ووجلت قلوبهم خوفاً ممّا اقترفوه، فجاءهم النداء من العَظِيم، لِيُوقِظَ فيهم التفاؤلَ، وَيُنَبِّهَهُمْ إلى رحمةٍ وَسِعَتْ كل شيء ما دون الكفر، فلا ييأسوا، فرحمته أوسعُ من كل ذنوبهم مهما كثرت، ما داموا مُسْتَحِقِّين للفظ العباد، فالبشرى لعباد الله الصالحين، ولم ينادَ هذا الصنف بـ أيها لأنه

¹³⁹ القرآن الكريم، الانشقاق 6.

¹⁴⁰ القرآن الكريم، الزمر 53.

¹⁴¹ الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب/ التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1420هـ،

ليس بغافلٍ غفلة الأصناف التي سبقت بل هو حاضر القلب مؤمن بريه لكنّه لما اعتراه بعض ما يعترى الخلق من النقص والوقوع في الزلل نبههم إلى أمر قد تذهل عنه مداركهم ألا وهو رحمة الله التي وسعت كل شيء إلا الشرك به، فلما أراد أن يُنبههم إلى عظيم رحمته ناداهم بلفظ العباد وأضافهم إليه تشریفاً لهم، وذكرُ لفظ العباد دون لفظ الناس والإنسان لتتناسب مع الرحمة، لاقتزان الرحمة بالفئة التي تبتغيها بعملها، وليس بمجرد التمني وهم معرضون، فالرحمة تسع من يشاء الله من عباده.

نداء بني آدم: آدم عليه السلام هو أبُ البشر جميعاً، وإليه ينسبون فيقال: "بنو آدم"، فنداء الناس بلفظ "بني آدم" هو صيغة عموم لدخول البشر كلهم فيها؛ ذكرهم وأنثاهم، مؤمنهم وكافرهم، عربهم وعجمهم، على مرّ الزمن، وفي نداء الناس بنسبتهم لأبيهم آدم، تنبيهٌ لهم على أصلهم فهُم من آدم، وآدم من تراب، وتنبيهٌ على عداوة الشيطان لهم، والتي بدأت مع أبيهم آدم منذ خلقه الله، فهو الذي أقسم على إغوائهم، وجرّهم إلى ما جرّ إليه أباهم آدم من قبل.

وتكرّر النداء بـ "يا بني آدم" في خمسة مواضع، أربعة منها في "الأعراف"، وواحدة في "يس"، فمما جاء في الأعراف قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتَنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾¹⁴²، فالله يُنادي الناس بنسبتهم لأبيهم آدم، تحذيراً وتنبيهاً لعموم ولد آدم لإتقاء فتنة الشيطان التي يعرضها على الجميع، فتنبهوا حتى لا يغويكم الشيطان، وتخصيص النداء بلفظ "بني آدم" يتناسب مع قصة آدم التي ذكرت في بداية السورة، فتذكيرهم بنسبتهم لآدم تنبيهٌ لهم أنّهم معرضون لما وقع فيه أبوههم آدم من قبلهم، وكيف أنّ الشيطان أغواه، فالنداء بلفظ بني آدم تنبيه على النواهي والأوامر التي تعقب النداء، فجاء جل النداء في هذه السورة، إلا نداء واحداً جاء في سورة "يس" وفيه تحذير من الشيطان شأنه شأن الآيات في سورة الأعراف.

نداء الجنّ والإنس: وهذا نداءٌ أعمُّ ممّا سبق، فهو نداءٌ يجمع الثقلين؛ الإنس والجن، فيشملُ نداء "الناس"، و"الإنسان"، و"بني آدم"، مضافاً إليه "الجنّ"، وجاء نداء الثقلين في موضعين، وانفردت "الجن" بنداء واحد في كل القرآن الكريم¹⁴³، واقتزانُ الجن بالإنس في النداء دليل على

¹⁴² القرآن الكريم، الأعراف، 27.

¹⁴³ زدام، 2019م، 53.

الاقتران بالتكليف، فكما أنّ الإنسان مُطالبٌ بالإيمان بالله، وعبادته، فالجنُّ مطالبٌ بذلك، وأمّا ما انفردت به الجن من نداء، فقد كان تنبيهاً وتوبيخاً لهم على سعيهم في إغواء الإنسان، وأنهم سيتحملون وِزْرَ مَنْ أَضَلُّوهم معهم، وسيُسالون عن ذلك يوم يحشرهم جميعاً وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ﴾¹⁴⁴.

وجاء نداء "الإنس والجن" مجتمعين في سورة الرحمن، في قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾¹⁴⁵، مُنبِّهاً ومُبيِّناً ضعف الاثنين وعجزهما عن الهروب من العذاب، الذي تُوعِدُوا به على كُفْرِهِم وإعراضِهِم عن الحق، فأدّى النداء دور الوظيفة التنبيهية في الكلام من خلال جمعه الجنّ والإنس في نداء واحد، يُنبِّه من يسمعه أنّ المنعم عليهم جميعاً هو الله، وهو الذي يعلم الغيب، وليست الجن بأفضل حالاً من الإنسان بل هم عباد الله ضعفاء لا سلطان لهم خارج سلطانه، فلا يَقْتَرِنَنَّ إنسيٌّ بجنيٍّ فهم في الحال سواء، وأكثر هذا النداء جاء في سورة الأنعام.

(ب). نداء الفئات:

وتُعني بندا الفئات، نداء فئة معينة مخصوصة بأمرٍ، وهو عامٌ من جهة شموله لطائفة لا لفرد، وخاصٌ من جهة اختصاصه بطائفة معينة دون غيرها، كنداء "الذين آمنوا"، و"أولي الألباب"، و"أهل الكتاب"، و"بني إسرائيل"، و"الكفار"، و"الذين كفروا"، وقد خُصَّت كلُّ فئة منها بندا خاص، يَعْقُبُ ذلك النداء أمرٌ يندعي أن تتنبّه له كل فئة بعينها، وكثُرَ نداء أهل الإيمان وقلَّ نداء الكفار.

نداء الذين آمنوا: النداء الأكثرُ ذكراً في القرآن الكريم، من جهة المنادى، تكرر إحدى وتسعين مرة، كلها جاءت بصيغة "يا أيها"، باستثناء موضعين حذف فيهما الأداة "يا"¹⁴⁶، وعِلَّةُ كثرته – والله أعلم – ارتباطه بأحكام الدين من أوامرٍ ونواهي، فقد ذكّر ابن مسعود مكانة هذا النداء في بيان التشريع وسن الأحكام فقال: «إذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا)، فأوعها سمعك،

¹⁴⁴ القرآن الكريم، الأنعام، 128.

¹⁴⁵ القرآن الكريم، الرحمن، 33.

¹⁴⁶ زدام، 2019م، 80.

فإنه خير يأمر به، أو شرٌّ يُنهي عنه»¹⁴⁷، وأطلق الزركشي على هذا النداء؛ نداء المدح¹⁴⁸، وتردد هذا النداء في السور المدنية غالباً، لأن الخطاب موجّه إلى المجتمع المسلم المؤمن الذي أمْتَنَل ما جاء في نداء العموم، فارتقى إلى أن يُنادى بصفةٍ مَدْحٍ أَحْصَ، ويُخصَّص بأوامر ونواهٍ لا تَخْتَصُ بغيرهم، فناداهم بأحبِّ الأوصاف إليهم، تنبيهاً لهم وإيناساً لقلوبهم، لِتُقْبَلَ على الأمر فَنَمْتَل به، وعلى النَّهي فَنُقْلَع عنه.

وَأَسْتَفْتَح بِنِداء "الذين آمنوا" ثلاث سور؛ "المائدة"، "الحجرات"، "المتحنة"، وَخُتِمَتْ به "آل عمران"، و"المتحنة"¹⁴⁹، تنبيهاً على ما في تلك السور من معانٍ جَلِيلَةٍ تُودُوا من أجلها، فأحكام الإسلام كُلُّها مُتَوَطَّةٌ بهذه الفئة، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلُمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾¹⁵⁰، فلاحظ كيف اسْتَفْتَح بالنداء تنبيهاً لهم على حُرْمَةِ أشياء كانوا يفعلونها، فَمَهَّدَ بالنداء، نداء المؤمنين، لِيَسْتَحْضِرَ فيهم ما يؤهلهم لامْتِنَالِ الأوامر والنواهي التي تناطُ بهم، ألا وهو إيمانهم بالله الذي يقتضي عملاً يزيد الإيمان في قلوبهم، ويحفظه حتى لا تسلبه المعاصي والذنوب منهم، فتخصيص المؤمنين بالنداء تنبيهاً لهم على علوِّ ما وصلوا إليه، وينبغي عليهم المحافظة عليه، وتحذير من كيد الشيطان الذي يلبس عليهم دينهم.

ونقفُ عند آيةٍ أخرى لنداء المؤمنين، لِنرى أثرَ النداء في اسْتِنَارَةِ العقولِ وتنبيهِ القلوبِ للخضوعِ للأمرِ المُوجَّه إليها، نقف مع قولِ الله تعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾¹⁵¹، تصدَّر نداء المؤمنين الآية ليكون تنبيهاً لهم على عِظَمِ وَجَلالِ ما سَيُؤْمَرُونَ به، وأيُّ أمرٍ أعظمُ من طاعة الله وطاعة رسوله؟ فالطاعة

¹⁴⁷ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م، ط2،

374/1.

¹⁴⁸ السيوطي، الإتيان، 1974م/أ، 3/110.

¹⁴⁹ زدام، 2019م، 81.

¹⁵⁰ القرآن الكريم، المائد 90.

¹⁵¹ القرآن الكريم، النساء، 59.

من مُفْتَضَى الإيمان، وهذه الآية كما قال الرازي شملت أصول الفقه والتشريع؛ "الكتاب"، و"السنة"، و"الإجماع" و"القياس"¹⁵²، فَنَبَّهَهُمْ عَلَى مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَحُسْنُ مَأَلِهِمْ.

ومما يُلْحَظُ عَلَى هَذَا النِّدَاءِ أَنَّ وَصْفَ الْإِيمَانِ جَاءَ بِجُمْلَةٍ فَعَلِيَّةٍ وَقَعَتْ صِلَةٌ لِاسْمِ الْمَوْصُولِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْفِعْلَ يَفِيدُ الْحَدِيثَ وَالتَّجَدُّدَ عَلَى عَكْسِ الْاسْمِ الَّذِي يَفِيدُ الثَّبُوتَ، فَلَمْ يَقُلْ: يَا "مُؤْمِنُونَ" عَلَى سَبِيلِ إِثْبَاتِ الْإِيمَانِ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الدَّوَامِ، بَلْ قَالَ: الَّذِينَ آمَنُوا، فَأَنْزَلَهُمْ مَنْزِلَةً مِنْ ادْعَى أَمْرًا وَيَحْتَاجُ بَرَهَانًا عَلَيْهِ، فَوَصَفَهُمْ هَذَا لَا يَعْنِي لَزُومَهُ لَهُمْ، بَلْ قَدْ يُسَلَبُ مِنْهُمْ فِي حَالِ عَدَمِ مُتَابَعَتِهِمْ لِلْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي الَّتِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ.

نداء أولي الأبواب والأبصار: والمقصود بـ"أولي الأبواب والأبصار"، هم أهل الأحلام والنهي، أهل العقولِ وَبُعْدِ النَّظَرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا الْكَافِرِينَ، فَهَذِهِ الْفِتْنَةُ فَرْعٌ مِنَ الْفِتْنَةِ الَّتِي سَبَقَتْ، فَالنِّدَاءُ هُوَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَصْحَابِ الْعَقْلِ وَالْبَصِيرَةِ، وَلَيْسَ لِعَمُومِ مَنْ آمَنَ، فَهُوَ نَوْعٌ مِنْ تَخْصِيصِ النِّدَاءِ لِمَنْ مَثَلُهُ بَعْدَهُ، فَزِيَادَةُ التَّشْرِيفِ تَلَازِمُ زِيَادَةَ التَّكْلِيفِ، فَمَنْ شَرَّفَهُمُ اللَّهُ بِعَقْلِ وَحِكْمَةٍ، كَلَّفَهُمْ بِفَهْمِهِمْ وَتَقْوَى، وَجَاءَ نِدَاءُ "أُولِي الْأَبْوَابِ" أَرْبَعَ مَرَّاتٍ وَ"أُولِي الْأَبْصَارِ" مَرَّةً وَاحِدَةً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾¹⁵³، تَتَحَدَّثُ الْآيَةُ عَنِ الْاِقْتِصَاصِ فِي الْقَتْلِ، وَوَصِفَ الْقِصَاصِ بِالْحَيَاةِ، وَالْمَعْلُومُ أَنَّ الْقِصَاصَ هُوَ قَتْلٌ، فَكَيْفَ يُوصَفُ أَنَّهُ حَيَاةٌ؟ ثُمَّ يَأْتِي النِّدَاءُ لـ"أُولِي الْأَبْوَابِ" عَقِبَ ذَلِكَ التَّشْرِيعِ الْعَظِيمِ، لِنَتَنَّبَهُ إِلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَحْتَاجُ تَدْبِيرًا، لِخَفَائِهِ عَلَى مَنْ لَمْ يُعْمَلْ عَقْلُهُ وَيَمْتَثِلْ أَمْرَ رَبِّهِ، فَالآيَةُ تُعْظِمُ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ وَلَا تُعَدِّلُ بِهَا إِلَّا حَيَاةَ إِنْسَانٍ آخَرَ، وَهَذَا الْفَهْمُ لَا يَغِيبُ عَنِ أَصْحَابِ الْعَقْلِ وَالتَّدْبِيرِ، لِأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ، فَقَتْلُ نَفْسٍ قِصَاصًا فِيهِ حَيَاةٌ نَفْسٍ كَثِيرَةٌ حُفِظَتْ بِهَذَا الْحُكْمِ، وَلَوْ تَرَكَ الْحُكْمُ لِأَصْحَابِ الْعَوَاطِفِ لَجَرَ الْقَتْلُ قَتْلًا كَثِيرًا وَضِياعًا لِلْحَقُوقِ، لِأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ بِعَيْنِ الْعَاطِفَةِ لَا الْعَقْلِ، وَتَشْرِيعُ اللَّهِ تَشْرِيعٌ حَكِيمٌ قَدْ تَغَيْبُ حِكْمَتُهُ عَنِ كَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَأَجْدَرُ النَّاسِ بِفَهْمِ هَذَا الْحُكْمِ هُمُ أَهْلُ الْأَبْوَابِ، فَخُصُّوا بِالنِّدَاءِ تَنْبِيهًا لَهُمْ عَلَى إِعْمَالِ عَقُولِهِمْ فِي حِكْمَةِ هَذَا التَّشْرِيعِ الَّتِي يَخَالِفُ الْمَعْهُودَ عِنْدَ الْعَرَبِ الَّذِينَ يَرُونَ النَّارَ حَلًّا، حَتَّى صَارَ الْمَثَلُ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْقَتْلَ أَنْفَى لِلْقَتْلِ، وَبَيْنَ هَذَا الْمَثَلِ وَالْآيَةِ بَوْنٌ شَاسِعٌ، يَمَثُلُ الْفَرْقَ الْكَبِيرَ بَيْنَ تَشْرِيعِ الرَّبِّ وَتَشْرِيعِ الْخَلْقِ، فَالْخَلْقُ يَعْنِيهِمْ شِفَاءَ غَلِيلِ صُدُورِهِمْ وَلَوْ كَانَ ظَلَمًا، فَيَقْتُلُونَ

¹⁵² الرازي، 1420هـ، 112./10.

¹⁵³ القرآن الكريم، البقرة، 179.

من يرون قتله شفاء لصدورهم حتى لو كان قريباً للقاتل، ولا يعينهم حقن الدم، أما الآية فتذكر القصاص وتخصه بالفاعل، فتحقن أول الأمر دماء أهل القاتل، وتحقن بدمه دماءً أخرى تسفك بالثأر له، وحكمة هذا التشريع تتطلب أولي الألباب ليُدركوها ويلتزموا بها، ويغلبوا حكم الله على ما في الصدور، ولا سيما حال وقوع المصيبة التي تُذهل العقول، فخصَّ الله أولي الألباب لينبهم أنَّهم هم من يُدركون هذا الأمر، ويحكِّموا عقولهم لا قلوبهم.

نداء النفس المطمئنة: النفس في القرآن على ثلاثة أُصْرُبٍ؛ نفسٌ "أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ" ونفسٌ "لَوَّامَةٌ" ونفسٌ "مُطْمَئِنَّةٌ"، والنفس هي جوهر الإنسان، ولم ينادَ من تلك النفوسِ إلا النفسُ "المطمئنة"، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾¹⁵⁴، وهذا النداء للنفس هو واحدٌ من ندائين اثنين في القرآن جاء بصيغة المؤنث "أيتها"، وهو الوحيد للنفس، وفي ذلك تنبيهٌ على عَظَمَةِ هذه النفس وَقَدْرِهَا عند الله، فلا يدخل الجنة سواها، فَبَشِّرَتْ بِدخول الجنة لِتَصْبِرَ على ما يُصِيبُهَا في الدنيا، لِتَطْمَئِنَّ في آخرتها.

هذه الفئات التي ذُكِرَتْ (الذين آمنوا، وأولو الألباب، والنفس المطمئنة)، كلها آمنت بالله فنادها نداء تشريف، وبين تلك الصِّيَغِ عموماً وخُصوصاً، فالنَّفْسُ "المطمئنة" و"أولو الألباب" داخلون في نداء "الذين آمنوا"، وما خُصُّوا بالنداء إلا لخصوصٍ في الأمر، وتبنيهاً لِفَضْلِ كل فئة على غيرها، أمَّا الفئات الأخرى فهي الفئات الكافرة، وشمل نداؤها ثلاث فئات؛ "بنو إسرائيل" و"أهل الكتاب" و"الكفار".

نداء بني إسرائيل: "إسرائيل" هو نبي الله "يعقوب"، والمقصود ببني إسرائيل ذرية يعقوب التي تتألى بَعَثُ الأنبياء فيهم، وكَثُرَ فيهم تكذيبُ الرُّسُلِ وقتلُهم، وَجَدُّ نَعَمَ اللهُ عليهم وهو الذي فَضَّلَهم على كثيرٍ من خلقه، فَبَعَثَ فيهم الأنبياء وأتاهم ما لم يُؤْتِ غيرهم، فما زادهم ذلك إلا جَدًّا واستكْبَاراً على غيرهم، والمعنيُّ بنداء "بني إسرائيل" هم اليهود في المدينة، ففي ندائهم تنبيهٌ لهم على إِنْعَامِ اللهُ عليهم، ومُقَابَلَتِهِمْ إِيَّاهَا بالإعراض عن الحقِّ الذي أنزَلَ إليهم.

¹⁵⁴ القرآن الكريم، الفجر، 27.

وتكرر نداء "بني إسرائيل" ستّ مراتٍ ثلاثٍ منها في "البقرة" والباقي جاء في "المائدة" و"طه" و"الصف"، وتُودُوا بِنَسَبِهِمْ لَا بِدِيَانَتِهِمْ، فتذكيرهم بأصلهم أَدْعَى لِتَنْبِيهِ عَقُولِهِمْ وَجَذَبَ قُلُوبَهُمْ، قال الله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآرْهُنَا﴾¹⁵⁵، فالنداء هنا تنبيهٌ لليهود وتذكيرهم بإعلاء شأنهم، وأنهم مخاطبون بهذا الدين الذين هم أعرَفُ الناس بحقيقته لأنهم أهل كتاب، وتنبيهٌ للعرب على لُحُوقِ الفضل بهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم فهو مُرْسَلٌ للعرب وغير العرب¹⁵⁶.

وتكرّر أغلب هذا النداء في سورة البقرة التي ذكرت فيها قصة بقرة بني إسرائيل وغيرها من القصص التي ذكرت عنهم، وهو ربط للأوامر بالقصاص التي سبقت، فنداؤهم بنسبهم فيه تنبيهٌ وتذكير بنعم الله قبل أن يؤمر بتذكريها، فلا يسمع ببني إسرائيل أحد إلا وتذكر عظيم نعم الله عليهم، فكيف لو ناداهم به، هل سينكرون أصلهم أم ينكرون نِعَمَ المنعمِ المقترنة بالاسم.

نداء أهل الكتاب: وهذا النداء قريب من النداء السابق لكنّه أعمّ، فأهل الكتاب وصف يشمل اليهود والنصارى، ونداؤهم بهذا الوصف تنبيهٌ لهم وتذكيرهم بدينهم الحق، الذي أنزل عليهم في كُتُبِهِمْ، وميّلٌ عن نَسَبِهِمْ للكفر تَأْلِيفاً لقلوبهم، وقد جاء نداء "أهل الكتاب" ثلاث عشرة مرة، جُلّها كان في سورتي "آل عمران" و"المائدة" والنداء هنا يتناسب مع محتوى السور التي تتحدث عن أهل الكتاب ونبوة عيسى، وكيف حملته أمه مريم، فعيسى نبي من أنبياء بني إسرائيل أنزل عليه الإنجيل كما أنزل على موسى التوراة، ومحل الشاهد في ذكر التوراة والإنجيل وجمع الناس تحت مسمّى أهل الكتاب، هو تنبيه المنادى أنّ الحق الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو كتاب من عند الله، والإيمان به واجبٌ وحبّ إيمانكم بكتبكم السابقة التي أنزلت على الأنبياء من قبل، وفيها تنبيهٌ على ذكر النبي في تلك الكتب وتبشيرها به، ونبوة آخر الزمان، فمناداتهم بهذا الوصف هو تحفيز وتنبيه لهم للامتثال بالتوراة والإنجيل التي تقتضي وصولهم للإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لا معاداته ومحاربتة.

¹⁵⁵. القرآن الكريم، البقرة، 40.

¹⁵⁶. الرازي، 1420 هـ، 482/3.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِالنُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلِيُزِيدَنَّا كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾¹⁵⁷، ففي نداءهم بهذا اللفظ تنبيهٌ لهم على غفلتهم عن الحق المائل أمامهم، فهم مخطئون، لأن هذه الكتب كلها من عند الله فالحق الذي نزل في "التوراة" و"الإنجيل" هو ما جاء به "القرآن"، فهم من هذا القبيل أولى الناس بالإيمان به قبل غيرهم، لعدم التباس الحق عليهم، فإن أعرضوا عنه فلن ينفعهم دينهم الذي هم عليه، لأنهم بهذا يكفرون بكتبهم وبرسالة النبي صلى الله عليه وسلم فاستحقوا وصف الكفر، ولا كرامة لما يدعونه ما لم يصدقه العمل.

نداء الكفار: قل في القرآن الكريم نداء "الكفار" فلم يأت إلا في موضعين، لتضمنه الإهانة¹⁵⁸، وربما إعراضاً عنهم لإعراضهم عن الحق، والكفر من أقبح الأوصاف، ومن هذا وصفه لا يُنادى لِيُنْتَبِهَ لِحَقِّ أَعْرَضَ عَنْهُ، بل يُنادى تَنْبِيْهًا عَلَى عَظِيمِ جَرْمِهِ، وِبِرَاءَةٍ مِنْهُ، وَعَدَمِ قَبُولِ عُدْرٍ لِكُفْرِهِ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ، لأن الأوان قد فات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾¹⁵⁹، أمّا نداء سورة "الكافرين" فتنبيةٌ للكافرين على البراءة منهم ما داموا على وصف الكفر، فلا يجتمع الكفر والإسلام ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ...﴾¹⁶⁰، فالنداء نداء تنبيه للكفار وهو بمثابة النداء الأخير في أذن كل من أصر على اتباع الباطل واجتناب الحق، فوصل إلى أن استحق لفظ الكفر حقيقة، فمن لم ينتفع بنداء العموم من لفظ الناس والإنسان وبني آدم ومعشر الجن والإنس، ونداء الخصوص لبني إسرائيل وأهل الكتاب الذين تختلف حالهم من زمن إلى آخر، فهو وصف لا يعنى لزوم الإيمان لصاحبه كل حين، فنودي باللفظ الذي يلزمه وهو الكفر، لأن من لم يكن مؤمناً كان كافراً، ولا وسط بين هذين الوصفين.

¹⁵⁷ القرآن الكريم، المائدة، 68.

¹⁵⁸ السيوطي، الإتقان، 1957م/ا، 110/3.

¹⁵⁹ القرآن الكريم، التحريم، 7.

¹⁶⁰ القرآن لكريم، الكافرون، 1.

(ج). نداء الأعلام

القسم الثالث من نداء العاقل في القرآن الكريم هو النداء الموجه إلى الأعلام، وليس المقصود بالأعلام المُنَادَى الاسم العلم، بلُ نعني به ما كان علماً على أشخاص بعينهم، سواء كان المنادى علماً أو مضافاً أو غير ذلك، ويمكن تقسيم المنادى هنا إلى: نداء "الأنبياء" عليهم السلام، ونداء "الشخصيات"، ونداء "اجتماعي".

نداء الأنبياء: الأنبياء هم من يحملون رسالة الله، ويُبلِّغونها إلى من أمرهم الله أن يبلغوها إليه، وقد وقع في القرآن الكريم الكثير من النداء للأنبياء والرسل، وهو إمّا موجه من الله أو من أقوامهم، وقد تفاوت ذلك النداء من حيث الصيغة ومن حيث العدد، ويمكن أن نقسمه إلى نداء موجه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ونداء موجه إلى بعض "الرسل"، والنداء للأنبياء استنهاضاً لهممهم، وتنبيةً على عظيم ما كُفِّوا به واصطفوا من أجله.

نداء النبي صلى الله عليه وسلم: لم يقع في القرآن الكريم نداء للنبي صلى الله عليه وسلم باسمه الصريح "محمد"، على خلاف سائر الأنبياء الذين تُودوا بأسمائهم، بلُ جاء النداء بـ "يا أيها" ملحقاً بمُنَادَى معرّفٍ بـ(ال) جُلُّهُ كان بلفظي "النبي" أو "الرسول" وذلك من باب الرِّفْعَةِ والتَّشْرِيفِ، قال السيوطي: «لم يقع في القرآن الخطاب بـ "يا محمد" بلُ (يا أيها النبي)، (يا أيها الرسول) تعظيماً له وتشريفاً وتخصيصاً بذلك عما سواه وتعليماً للمؤمنين أن لا ينادوه باسمه»¹⁶¹، أمّا ما ذكر فيه اسم النبي صلى الله عليه وسلم صراحة، فهو في موضع الإخبار لا النداء، وكلها قرُنَ فيها بلفظ الرسالة صراحةً أو ضمناً، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾¹⁶²، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾¹⁶³، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾¹⁶⁴، ﴿وَأَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ﴾¹⁶⁵، وقد

¹⁶¹ السيوطي، الإتقان، 1957م/110/3.

¹⁶² القرآن الكريم، الفتح، 29.

¹⁶³ القرآن الكريم، الأحزاب، 40.

¹⁶⁴ القرآن الكريم، آل عمران، 144.

¹⁶⁵ القرآن الكريم، محمد، 2.

جاء نداء النبي صلى الله عليه وسلم في واحدٍ وعشرين موضعاً، كلُّها بصيغة "يا أيها" تنبيهاً للمخاطب على أهمية الأمر الموجه إليه، وقد قدمنا أنّ "أيها" فيها زيادة تنبيه ومبالغة، وزيادة التنبيه تقتضي غفلةً أو سهواً في المخاطب، فكيف جاء كل نداء للنبي بهذه الصيغة؟ والجواب عليه من وجوه عدة، الأول: إن زيادة التنبيه والمبالغة لا تقتضي في كل الأحوال غفلة المنادى، بل ربما كانت تنبيهاً على المخاطب بذاته، قبل تنبيهه هو على ما سيطلب إليه، الثاني: هو إنزال المخاطب الحاضر القلب والفكر منزلة الغافل في الخطاب، تنبيهاً وتعظيماً للأمر الملقى على المخاطب، ولا سيما أنّ غالب تلك الأوامر عامة لمن يتبعه ويسير على هديه، فتعظيم الأمر على النبي يقتضي زيادة تعظيمه على من هو دونه في الفضل والمنزلة، الثالث: أنّ الخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم، فالتنبيه ليس له بقدر ما هو موجه لمن يتلقى عنه، وهؤلاء فيهم الغافل والمعاند والمكابر، فناسبهم الخطاب الذي يحمل درجة أعلى في التنبيه، وتشمل حال كل مخاطب.

وقد افتُتِحَتْ بِنْدَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسُ سُورٍ، اثْنَانِ مِنْهَا بِلَفْظِ "الْمَزْمَلِ" و"الْمَدَثَرِ"، وَالْبَقِيَّةُ بِلَفْظِ "النَّبِيِّ" أَوْ "الرَّسُولِ" قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾¹⁶⁶، فَانظُرْ كَيْفَ أَدَّى النِّدَاءُ وَظِيْفَةَ التَّنْبِيهِ، مَبِينًا عُلُوَّ مَنْزِلَةِ الْمُنَادَى، وَعَظِيمَ مَا وُكِّلَ إِلَيْهِ.

نداء بعض الأنبياء والرُّسل: الغالبُ على نداء الرسل نداءهم بأسمائهم، وجاء ذلك في ثمانية وخمسين موضعاً، كلها بـ "الأداة" "يا"، وأكثرُ مَنْ نُودِيَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ "مُوسَى" عَلَيْهِ السَّلَامُ، نُودِيَ خَمْسًا وَعَشْرِينَ مَرَّةً¹⁶⁷، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ بِمُوسَىٰ﴾¹⁶⁸، ﴿يُمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾¹⁶⁹، فِي الْآيَتَيْنِ نُودِيَ مُوسَى رَفْعًا لِمَكَانَتِهِ، فَهُوَ الْكَلِيمُ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، وَتَنبِيْهًا لَهُ عَلَى عَظَمَةِ مَنْ يُخَاطَبُهُ، وَعَظْمِ الْمُهْمَةِ الْمُلَقَاةِ عَلَى عَاتِقِهِ، فَناداه الله جَلَّ جلاله تنبيهاً له وتثبيناً لقلبه، فهو الذي جاء يبتغي قبساً ينير ظلام طريقه، فإذا به يحمل قبس النبوة التي فيُنيرُ بالتوحيد طريقاً طمسه ظلام الشرك والكفر.

¹⁶⁶ القرآن الكريم، الأحزاب 1.

¹⁶⁷ زدام، 2019م، 154-163.

¹⁶⁸ القرآن الكريم، طه، 11.

¹⁶⁹ القرآن الكريم، النمل، 9.

ومن نداء الأنبياء نداء "عيسى" عليه السلام، ﴿إِذ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وُلْدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾⁽¹⁷⁰⁾، نودي عيسى منسوباً لأُمّه تزكيةً لها، وتنبياً لكلّ سامع؛ أنّ "عيسى" هو عبد الله ورسوله، وأنّه مؤلودٌ من غير أب، وهو خلقٌ من خلقِ الله، شرفه بالرسالة وأيّده بمعجزات، ونداء الأنبياء إذا كان النداء من الله فهو تنبيه للأنبياء على رسالتهم وعظيم الأمانة التي وكلت إليهم، وتنبيه لأقوامهم على شرف هذا النبي الذي ينادى من ربه بنداءٍ خاصٍ باسمه.

نداء الشخصيات: ومما جاء مُنادَى في القرآن بعضُ الشخصيات التي كان لها دورٌ وأثرٌ في الناس، وليسوا بأنبياء، فمنهم من كان أثره سيئاً غيرَ حسنٍ مثل: "فرعون" و"هامان" و"إبليس" و"السامري"، ومنهم من ذُكرَ في معرضِ المدح؛ "مريم" و"ذو القرنين"، ويضافُ إليهم "مالك" خازنُ النَّارِ، فيكون مجموعهم سبْعُ شخصيات، و"مريم" هي المرأة الوحيدة التي تُوديت في القرآن وذلك ستّ مرات، والبعض يجعل مريم من ضمن الأنبياء والراجح خلاف ذلك، ومن بعض ما ذُكر في دحض هذه المقولة: أنّها لم تذكر ضمن الأنبياء ولم توصف بنبوة أو رسالة، وأنّ الرسالة تختص بالذكور لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾¹⁷¹، قال تعالى: ﴿وَإِذِ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾¹⁷²، نوديت "مريم" تشريفاً لها وتكريماً، وتنبياً لها على قُربها من الله وتَهَيُّئَةً لها على الأمرِ الجَلِيلِ الذي سيُوافيها، فهو خارجٌ عن المألوف، ومما يُلحظ على نداء مريم وعيسى عليه السلام أنّه واقع موقع الإخبار مسبقاً بفعل القول مسنداً إلى فاعله الصريح، وكأنّ الغاية من النداء هو بيان المنادي والتنبيه على منزلة المنادى، وأنّه بشرٌ كَرَّمَ من الله، والخبر الصحيح في حالهم لا يتعدى ما ذُكر عنهم في محكم التنزيل من قولِ ربِّ العالمين.

¹⁷⁰ القرآن الكريم، المائدة، 110.

¹⁷¹ القرآن الكريم، النحل، 43.

¹⁷² القرآن الكريم، آل عمران، 42.

ونودي "فرعون" على لسان "موسى" ليتنبه ويصغي إليه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يُفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹⁷³، فناداه لينتبه ويفهم الحجة، علّه يرجع عن قوله في ادعاء الرُّبوبيّة.

ونودي "إبليس" مرتين تنبيهاً على عصيانه وتأكيداً على مصيره، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾¹⁷⁴.

النداء الاجتماعي: وهو نداء الرسل لأقوامهم أو "أبنائهم" أو "أبنائهم"، تأليفاً لقلوبهم، بغرض دعوتهم لما فيه خيرهم وصلاحهم، فنودوا بالصلة الجامعة بينهم، تنبيهاً لهم على إرادة نصحتهم وإرشادهم، فهم أولى الناس بهدايتهم للحق، وتتوع النداء بين صيغة "يا قوم"، و"يا بُنَيَّ"، و"يا بني"، و"يا أباتا"، و"يا أَبَتِي"، و"يا بُنُوْمَ"، و"يا أَيُّهَا الْمَلَأُ"، وحازت صيغة "يا قوم" على النصيب الأكبر فقد وردت تسعاً وأربعين مرة من أصل ثلاثة وثمانين موضعاً لكل الصيغ¹⁷⁵، ومن أمثلة ذلك ما جاء على لسان الجن في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ...﴾¹⁷⁶ تعاقب في الآيتين نداءان بنفس الصيغة ومن نفس المنادى، فالأول تنبيه على الخبر، والثاني تنبيه للاستجابة، قال ابن عاشور (ت:1393هـ): «وإعادتهم نداء قومهم للاهتمام بما بعد النداء»¹⁷⁷، ونقف مع نداء القوم وهو كما ذكرنا من أنواع النداء الأكثر ذكراً في القرآن الحكيم، وعلة اختيار هذا اللفظ والله أعلم هو تخصيص فئة معينة، وهذه الفئة في الغالب هي المعنية بالبلاغ، إذ أن كل نبي كان يرسل إلى قومه إلا خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسل للناس كافة، فجاء النداء على لسانه بصيغ كثير غالبها للعموم، ومنها ما هو خاص بقومه يتناسب مع الموقف الذي قيل فيه، فنداء الرسل لأقوامهم فيه تنبيه لهم وتأكيد أن من يناديهم هم أهله وعشيرته، وهو منهم ويريد بهم الخير، وهو لهم ناصح أمين، وقد جاء غالب لفظ قوم محذوفاً منه ياء المتكلم تخفيفاً، وسيراً على الكثير الغالب في مثل هذه الحال، وفي هذا الحذف نكت

¹⁷³ القرآن الكريم، الأعراف، 104.

¹⁷⁴ القرآن الكريم، الحجر، 32.

¹⁷⁵ زدام، 2019م، 208.

¹⁷⁶ القرآن الكريم، الأحقاف، 30، 31.

¹⁷⁷ الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، 1984م، 60/26.

بلاغية إحداهما الخفة والاختصار في اللفظ للدلالة على أهمية الوصول لما بعده وأنه هو الأهم، الأخرى هي إفادة بعده معنوياً عنهم من جهة أخرى، فهو وإن كان قريباً لهم من جهة نسبهم أو معاشرتهم أو السكن فيما بينهم، فهو بعيد عنهم ويرى دينهم الباطل، ومعلوم أن كلمة قوم هي أعم من العشيرة، ونداء الناس بلفظ القوم تفيد توجه النداء إلى كل من سمعه ممن هم محيطون بالنبى، وتربطه بهم صلة نسب أو لغة أو ثقافة أو سكن، ﴿قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾¹⁷⁸ ومن هذا النداء نداء الابن لأبيه ونداء الأب لابنه كنداء لقمان لابنه ﴿يَبْنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾¹⁷⁹ فانظر كيف نادى لقمان ابنه ليُنَبِّهَهُ إلى فُدْرَةِ الله حتى يُوحِدَ الله ولا يُشْرِكَ معه غيره، ولك أن ترى في هذا النداء حرص لقمان على توجيه ابن التوجيه الصحيح، فلما أراد أن يكلمه ناداه "يا بني" ولم يناده باسمه، وما اختار لقمان لفظ البنوة إلا لعلمه أنها تستحوذ على قلب ابنه وتشدّه باتجاه أبيه، وتتبّه على رحمة الأب بابنه الذي يريد به كل خير، هذا بخلاف نداء الابن لأبيه الذي ليس له أن ينادي أباه بغير لفظ الأبوة، لأنّ في ذلك نوعاً من العقوق وعدم الاعتراف بفضل الأبوين، أمّا الأبوان فلم حرية النداء، ومن هذا النداء نداء إبراهيم عليه السلام لأبيه وحواره معه بغية إرشاده إلى الطريق الحق قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾، يكرّر سيدنا إبراهيم خطابه لأبيه في كل نصيحة يوجّهها إليه، ولك أن ترى عظيم أثر النداء بتكراره وتصدره خطاب الابن لأبيه، وكيف يخشى عليه من البقاء على عقيدته التي هو عليها، ولولا أن للنداء أثراً في تنبيه المخاطب ما جعله إبراهيم عليه السلام وسيلته في بدء كلامه لأبيه، على حين نرى خطاب أبيه له كان باسمه إذ يقول: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾، خطاب يحمل في طياته عناد الأب وتعصّب لعقيدة الأجداد، وتهديداً لإبراهيم عليه السلام بالرجم والهجر.

2- نداء غير العاقل

ويشمل نداء "غير العاقل" في القرآن نداء "الطبيعة" و"الحيوان" و"التمني" و"الويل" و"الحسرة" و"الأسف"، والغاية من هذا النداء تفريغ النفوس وتنبهها، عسى أن تتعظ وتعتبر من هذه الآيات الدالة على عظمة الخالق.

¹⁷⁸ القرآن الكريم، الزمر، 39.

¹⁷⁹ القرآن الكريم، لقمان، 16.

فمن نداء الطبيعة؛ نداء "الجبال" و"الأرض" و"السماء" و"النار"، ومن نداء الحيوان؛ نداء "العير" و"النمل" و"الطير"، وفي هذا النداء تنبيه على قُدرة الله وأنَّ الأمر كله له، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا رِضْ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾¹⁸⁰، ﴿فَلْنَا يُنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلْمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾¹⁸¹، ونداء "الطبيعة" و"الحيوان" جاء في خمس آيات.

نداء التمني: جاء في ثلاثة عشر موضعاً¹⁸²، ودخول "يا" على "التمني" يفيد خُلوصها للتنبية، لدخولها على ما ليس بمُنَادَى، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾¹⁸³.

ويلحقُ بـ "التمني" نداء "الويل" و"الحسرة"، وقد جاء نداء "الويل" عشر مرات و"الحسرة" ثلاث ومرة "للأسف" ومرة "للبيشري"، وكلها تفتضي التنبية، لا حقيقة النداء، كأنه ينبئ إنساناً وجعل الويل له ﴿قَالُوا يَؤُوبُ إِنَّا كُنَّا طُغِينًا﴾¹⁸⁴، والغالب في "يا" إذا دخلت على غير المُنَادَى أن تكون تنبيهاً، فنداء كل ما لا يعقل هو تنبيه لا خلاف فيه، والتنبيه في ذلك إمَّا على قدرة الله وأنه هو المتصرف في الكون فيأمر العاقل وغير العاقل على السواء والكل مُنْقَادٌ لأمره شاء أم لم يشأ، أو هو تنبيه على المعاني التي تعقبُ أداة النداء كالتمني والحسرة والويل، فهي معانٍ تُظهر ضعفَ الإنسان وقلةَ حيلته حيالَ أقدار الله.

وبهذا الكلام الذي ذكرناه عن النداء بدءاً من تعريفه وأدواته التي لا تنفك تأتي مقرونة بالتنبيه، نستطيع القول أنَّ التنبيه ملازم للنداء في كل أحواله، والوظيفة الندائية هي عين الوظيفة التنبيهية، وباستقصاء حال النداء في القرآن الكريم اتضح أنه جدير بأن يدرج ضمن الأساليب التي تفيد تنبيه المخاطب، والذي أهله لذلك هو: انفراد الأداة "يا" بالنداء كله في القرآن الكريم، فلم تأتِ أداة سواها وهي الأداة التي يضيفها النحاة إلى جملة الأدوات التي تفيد التنبيه، بالإضافة إلى

¹⁸⁰ القرآن الكريم، هود، 44.

¹⁸¹ القرآن الكريم، الأنبياء، 69.

¹⁸² سياي تفصيلها في مبحث التمني.

¹⁸³ القرآن الكريم، يس، 26.

¹⁸⁴ القرآن الكريم، القلم، 31.

الاستفتاح بالنداء في بعض سور القرآن الكريم، والإكثار من استعمال النداء بـ"أيها" ودلالة التنبية فيها مما لا تخفى، ولاسيما وأنها مقترنة بـ"ها" التنبهية، ليأتي تنوع المنادى وتنوع الخطاب ليشمل أصنافاً وفئات كثيرة تتناسب وحال المخاطبين، وحال كل سورة في القرآن الكريم، فكثرت نداء فئاتٍ وقلَّ نداء غيرها، وفي كلِّ منها ما يقتضي التنبية، وإثارة النفوس، لتبحث عن غلبة منادى على آخر، وتخصيص كل سورة بمنادى دون غيره، يتطابق والمغزى الذي تتحدث عنه السورة.

3.1.2. الاستفهام

نتابع كلامنا في الأساليب الإنشائية الطليية وإفادتها التنبية في القرآن الكريم، فنقف مع أسلوب الاستفهام، الذي لا يخلو منه كلام، ولا يكاد يستغنى عنه في أغلب الأحوال، لكثرة معانيه، وتعدد أدواته، وعظيم أثره في النفوس، بما يثيره من دهشة وما يستدعيه من اهتمام، وهذا الأثر الذي يتركه في النفوس فتتحفز له، هو غاية مبتغانا منه، فهو يندرج تحت الوظيفة التنبهية، وما الاستفهام إلا أسلوب من الأساليب التي تؤدي تلك الوظيفة وهذا ما سنحاول بيان حقيقته من خلال الوقوف على أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم وأثره في تنبيه النفوس وإثارتها، ونبدأ مع تعريف الاستفهام ثم نعرِّج على دلالاته على التنبية.

3.1.2.1. تعريف الاستفهام وأدواته:

لا يفارق المعنى الاصطلاحي للاستفهام معناه اللغوي فالمعنى واحد واضح في الاثنين وهو طلب العلم والفهم:

فالاستفهام لغة: الفهم: وهو معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء: عقلتُه وعرفتُه، واستفهمه: سأله أن يفهمه. (185)

أما اصطلاحاً: فالاستفهام: «مصدرٌ من الفعل استفهم على وزن استعمل وهو وزنٌ يفيدُ الطلب، أي طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبل»¹⁸⁶.

¹⁸⁵ ابن منظور، لسان العرب، مادة(فهم)، دار الصادر بيروت، 1992م.

¹⁸⁶ عمر عبد الهادي عتيق، علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة الأردن، عمان، ط1، 2012، 178.

وعرّفه التفنازاني (ت:792هـ) بقوله: «هو طلبُ حصولِ صورةِ الشّيءِ في الذّهنِ فإنْ كانت تلك الصورةُ وُقوعَ النّسبةِ بين الشّيئين أو لا وُقوعها، فحصولها هو التّصديق، وإلّا فهو التّصور»¹⁸⁷.

أدوات الاستفهام: تنقسم أدوات الاستفهام إلى حروفٍ وأسماء، الحروف هي: "الهمزة"، و"هل"، والأسماء هي: "من"، "ما"، "ماذا"، "متى"، "أيان"، "أين"، "أنى"، "كم"، "أي".

الهمزة: وهي أصلُ أدوات الاستفهام، وأمّا بقيةُ الأدوات فقد أفادت الاستفهام لتضمّنها معنى الهمزة، واختصّت بعدة مسائل؛ جواز حذفها، ووُزودها لطلب التصديق والتصور، ودخولها على الإثبات والنفي، وصدارتها¹⁸⁸.

هل: حرف استفهام يُستعمل لطلب التصديق دون التصور، ولا تدخلُ إلّا على المُثبت، وتقعُ بعد العاطف وبعد أم، ولا تدخلُ على الشرط ولا على "إن"¹⁸⁹.

"من": اسم استفهام يُستفهم به عن العاقل، ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾¹⁹⁰.

"ما" و"ماذا": اسما استفهام يستفهم بهما عن غير العاقل ﴿مَا لَوْئَهَا﴾¹⁹¹، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾¹⁹².

¹⁸⁷ التفنازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، المطول شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،

ط3، 2013م، 409.

¹⁸⁸ ابن هشام، 1985م، 19، و21.

¹⁸⁹ ن. م. 456، و457، و458.

¹⁹⁰ القرآن الكريم، يس، 52.

¹⁹¹ القرآن الكريم، البقرة، 19.

¹⁹² القرآن الكريم، البقرة، 219.

"متى": اسم استفهام يستفهم به عن الزمن، ﴿مَتَى تَصْرُ اللَّهُ﴾¹⁹³.

"أين": اسم استفهام للزمن المستقبل، ﴿أَيْنَ يَوْمِ الدِّينِ﴾¹⁹⁴.

"أين": اسم استفهام يستفهم بها عن المكان، ﴿... أَيْنَ الْمَفْرُ﴾¹⁹⁵.

"أني": وتأتي بمعنى من أين، ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾¹⁹⁶، وبمعنى كيف، ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي عُلْمٌ
وَكَاثِبَ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾¹⁹⁷.

"كيف": اسم يستفهم به عن الحال، ﴿قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾¹⁹⁸.

"كم": اسم استفهام يستفهم به عن العدد، ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾¹⁹⁹.

"أي": وبُطْلُبُ بها تعيين الشيء وتستعمل للعاقل وغير العاقل وللزمان والمكان، فهي
بحسب ما تضاف إليه، ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾²⁰⁰.

¹⁹³ القرآن الكريم، البقرة، 214.

¹⁹⁴ القرآن الكريم، الذاريات، 12.

¹⁹⁵ القرآن الكريم، القيامة، 10.

¹⁹⁶ القرآن الكريم، آل عمران، 37.

¹⁹⁷ القرآن الكريم، مريم، 8.

¹⁹⁸ القرآن الكريم، مريم، 29.

¹⁹⁹ القرآن الكريم، الكهف، 19.

²⁰⁰ القرآن الكريم، الانفطار، 8.

3.1.2.2. الاستفهام في القرآن الكريم ودلالته على التنبية.

لقد كان لأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم دورٌ كبيرٌ في تأدية التنبية، لما فيه من إثارة للمشاعر وتحريكٍ للأحاسيس، ومَرَدٌ تلك الإثارة والتنبية لعددٍ مسائلٍ منها؛ غزارة أساليب الاستفهام، وغرضه، ومدخول الأدوات لاسيما "الهمزة"، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أ. كثرة أساليب الاستفهام في القرآن الكريم:

حاز الاستفهام في القرآن الكريم على قدرٍ كبيرٍ من آياتِ الذكر الحكيم، حتَّى بلغَ عددُ أساليبه "1260" أسلوباً²⁰¹، وإذا قارنناه بعدد آيات القرآن الكريم؛ "6236" آية²⁰²، فإنَّ أسلوبَ الاستفهام يُشكِّلُ سُدُسَ تلك الآيات، وهذه الغزارة في استعمال هذا الأسلوب خيرٌ شاهدٍ على أنَّه ما جاء إلا لفرع الاسماع لتنتبه فتصغي للخطاب الموجه إليها، وتُدعِنَ له.

ومما يزيدُ أسلوبَ الاستفهام دلالةً على التنبية مع كثرة أساليبه، خروجه عن المعنى الحقيقي للاستفهام إلى المعنى البلاغي، فمعلومٌ أنَّ للاستفهام معنىً حقيقياً أصلياً؛ هو طلبُ الفهم كما بيَّنَّا في تعريف الاستفهام، وطلبُ الفهم يكون حين يجهلُ المستفهم شيئاً، مثل: "ما اسمك؟"، "أين تذهب؟"، ومعنى غير حقيقيٍّ وذلك حين لا يكون المستفهم في حاجةٍ فهم شيءٍ، بل غايته إبلاغُ المخاطبَ بمعنى من ذلك الاستفهام، فيكون الاستفهام في تلك الحال بمثابة مُنبِّهٍ في الكلام، وهذا ما جعل أسلوبَ الاستفهام في القرآن الكريم يُؤدِّي الوظيفة التنبئية، فمن بين "ألفٍ ومئتين وستين" أسلوباً استفهامياً لم يأتِ الاستفهام الحقيقي إلا في قرابة "عشرين" موضعاً ونَيْقِبِ، في حين خرج أغلبُ الاستفهام إلى المعنى غير الحقيقي (البلاغي)، ولا غرابة في ذلك فالاستفهام جاء أغلبه من الله جَلَّ جلاله، والله لا يغيبُ عنه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، فهو عالمُ الغيب والشهادة، الذي يعلمُ السرَّ وأخفى، فكلُّ استفهام من الله سبحانه وتعالى هو على الدلالة البلاغية لا الأصلية، لانقضاء الدلالة الأصلية للاستفهام في حقِّ الله سبحانه وتعالى، أمَّا ما جاء استفهاماً على حقيقته، فقد كان على لسان المخلوق.

²⁰¹ عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي، همزة الاستفهام في القرآن الكريم، عمان الأردن، 1992م، ج1، 7.

²⁰² ابن كثير، 1999م، ج1، 98.

وإحصائية أساليب الاستفهام حسب الأداة ودلالة الاستفهام الأصلية فيها هو كالتالي:

الهمزة: وبما أنّها أمُّ الباب، وأصل أدوات الاستفهام، فقد حازت على نصيبٍ وافٍ من أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، فاستُعملت في "560" أسلوباً، أي قرابة نصف أساليب الاستفهام في القرآن بكلِّ أدواته²⁰³، وأكثر دخولها كان على الجملة الفعلية (الماضي، والمضارع)، وكان المضارعُ صاحبَ النصيب الأكبر، ودخلت على الاسم والظرف، فمن دخوله على الماضي: ﴿أَرَعَيْتَ الَّذِي يُكذِّبُ بِالْأَيْدِي﴾²⁰⁴، والمضارع: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعُلَمِينَ﴾²⁰⁵، ولعلَّ كثرةَ مَجِيئِهَا راجعٌ إلى أنّها حرفٌ واحدٌ، فكانت خفيفةً على اللسان والأذن، بالإضافة إلى أنّها صالحة للسؤال عن المفرد وعن مضمون الجملة، وتدخل على الأفعال والأسماء والحروف وأدوات الشرط²⁰⁶، وعلى النفي قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾²⁰⁷.

هَلْ: حرفُ الاستفهام الثاني، وقد وردَ في "ثلاثةٍ وتسعين" موضعاً في القرآن الكريم، دخل على الماضي في "أربعة عشر" موضعاً، وعلى المضارع في "خمسة وأربعين" موضعاً، وعلى الاسم والظرف في "أربعة وثلاثين" موضعاً²⁰⁸، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَشِيَّةِ﴾²⁰⁹.

مَنْ: اسم استفهام، وردت في "اثنتين وتسعين" موضعاً، دخلت على الماضي في "ثلاثة عشر" موضعاً، والمضارع في "ثمانية وعشرين" موضعاً، والاسم والظرف في "واحدٍ وخمسين"

²⁰³ اللبدي، 1992م، ج1، 8.

²⁰⁴ القرآن الكريم، الماعون، 1.

²⁰⁵ القرآن الكريم، الشعراء 165.

²⁰⁶ اللبدي، 1992م، 8.

²⁰⁷ القرآن الكريم، يس، 81.

²⁰⁸ محمد إبراهيم محمد شريف البلخي، أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم، دكتوراه، الجامعة الإسلامية

العالمية إسلام آباد، 2007م، 136.

²⁰⁹ القرآن الكريم، العاشية 1.

موضِعاً²¹⁰، ﴿فَمَنْ يُجِبِرِ الْكُفْرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾²¹¹، أفادت الاستفهام الحقيقي في موضع واحد، هو قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾²¹².

مَا: اسم استفهام، وردت في "مئةٍ وثلاثين" موضعاً، دخلت على الماضي في "تسعةٍ وعشرين" موضعاً، والمضارع في "ثلاثين" موضعاً، والاسم والظرف في "واحدٍ وسبعين" موضعاً، أفادت حقيقة الاستفهام في "عشرة" مواضع²¹³، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾²¹⁴.

مَاذَا: اسم استفهام، ورد في "سبعةٍ وعشرين" موضعاً، دخلت على الماضي في "ثلاثةٍ عشر" موضعاً، والمضارع في "أحد عشر" موضعاً، والظرف في "ثلاثة" مواضع، أفادت الاستفهام الحقيقي في "ثمانية" مواضع²¹⁵، قال جلّ وعلا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾²¹⁶.

كَيْفَ: اسم استفهام، ورد في "ثمانين" موضعاً، دخلت على الماضي في "تسعةٍ وأربعين" موضعاً، والمضارع في "خمسةٍ وعشرين" موضعاً، والاسم في موضع "واحد"، وحذفت عاملها في "خمسة" مواضع²¹⁷، قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾²¹⁸، أفادت الاستفهام الحقيقي في مثال "واحد" وهو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾²¹⁹.

²¹⁰ شريف البلخي، 2007م، 143.

²¹¹ القرآن الكريم، الملك، 28.

²¹² القرآن الكريم، طه، 49.

²¹³ شريف البلخي، 2007م، 145.

²¹⁴ القرآن الكريم، الحجر، 57.

²¹⁵ شريف البلخي، 2007م، 147.

²¹⁶ القرآن الكريم، البقرة، 215.

²¹⁷ شريف البلخي، 2007م، 149.

²¹⁸ القرآن الكريم، الاسراء، 21.

²¹⁹ القرآن الكريم، البقرة، 260.

أَنْى: اسم استفهام، ورد في "سبعة وعشرين" موضعاً، دخلت على المضارع في "واحدٍ وعشرين" موضعاً، والظرف في "خمسة" مواضع، والاسم في موضع "واحد"، وكلها أفادت معاني بلاغية²²⁰، ﴿أَنْى لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾²²¹.

أَيْنَ: اسم استفهام، ورد في "عشرة" مواضع، دخلت على المضارع في موضع "واحد"، والاسم في تسعة مواضع، كلها أفادت معاني بلاغية²²²، قال تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾²²³.

مَتَى: اسم استفهام، ورد في "تسعة" مواضع، ولم تدخل إلا على الاسم، وأفادت كلها معاني بلاغية²²⁴، قال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾²²⁵.

أَيَّانَ: اسم استفهام، ورد في "ستة" مواضع، دخلت على المضارع في موضعين، والاسم في "أربعة" مواضع، كلها معاني بلاغية²²⁶، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾²²⁷.

كَمْ: اسم استفهام، ورد في "أربعة" مواضع، ولم تدخل إلا على الماضي، أفادت حقيقة الاستفهام في موضع "واحد"²²⁸ هو قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾²²⁹.

²²⁰ شريف البلخي، 2007م، 151.

²²¹ القرآن الكريم، الدخان، 13.

²²² شريف البلخي، 2007م، 151.

²²³ القرآن الكريم، التكوير، 26.

²²⁴ شريف البلخي، 2007م، 152.

²²⁵ القرآن الكريم، يونس، 48.

²²⁶ شريف البلخي، 2007م، 152.

²²⁷ القرآن الكريم، النمل، 65.

²²⁸ شريف البلخي، 2007م، 153.

²²⁹ القرآن الكريم، الكهف، 19.

أي: اسم استفهام، ورد في "أربعة وخمسين" موضعاً²³⁰، كلُّ دخولها كان على الاسم، قال تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾²³¹، أفادت حقيقة الاستفهام في موضعين، قال عزُّ من قائل: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾²³².

ب. صدارة الاستفهام للسورة والآيات

أدوات الاستفهام هي من أدوات الصدارة، فلا عجب أن تتصدر جملتها، لكن الذي أضاف للاستفهام دلالة إضافية للتنبية هو تصدُّره كثيراً من آيات الذكر الحكيم، مثل قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾²³³، ﴿مَا أَلْحَقَهُ﴾²³⁴، ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾²³⁵، بل إن الاستفهام تصدَّر بعضاً من سور القرآن وهي: "الإنسان"، "النبأ"، "الغاشية"، "الشرح"، "الفيل"، "الماعون"، ولو لم يكن للاستفهام أثر في النفوس، ودور في تحفيزها وتنبيتها لما تصدَّر سوراً من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُورًا﴾²³⁶، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾²³⁷، و﴿أَرَعَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدِينِ﴾²³⁸.

واستناداً إلى ما ذكرناه من الكلام المُجْمَلِ عن أساليب الاستفهام في القرآن الكريم من حيث كثرتها أولاً، وخروج تلك الكثرة - إلا ما ندر - عن معنى حقيقة الاستفهام ثانياً، وصدارته للآيات والسور ثالثاً، فإنَّ نسبة التنبية إلى أسلوب الاستفهام، وجعله أسلوباً من الأساليب التي تؤدي الوظيفة التنبية ليس بغريبٍ أو مُستَهَجَنٍ، بل إنَّ الوقوف على تلك الأساليب والأدوات يُعْطِيكَ أدلةً أخرى تُوضِّحُ دلالة التنبية فيه، وهذا ما سنقف عنده فيما هو آتٍ.

²³⁰ شريف البلخي، 2007م، 148.

²³¹ القرآن الكريم، الانفطار، 8.

²³² القرآن الكريم، آل عمران، 44.

²³³ القرآن الكريم، القلم، 16.

²³⁴ القرآن الكريم، الحاقة، 2.

²³⁵ القرآن الكريم، المزمل، 17.

²³⁶ القرآن الكريم، الإنسان، 1.

²³⁷ القرآن الكريم، النبأ، 1.

²³⁸ القرآن الكريم، الماعون، 1.

ج. همزة الاستفهام ودلالاتها على التنبيه في القرآن الكريم.

تُشكّل "الهمزة" ما يقرّب من نصف أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، فهي أمّ الباب وأصله، وهذا يعني أنّ دلالتها على التنبيه تفوق غيرها من الأدوات، فهي أصل في التنبيه كما هي أصل في الاستفهام، والذي أعطى لـ"الهمزة" تلك المزية هو مدخولها، فقد كوّنت "الهمزة" مع ما يليها - ولا سيما الفعل الماضي والمضارع المنفي - أساليب خاصة، وُظفت لتكون بمثابة منبّه على ما بعدها من كلام، وقد كثرت تلك الأساليب حتّى أنّه يضيق المقام عن الوقوف عليها كلّها، لذلك سنّف عند أشهرها وأكثرها دلالة على التنبيه:

الهمزة والفعل "رأى": شكّلت "الهمزة" مع الفعل "رأى" أسلوباً بديعاً، ولكنة مجيئها متلازمين مع بعضهما فقد صار أشبه بالأداة المركبة التي تفيد معنى خاصاً من ذلك التركيب، وسيُفرد الكلام هنا للهمزة والفعل الماضي "رأى"، أمّا المضارع فسيأتي لاحقاً، وقد دخلت "الهمزة" على الماضي "رأى" في "أربع وثلاثين" آية، وكانت على أربعة صيغ هي: "أرأيت"، "أرأيتم"، "أرأيئك"، "أرأيئكم"، وفسرها سيبويه ومن بعده بمعنى "أخبرني"²³⁹، وقصدهم في ذلك الإشارة إلى الأصل في استعمالها، وأنها العلمية وليست البصرية، والغرض الذي تودّيه هو تنبيه المخاطب بطريقة تتعدى عنصر السمع الذي يتلقى كلمات المخاطب، فتقله إلى ساحة ذهنية ثلاثية الأبعاد، يُعمل فيها كلّ حواسه، فيتصور المشهد كأنه ماثّل أمامه، فيحكم عليه بما أراد له المخاطب أن يحكم.

"أرأيت": وردت "أرأيت" في "عشرة" مواضع في القرآن الكريم²⁴⁰، حملها أغلب المفسرين على إفادة معنى التنبيه والتعجب في المواضع العشر، منها قوله تعالى في سورة الكهف على لسان فتى موسى (يوشع): ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾²⁴¹، وقد أفاد الاستفهام بالهمزة مع الفعل "أرأيت" التنبيه والتعجب، فأبو السعود في تفسيره يحمل الفعل هنا على معنى أعرفت أو أشاهدت²⁴²، فـ"يوشع"

²³⁹ أبو حيان، 1993م/6، 138. الزمخشري، 1407هـ، 733/2.

²⁴⁰ اللبدي، 1992م، ج1، 81.

²⁴¹ القرآن الكريم، الكهف، 63.

²⁴² تفسير أبو السعود، غت، 233/5.

يريد بهذا الاستفهام تنبيه موسى على الحالة العجيبة التي شاهدها، والتي يريدُ ذكرها لموسى، فكأنه يقول له: تَنَبَّه واستمع جيداً لِمَا سأخبرك به، فالاستفهام من "يوشع" كان بداية جوابٍ لموسى ليستحضر ذهنه وعقله على عجيب ما رآه فهو معجزة²⁴³، وهذه المعجزة التي رآها يوشع فأذهلته ثم نسيانه لها مع أنّها لا تنسى، تستحقُّ أن يقدّم في كلامه لموسى ما ينبّهه إلى أنّ ما جرى خارج عن إرادته، وأنّ الشيطان هو من أنساه تبليغ موسى بما جرى.

"أَرَأَيْتُمْ": جاءت في "واحدٍ وعشرين" موضعاً²⁴⁴، ولا تختلف في معناها وغرضها عن سابقتها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصُرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾²⁴⁵.

"أَرَأَيْتُمْ" هنا بمعنى أخبروني، والقصد منه تنبيه المشركين إلى ما أنعم الله عليهم به من نعم كالسمع والبصر، وأنّها من الله، وأنه هو المعطي لها، فإذا أخذها فليس من مُعْطٍ لها سواه، لأنّه لا إله غيره، وهذه النعم ليست مما يقدر عليه بشرٌ أو حجرٌ أو شجرٌ، فندبهم الله بسؤالٍ على سؤالٍ يعرفون جوابه، ودكّر العلامات الدالة على وحدانيته، إلّا أنّ كثيراً منهم يُعرضون عن الحقّ ويتبعون الباطل، ولتنبيههم لعظيم تلك النعم وعظيم فقدائها جاء بالاستفهام مقروننا بفعل الرؤية، لأنّ الرؤية أكثر أثراً في النفس من الخبر الذي تتلقاه الأذن، فجعلهم يسمعون الخبر ويرونه كمشهد ماثلٍ أمام ناظرهم علّ قلوبهم تخبت للحق، والفارق بين ما يخبرهم به وبين وقوعه لهم عياناً هو أمر الله، الذي متى ما شاء أنزل بهم ما يريد وليس لأحدٍ دفعه.

"أَرَأَيْتُمْ": جاءت "أَرَأَيْتُمْ" في موضعين²⁴⁶ كلاهما في سورة الأنعام، الآية "40" و"47"، والحديثُ فيهما كان عن عذاب الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعِيرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾²⁴⁷، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً

²⁴³ اللبدي، 1992م، ج1، 83/82،

²⁴⁴ ن. م، 98.

²⁴⁵ القرآن الكريم، الأنعام، 46.

²⁴⁶ اللبدي، 1992م، ج1، 137.

²⁴⁷ القرآن الكريم، الأنعام، 40.

هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظُّلْمُونَ ﴿٢٤٨﴾. في الآيتين أمرٌ من الله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بسؤال الكافرين سؤال تنبيهٍ وتقريعٍ، يُقرِّعُهُمْ على كُفْرِهِمْ وإِعْرَاضِهِمْ عن الحقِّ الذي جاءهم، وأنَّ عذابَ الله لَاحِقٌ بهم، فتنبَّهُوا إلى عذابِ الله، فليس غير الله تدعون ليُكشِفَهُ عنكم، ثُمَّ تنبَّهُوا هل يُعَذِّبُ غيرَ الظالمين سِوَاكَ كان بغتَةً أو كان له علاماتٌ تدلُّ على وقوعه، وقد جاءت الهمزة والفعل "رأيتكم" في معرض خبر من الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه أن يبلغه قومه بحالهم مع العذاب الذي توعدوا به، وصور لهم ذلك الموقف مع سؤال يتقدمه للتنبيه عليه، وأنَّ خلاصهم من ذلك المصير هو العودة إلى الحقِّ فهو سبيل نجاتِهِمْ.

والأمثلة التي ذكرنا للفعل رأى مع همزة الاستفهام والذي يسبق غالباً بفعل الأمر "قل" خصوصاً صيغة "أرأيتكم"، والذي يبين أنَّ النبي مأمور بسؤالهم هذا السؤال الاستنكاري، الذي يعرض لهم مشاهد هي في علم الغيب، ولا يعلمها إلا الله، مشاهد تشهد الله بالوحدانية وأنه هو المتصرف في كل شيء، هذه الأمثلة تبين لنا الدور الذي تمثله همزة الاستفهام مع الفعل "رأى" في التنبيه على ما يليها، هو أكثر فعلٍ اتصلت به الهمزة، وهو فعل متعدُّ إلى مفعولين، حُذِفَ أحدهما في أكثر من موضع، وأدَّى في أغلب أحوالهم التَّنْبِيهِ مع التَّقْرِيع والتَّوْبِيخِ، واستحضار صورة المُسْتَفْهِم عنه في ذهنِ المخاطَب ليحكمَ عليه²⁴⁹ حكم المشاهد الحاضر الذي يسمع ويرى، ودلالة استخدام فعل الرؤية لزيادة التنبيه هي توثيق الخبر وتوكيده، فليس من سمع كمن رأى، وبما أنَّ المخبر هو الله، والخبر من الله صدقٌ يقيناً، ولا يقبل وصفاً آخر سواه، جيء بوصف الرؤية للدلالة على ثبوت الخبر وقطعيته، لأنَّ الرؤية أعلى درجات اليقين عند البشر، مع أن الخبر من الله أصدق من الرؤية التي يراها البشر بحواسهم لمحدوديتها عن إدراك كل شيء تراه، ولا عيب في ذلك فالنقص طبع البشر والكمال لله وحده، والخطابُ على قدرِ المخاطَب في الإدراك.

الهمزة والنفي: وَلِيَّ النَّفْيِ الهمزة في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، وارتباطُ "الهمزة" بالنفي من أظهر الأدلة على إفادة الاستفهام للتَّنْبِيهِ، لأنَّ الهمزة تفيدُ الإنكار وما بعدها يفيد النفي، ونفي النفي إثبات، فأفادت بذلك التَّنْبِيهِ، وهذا ما حَمَلَ البعضَ للحكم على أداتي التَّنْبِيهِ "ألا"، "أما" أنَّهما مُركَّبَتان من همزة الاستفهام وحرف نفي، ولا يعنينا إثبات ذلك أو نفيهِ، بل الذي يعنينا هو

²⁴⁸ القرآن الكريم، الأنعام، 47.

²⁴⁹ عبد العظيم المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، مكتبة وهبة القاهرة، 2011م، ط3، ج4، 404.

الشَّبه الذي يفضي إلى معنى التَّنبيه ويؤدِّيه، وهذه الصيغ هي: "أليس"، "ألم"، "ألا"، وتدخل حروف العطف على النفي فتزيد تلك الصيغ تنوعاً، ونبدأ مع الصيغة الأولى:

"أليس": تتكون هذه الصيغة من همزة الاستفهام والفعل الماضي "ليس" الدال على النفي، وتكررت هذه الصيغة "سِتَّ عشرة" مرة في القرآن الكريم، أفادت في أغلبها التقرير، بالإضافة إلى التوبيخ والإنكار والتهديد والوعيد، والتقرير يقتضي عِلْمَ المخاطب بما يتضمَّنُه السؤال، فبريدُ منه أن يَنْتَبِهَ إلى السؤال فيستقرَّ المعنى في الذهن، فكأنَّه يقول له: أسمع؟، انتبه²⁵⁰. قال جل جلاله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾²⁵¹، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾²⁵²، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَكَمِينَ﴾²⁵³، ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾²⁵⁴، ونقف مع آية الزمر بشيء من التفصيل، فقد جاء الاستفهام من الله بقوله: "أليس الله بكاف عبده"، والجواب على هكذا سؤال منفي يكون بـ "بلى" لإبطال النفي، أي؛ "بلى، الله كاف عبده"، فالاستفهام أفاد التقرير، تقرير كفاية الله لعبده، ومن ثمَّ إفادة توبيخ²⁵⁵ المشركين على تخويفهم للنبي صلى الله عليه وسلم من ألِهَتِهِم المَزْعُومَةِ، فالهمزة مع الفعل "ليس" أدَّت دور المُثْبِرِ والمُنْبِهِ إلى المعنى المراد تقريره في نفس النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أنَّ الله كافيه وأنَّ ما يخوفونك منه باطلٌ لا يضرُّك فالله معك، وتنبية للمشركين أنَّ الضَّرَّ والنفع بيد الله وليس لغيره، فالهمزة مع النفي هي من أدَّى الوظيفة التنبهية في الكلام، لأنَّ إيراد الكلام على المخاطب بهذه الطريقة فيه جذبٌ عنيفٌ وهزُّ وحملٌ له على الإقرار بما بعده، ففرق شاسع بين قولك: الله كاف عبده، مجرداً من النفي والاستفهام، وبين الآية الكريمة التي توقفك على خيارٍ صعبٍ لا مناص منه، إذ لا يتصور أن ينطق مؤمن عاقل بالنفي دون الاستفهام الذي يبطله، ويقلب معناه، ويوظفه عكس ما هو عليه، فينقله من نفي إلى إثبات مؤكد، يقطع على النفوس وساوسها.

250 اللبدي، 1992م، ج1، 242.

251 القرآن الكريم، الزمر، 36.

252 القرآن الكريم، الزمر، 37.

253 القرآن الكريم، التين، 8.

254 القرآن الكريم، الأعراف، 172.

255 اللبدي، 1992م، ج1، 233.

صيغة "ألم": تتكون هذه الصيغة من همزة الاستفهام وحرف النفي "لم"، وقد يدخل حرفا العطف "الفاء" و"الواو" على هذه الصيغة، إلا أنهما لا يتقدمان على الهمزة، فنُكُون ثلاث صيغ؛ "ألم"، "أفلم"، "أولم"، وتكون مع الفعل المضارع فقط، وتكررت هذه الصيغ في "مئة وخمسة وعشرين" موضعاً، وأشهر الأفعال دورانا مع هذه الصيغة الفعل "رأى"، "علم"، "أتى"، "كان"، "قال".

"ألم": الصيغة الأكثر ذكراً في القرآن قياساً إلى "أفلم" و"أولم"، تكررت مع "سبعة عشر" فعلاً في "ثمانية وسبعين" موضعاً²⁵⁶، "ثمانية وثلاثون" منها مع الفعل "رأى"، وتسعة مع الفعل "علم"، وبقية الأفعال على أقل من ذلك، وكثرة ورودها مع الفعل "ترى" وملازمته لها جعلها تجري مجرى المثل²⁵⁷، والقصد منه تنبيه السامع والمخاطب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾²⁵⁸، فالهمزة مع "لم" تشكّل أسلوباً شبيهاً بـ "ألا" التنبيهية، إذ دخل الاستفهام على النفي فأضفى اجتماعهما معنى إضافياً على معنى النفي والاستفهام، يضاف إلى ذلك فعل الرؤية، فخرجت عند ذلك صيغة تجري مجرى المثل، تُحَفِّزُ العقول قبل العيون للتفكير في خلق السماوات والأرض، وأنها لم تخلق عبثاً، وخالفها هو الإله الحق الذي ينبغي أن تعبدوه وتخشوه، فهو قادرٌ على استبدالكم بخلقٍ غيركم، فالذي خلق السموات والأرض لا يعجزه ما هو دونهما، وهنا يجتمع إلى جانب الاستفهام والنفي، فعل الرؤية الذي يزيد الصيغة معنى إضافياً للتنبيه، فتسير بالمخاطب خطوة خطوة، كأنها تصعد به جبلاً ثم تنزلها سهلاً ثم تغوص به البحر لتخرجه وقد حملته الدرر، كل ذلك في حروف قليلة، كل واحدٍ منها يقلب المعنى ويغيره، وما أحسب أن هذا إلا لحمل النفوس للإقبال على ما بعد هذه الحروف التي اكتسبت معنى ثانوياً على معناه الأصلي، فهناك معانٍ جليلة وجب التنبيه لها والإقرار بها.

"أفلم": تتكون هذه الصيغة من همزة الاستفهام وحرف العطف "الفاء" و"لم" النافية، وتكررت هذه الصيغة "ثنتي عشرة" مرة في القرآن الكريم²⁵⁹، مع "سبعة" أفعال هي: "أيس"، "دبر"، "رأى"،

²⁵⁶ أمانة محمد علي أبو سبب، همزة الاستفهام الداخلة على لم ولا النافيتين للمضارع في القرآن الكريم، ماجستير، جامع أم درمان،

2011م، 134.

²⁵⁷ ن. م، 137.

²⁵⁸ القرآن الكريم، إبراهيم، 19.

²⁵⁹ أبو سبب، 2011م، 148.

"سار"، "كان"، "نظر"، "هدى"، وقد تتعدّد بعض صيغ المضارع، والكلام في إفادة "أفلم" للتنبيه هو ذات الكلام في "ألم"، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾²⁶⁰، فهنا أيضاً يأتي الاستفهام الإنكاري الذي يحشّر المخاطب في زاوية ضيقة التي لا مفر لهم منها، فيطرق سمعه طرقاتاً بالمعنى الذي يعقب الاستفهام والنفي، والعاقلة لا يورد نفسه المهالك إذا كان يرى أسبابها، فكيف يغفل عقله عن عاقبة ما هو عليه والعليم الخبير يخبره بمصيره وعاقبة أمره، فالضال من غيب عقله ورضي أن ينقاد انقياداً البهائم ومن في حكمها، ممن لم يعط عقلاً يختار به سبيل نجاته، ولتنبيه الإنسان على ضلاله وسبب هلاكه جاء الاستفهام المنفي ليبين ذلك ويوجهه في الوقت ذاته إلى سبيل خلاصه.

"أولم": تتكون هذه الصيغة من همزة الاستفهام وحرف العطف "الواو" و"لم" النافية، تكررت هذه الصيغة في "خمسة وثلاثين" موضعاً، مع "أربعة عشر" فعلاً أبرزها الفعل "رأى" و"علم"²⁶¹، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَو لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مَنْ أَلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾²⁶²، بيّن الله كيف طغى "قارون" ونسب الفضل فيما أتاه الله لنفسه وعلمه، وكيف عقّب الله على كلامه بسؤالٍ موجّه لقارون وللناس الذين رأوه، بصيغة الغائب تحقيراً له على شنيع فعله، فإن كان نسب الفضل لعلمه فهلاً بلغ بعلمه خبر من أهلكهم الله ممن سبقه وكانوا أشدّ قوةً ومالاً منه، وهذا تنبيهٌ لقارون ولمن يفتنّ به أن مصيره هو مصير من سبقه من المجرمين، وقدرة الله فوقهم جميعاً، فقارون ادعى العلم ونسب كل فضل هو فيه لنفسه، ولتنبيه لجهل جاءه سؤال مع جوابه، سؤال عن العلم، فقال: أو لم يعلم؟ سؤال يحمل بين طياته نفيّاً لخبر قارون، وإقراراً لخبر هلاكه الذي يشبه هلاك من قبله، إذ لو صحّ لقارون علمٌ كما ادعى، لصانعه عن الوقوع فيما وقع فيه، لعلمه بعاقبة ما ادعاه.

صيغة "ألا": وتتكوّن هذه الصيغة من همزة الاستفهام و"لا" النافية، وهي الصيغة التي حصل فيها الخلاف، فالبعض يُرجّح أنّ "ألا" التنبيهية مركّبة من همزة الاستفهام و"لا" النافية، وأغلب النحاة على أنّ "ألا" التي للتنبيه بسيطةٌ غير مركّبة من الهمزة و"لا" النافية، لكن الذي

²⁶⁰ القرآن الكريم، يس، 62.

²⁶¹ أبو سيبب، 2011م، 151.

²⁶² القرآن الكريم، القصص، 78.

ينبغي أن نذكره ولا نغفل عنه هو إفادة التنبية من الصيغتين، وإن كانت التنبية هي الأشهر في دلالة التنبية، إلا أن الهمزة مع النفي تفيد التنبية سواء كان النفي بـ "لا" أو غيرها، والذي يُثبت ذلك، دلالة التنبية القائمة في صيغتي "أفلا"، و"أولا" فرغم الفصل بين الهمزة و"لا" النافية بحرف العطف إلا أن المعنى هو ذاته في كلِّ أحوالها، وقد تكررت تلك الصيغُ بمجموعها في اثنتين وستين" موضعاً، ونبدأ بصيغة "أفلا".

"أفلا": تتكون هذه الصيغة من همزة الاستفهام و"الفاء" العاطفة و"لا" النافية، وجاء ذكرها في القرآن الكريم في "خمسة وأربعين" موضعاً، مع "ثلاثة عشر" فعلاً²⁶³، أغلبها أفعال حسيّة أو عقليّة، وتتميّز عن غيرها من صيغ النفي المرتبطة بهمزة الاستفهام بموقعها في ختام كثيرٍ من الآيات، وأكثر الأفعال دوراناً مع هذه الصيغة هو الفعل (عقل) بصيغة تعقلون، تكرر "أربع عشرة" مرة، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾²⁶⁴، فقد أفادت صيغة "أفلا تعقلون" توبيخ أهل الكتاب وتنبههم على ما يظهر به غلظهم ومكابرتهم²⁶⁵، فناداهم أولاً بـ"يا أهل الكتاب" ليسترعي انتباههم، وبما أنهم قوم يجادلون ويعاندون ويحاججون بغير علم، فقد جاءهم بسؤال الإنكار في ختام الآية لينبههم مرة ثانية على حقيقة عنادهم ومحاجبتهم التي يفندوها العقل، فكيف يكون إبراهيم عليه السلام يهودياً أو نصرانياً وهو قد سبق تلك النبوات، والدليل أن التوراة والانجيل نزلا بعده.

"أولا": تتكون هذه الصيغة من همزة الاستفهام و"الواو" العاطفة و"لا" النافية، وقيل ذكر هذه الصيغة في القرآن الكريم فلم ترد إلا في "ثلاثة" مواضع مع "ثلاثة" أفعال هي "ذكر"، "رأى"، "علم"، وما قيل في سابقها يقال فيه من جهة دلالتها على التنبية من خلال اجتماع الاستفهام والنفي، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾²⁶⁶، فالهمزة للإنكار والتوبيخ، والصيغة للتنبية على إعمال الفكر في بداية الخلق، ليؤمن بالإعادة، والفعل ذكر وعلم ورأى كلها أفعال تفيد العلم وتتصل به، ولعل ذكرها بعد صيغ الاستفهام المنقوض بالنفي

²⁶³ أبو سيبب، 2011م، 159.

²⁶⁴ القرآن الكريم، آل عمران، 65.

²⁶⁵ أبو حيان الأندلسي، 1993م/ا، 509/2.

²⁶⁶ القرآن الكريم، مريم، 67.

هو تنبيه للإنسان على ضعفه وجهله، فهو يجهل عن نفسه أضعاف ما يعرف عنها، ومن هذه حاله مع نفسه كيف له أن يعرف عن غيره أكثر من ذلك، ومن عرف جهله وقدر نفسه، علم مدى سعة علم الله وقدره، ومن علم قدر الله وواسع علمه أطاعه وسلّم أمره إليه.

"ألا": وهذه هي صيغة "ألا" التنبيهية ولا فرق في كونها بسيطة أو مركبة، لأنها تؤدي التنبيه على كل أحوالها، ولن نطيل الكلام فيها فقد تقدم الكلام عليه بما يعني عن إعادته، قال تعالى: ﴿إِذ قَالَ لَهُمُ أَحُوهُمْ هُوذٌ أَلَّا تَنْتَفُونَ﴾⁽²⁶⁷⁾، فالهمزة مع النفي أدت وظيفة المُنبِّه والمثير في الكلام، فهو يريدُ تنبيههم إلى أعظم غايةٍ ألا وهي التقوى، فنَبِّهَهُمْ إلى ذلك بصيغة "ألا" المكونة من همزة الاستفهام ولا النافية، فالاستفهام نفي، و"لا" نفي، ونفي النفي إثبات.

وبات بالإمكان الآن بعد الوقوف على الأساليب التي كونتها الهمزة مع النفي والأفعال التي تليها القول: إنَّ التَّنْبِيهَ في تلك الأساليب هو من أظهر الأدلة على كون الاستفهام أسلوباً من أساليب التَّنْبِيه في القرآن الكريم، فالمعنى هنا قريب جداً من معنى الأداتين ألا وأما، يضاف إلى ذلك اختيار كثير من الأفعال التي تتعلق بالمدارك والحواس لتعقب الاستفهام والنفي مثل فعل الرؤية والعلم والعقل، وهذه المدارك هي التي يتنبه بها الإنسان إلى ما حول، والعلم بالشيء فرع عن تصويره، والتصور قد يكون لشيء محسوس تراه العين أو معنًى ملموس يدركه العقل.

د. أسماء الاستفهام ودلالاتها على التنبيه:

وقفنا مع الهمزة، وهي حرف استفهام وبيئاً أثرها في التنبيه، وننقل للحديث عن دلالة أسماء الاستفهام على التنبيه، فنقف مع كل اسمٍ بمثابة نُبْيُنٍ فيه دلالتُهُ على التنبيه.

"من": اسم استفهام عن العاقل، تكررت كثيراً في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مَّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾⁽²⁶⁸⁾، خرج الاستفهام للتقريع والإنكار اللذين يفيدان التنبيه، فهو يُنكِرُ عليهم لينبِّههم أنَّه ليس هناك عاقلٌ يرغبُ عن الحقِّ الواضح الذي هو ملة إبراهيم عليه

²⁶⁷ القرآن الكريم، الشعراء، 124.

²⁶⁸ القرآن الكريم، البقرة، 130.

السلام²⁶⁹، والسؤال لم يستدع جواباً لأنه من الله، بل جاء السؤال مقروناً بجوابه من الله، والغاية من ذلك هو التنبيه على الجواب، وتوجيه المَدَارِكِ إليه علماً تعود للحق، فالحق الذي عليه إبراهيم عليه السلام هو التوحيد والإخلاص لله في كل عمل يعمله، وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام، هي الملة الحنيفية التي وصى بها أبناءه من بعد، ووصى بها يعقوب بنيه، وكل من أعرض عن هذه الملة فهو سفيه لا عقل له، واستنقحت الآية باستفهام إنكاري للعقل، والقصد من السؤال هو التنبيه على أن مجانبة هذه الملة لا تصدر من العقلاء، إذ يستحيل أن تجد عاقلاً يخالف هذه الملة التي تتوافق مع الفطرة والعقل.

"ما": اسم استفهام لغير العاقل، وهو أكثر أسماء الاستفهام ذكراً في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِبِمِينِكَ يُمُوسَى﴾²⁷⁰، يسأل الله جلَّ وعلا موسى عما في يده وهو أعلم بما في يده، وذلك تنبيهاً وإثارةً له حتى يتنبه للمعجزة التي ستحصل من انقلاب العصا إلى حية، فلما أجاب موسى على السؤال وتنبه لما في يده، أمره الله أن يلقبها فتحوّلت حيةً، والاستفهام هو من تَوَلَّى وظيفة التنبيه في الآية، فالعليم لا يسأل عن شيء بغية الحصول على جواباً هو أعلم به مما سواه، إلا إذا كان السؤال بغية أمرٍ ثانٍ يريده، والذي يظهر من الآية أن السؤال يحمل رسالة إلى موسى هدفها جذب انتباهه للحدث الخارق الذي سيحصل أمامه وهو انقلاب عصاه التي يعتمد عليها في سيره وفي رعيه، إلى حية مخيفة يجزع منها من يراها، والتنبيه على الأمر قبل وقوعه أدعى لقبوله، فإقرار موسى أنّ ما في يده عصاً تقيده، ويعتمد عليها في بعض شؤونه، هي تهيئة لقبول أنّ ما ستصير إليه هو من بعض ما سيعتمد عليه ليبرهن على صدق نبوته، وتنبيه على قدرة القادر الذي يقدر على تحويل عصاً إلى حية تسعى، والذي أعطى الاستفهام بعداً في التنبيه هو كون الاستفهام غير حقيقي.

"ماذا": اسم استفهام لغير العاقل، قال تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾²⁷¹، ذَكَرَ الرَّازِي أَنَّ «الاستفهام للإنكار»²⁷² وتوبيخ للكفار على عدم

²⁶⁹ الزمخشري، 1407هـ، 189/1.

²⁷⁰ القرآن الكريم، طه، 17.

²⁷¹ القرآن الكريم، النساء، 39.

²⁷² الرازي، 1420هـ، 80/10.

الإيمان بالله، والإنفاق في سبيله، وهذا الاستفهام الإنكاري هو بمثابة منبّه في الآية، لأن الاستفهام لا يبتغي جواباً من المخاطب، بل غايته التنبيه على أن الإيمان بالله وطاعته لا تستجلب ضراً لهم، لأن الله سيجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون، فالإيمان بالله وطاعته هي الجالبة لخيري الدنيا والآخرة.

"كيف": اسم استفهام للحال تكرر "ثمانين" مرة، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾²⁷³، الاستفهام هنا غرضه التنبيه والتعجيب وتسليّة المؤمنين بهلاك المكذبين²⁷⁴، وأنها سنّة الله الماضية في كل من كذّب الرّسل وعاداهم، فالتنبيه هنا للمؤمنين، تنبيه على عاقبة المكذبين، ولهذا الاسم أهميته في التنبيه والتي تتأتى له من جهة انصرافه عن معنى الاستفهام الحقيقي إلى غير الحقيقي إلا موضعاً واحداً كان فيه الاستفهام على حقيقته، أما الجهة الأخرى فهي انتظامه في عبارات محددة تكرر معظمها في أكثر من موضوع، وهدفها في كل موضع جاءت فيه هو التنبيه والاعتبار، وأغلب الأساليب التي تكررت معها كيف هي أساليب تفيد التنبيه بنفسها كالاستفهام المنفي: "ألم تر" ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾²⁷⁵، "أفلا ينظرون" ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾²⁷⁶، "أفلم يسيروا"، أفعال الأمر: "قل سيروا"، "انظر" ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾²⁷⁷، وغير ذلك من الأفعال التي شكلت مع كيف صيغاً تنبيهية تتكرر في موضع التذكير بحال الكفار ومصيرهم الذي صاروا إليه بسبب كفرهم، والعاقل من اتعض بغيره.

"أنى": اسم استفهام تأتي بمعنى "أين" أو "كيف"، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾²⁷⁸، ذَكَرَ الرَّازِي أَنَّ الاستفهام غرضه الإنكار، الإنكار على الكفار في تكذيبهم للحشر والنشر²⁷⁹، فبَعَدَ أَنْ أَخْبَرَ اللَّهُ

²⁷³ القرآن الكريم، آل عمران، 137.

²⁷⁴ شريف البلخي، 1992م، 244.

²⁷⁵ القرآن الكريم، الفجر، 6.

²⁷⁶ القرآن الكريم، الغاشية، 17.

²⁷⁷ القرآن الكريم، الأنعام، 46.

²⁷⁸ القرآن الكريم، الأنعام، 95.

²⁷⁹ الرازي، 1420هـ، 74/13.

بأنه هو مَنْ يَشُقُّ الحَبَّ ويخرُجُ الزرع ويُنْبِتُ النَّبْتَ، عَقَبَ ذلك بسؤالٍ أنكاريٍّ يُنبِّههم فيه على انصرافهم عن الحقِّ رغمَ كلِّ الدلائلِ التي تدلُّ عليه، انصراف عجيب، فالحق مع ما معه من أدلة كونية تؤيده إلا أن نفوسهم تأباه وتنصرف عنه إلى باطل لا حجة له ولا عقل يقبله، فكيف استقام لكم هذه؟ فالإنكار هنا خرج للتنبيه والزجر.

"أين": اسم استفهام للمكان، قال تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾²⁸⁰ قال ابن عاشور: الغرض من الاستفهام هو إنكار مكان ذهابهم وطريق ضلالهم²⁸¹، والغرض من الإنكار هو تنبيههم على ضلالهم وإعراضهم عن الحقائق الواضحة وذهابهم بعيداً عن الحقِّ الذي لا نجاة لهم إلا باتباعه، وهذه الصيغة تستعمل كثيراً في الإنكار والتنبيه على الضلال من خلال السؤال عن الطريق الذي يوصل إليه.

"كم": اسم استفهام يستفهم به عن العدد، قال تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾²⁸²، قال الرازي: المقصود من السؤال التنبيه على حدوث الخوارق التي حصلت له، فسأله عن زمن رقوده لينتبه لما هو خارج المؤلف، لأنه عندما مرَّ على القرية سأل؛ كيف يحييها الله بعد موتها، فسأله تقريراً وتنبيهاً له إلى ما حدث من خوارق للمؤلف²⁸³، فطول الزمن الذي مكثه له دور كبير في المعجزة التي جرت، ولأن المخاطب كان ميتاً فهو لا يدرك الزمن الذي مر عليه، ولن يرى في بقاء طعامه أمراً خارقاً للعادة، ولتنبيهه لهذه المعجزة سأله عن زمن لبوئه ورقوده.

"أي": اسم استفهام يأتي على حسب ما تضاف إليه، ومن أبرز أمثلتها في القرآن الكريم سورة "الرحمن"، فقد تكررت "إحدى وثلاثين" مرة، قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِهِ يُكْفَرُونَ﴾²⁸⁴، والغرض من الاستفهام التّقرير والتّوبيخ، تقرير الثقلين بامتنان الله عليهم، وتوبيخهم على تكذيبهم

280 القرآن الكريم، التكوير، 26.

281 الطاهر بن عاشور، 1984م، 164/30.

282 القرآن الكريم، البقرة، 259.

283 الرازي، 1420هـ، 30/7.

284 القرآن الكريم، الرحمن، 13.

وَشَكَّهِمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ اللَّهِ²⁸⁵، والتقريرُ مما يفيدُ التنبيه ولا سيما مع تكرارها بهذا العدد الكبير في نفس السورة، فزادَ الأسلوب دلالةً ثانيةً على التنبيه، خصوصاً أن السؤال لا يحتاج جواباً، فالقصد هو التنبيه والتحذير من عاقبة التكذيب، ونسبة النعم إلى غير مُنعمِها.

والملاحظُ على أسماء الاستفهام من خلال الأمثلة السابقة أنَّها أدَّت وظيفة التنبيه في المقام الذي ذكرت فيه، وكان معنى الإنكارِ والتقريرِ ملازماً لمُعظم تلك الأساليب، وهو ما أعطى الاستفهام دورَ المنبِّه في أغلب الأحيان، لأن في إبهام الشيء تعظيماً له وتحفيزاً للنفوس لتقبل عليه، فإن كانت على علمٍ به انتشت واحتفت به لأنه دليل تفوقها، وإن كان غائباً عنها عرفته، وفي كلا الحالين تستحضر النفس مكانها منه، فلا تغفل عنه، وبهذا يحصل المراد من الإبهام وهو الإنكار أو الإقرار.

وفي ختام كلامنا عن علاقة الاستفهام بالتنبيه، لا يسعنا إلا أن نقر للاستفهام دوره الكبير في الوظيفة التنبيهية في القرآن الكريم، وليس ذلك فحسب بل يمكن القول إن الاستفهام في القرآن الكريم له غرض أساسي هو التنبيه، وذلك واضحٌ من كثرة أساليبه التي وصلت لأكثر من الألف، وخرجُ جُلِّها عن دلالاته الوضعية إلى الدلالة غير الحقيقية، فالاستفهامُ الغير حقيقي هو ما لا يستدعي جواباً ممَّن توجه إليه السؤال، بل يبتغي من وراءه ردةً فعلٍ وتحفيزٍ وتأثيرٍ، وأما أهم ما وصل إليه الحديث عن أثره الاستفهام في التنبيه فهو:

أن همزة الاستفهام له دور كبير في التنبيه، وذلك لخفتها على اللسان ودخولها على النفي واقتنائها ببعض أفعال الحواس، ممَّا أُنشجَ معنىً يقرُّبُ إلى حدِّ كبيرٍ من معنى أدوات التنبيه؛ "ألا"، "أما"، وبالتالي فإن القول بتركب أدوات التنبيه من همزة الاستفهام والنفي له حظه كبير.

أن تكرار فعل الرؤية مع أسلوب الاستفهام، بصيغتي الماضي والمضارع أثرى الأسلوب وزاد من أثره في التنبيه.

²⁸⁵ شريف البلخي، 1992م، 335.

المعاني البلاغية التي خرجت إليها أساليب الاستفهام، وكان أشهرها "الإنكار" و"التقرير" قد أعطت لتلك الأساليب دوراً في التنبيه.

3.1.3. الأمر والنهي

"الأمر" والنهي" من أساليب الإنشاء الطلبي والغالب هو ذكرهما في أول أساليب الإنشاء، لكن تأخر الكلام عليهما لأن دلالة النداء والاستفهام على التنبيه أظهر منهما، وقرناً بالأمر بالنهي لقرب معنهما، فالأمر هو طلب الفعل، والنهي طلب الكف عن الفعل، فالنهي في حقيقته أمرٌ بالترك والكف، والأمر والنهي من المعاني المهمة في القرآن الكريم، فهما الأسلوبان الصريحان الواضحان في الدلالة على ما فرضه الله وأوجبه، وعلى ما حرّمه الله وكرهه، وعلى ما أباحه.

والأمر: «هو طلبُ الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويُفصّد بالاستعلاء أن ينظر الأمرُ لنفسه على أنه أعلى منزلةً ممّن يخاطبه أو يوجّه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلةً منه في الواقع أم لا»²⁸⁶، وقيل: «هو ما يُطلبُ به حدوثُ شيءٍ بعد زمن التكلّم وهو فعلٌ لم يحدث بعد»²⁸⁷.

وللأمر أربع صيغ هي:

فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾²⁸⁸.

المضارع المقرون بلام الأمر: نحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾²⁸⁹.

اسم فعل الأمر: نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾²⁹⁰.

²⁸⁶ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة بيروت، 2009م، ط1، 75.

²⁸⁷ سليمان فياض، النحو العصري دليل مبسط لقواعد اللغة العربية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1995م، ط1، 41.

²⁸⁸ القرآن الكريم، البقرة، 43.

²⁸⁹ القرآن الكريم، قريش، 3.

²⁹⁰ القرآن الكريم، المائدة، 105.

المصدر النائب عن فعل الأمر: نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾²⁹¹.

النَّهْيُ: «هو طلبُ الكفِّ عن الفعل أو الامتناعُ عنه على وَجْهِ الاستعلاء والإلزام»²⁹².

وللنهي صيغةٌ واحدةٌ قياسية وهي المضارع المقرون بـ "لا" الناهية الجازمة "لا تفعل"، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ مِنْهُمْ عَائِمًا أَوْ كَفُورًا﴾²⁹³، وقد تفيّدُ صيغُ الأمر والنهي معاني بلاغية تُفهمُ من السِّياق وقرائن الحال.

1.3.1.3. دلالة أساليب الأمر والنهي على التنبيه في القرآن الكريم

والحقيقة أنَّ استجلاء دلالة الأمر والنهي على التنبيه، وتحديد معالمها هي من الصُّعوبة بمكان، وليس مرّد ذلك إلى انتفاء صلتهما بالتنبيه، بل هو وضوح ذلك فيهما، وكما يُقال من المُعضلات توضيح الواضحات، فالتنبيه فيهما مستفادٌ من معنى الطلبِ الجازم القائم فيهما، وسنحاولُ قدرَ المُستطاع تبيان تلك الدلالة والوقوفَ عند معالمها، والتي تظهرُ في معنى الطلبِ الجازم، واستخدام أفعالٍ مخصوصةٍ وتكرارها بكثرة، بالإضافة إلى تواليها، وفي بعض المعاني البلاغية التي خرج إليه الأمر والنهي فأفادت التنبيه.

أ. دلالة الطلبِ الجازمة الملزمة في الأمر والنهي على التنبيه:

إنَّ معنى الطلبِ القائم في صيغِ الأمر والنهي يفيّدُ التنبيه، فالأمر والنهي هما أصلُ باب الإنشاء الطلبي، فالنداء والاستفهام والتمني هي في دلالة الطلبِ فرعٌ على الأمر والنهي، وتبيّن في الكلام على النداء والاستفهام كيف أفادا التنبيه بمعنى الطلبِ القائم في أدواتهما، فالنداء طلبٌ إقبال المخاطب، والاستفهام هو طلبٌ فهمٍ أو جوابٍ أو تجاوبٍ من المخاطب، وترتفعُ جدّةُ هذا

²⁹¹ القرآن الكريم، محمد، 4.

²⁹² عتيق، 2009م، 83.

²⁹³ القرآن الكريم، الإنسان، 24.

الطلب في الأمر والنهي لتصل لأعلى درجات الإيجاب والإلزام سواء كان أمراً أو نهياً، بحيث لا يكون للمخاطب مناص من اتخاذ موقف حيال ما وُجّه إليه، قبولاً كان الموقف أو إعراضاً.

ونبدأ بصيغة فعل الأمر التي ما ذكر الطلب إلا وتبادر إلى الذهن صورتها قبل غيرها.

صيغة فعل الأمر: أم صيغ الأمر، وأكثرها استعمالاً في اللغة، وفي القرآن الكريم، وعلة ذلك أمران؛ خفة هذه الصيغة على اللسان، وأصل وضعها للأمر²⁹⁴، جاءت هذه الصيغة في نحو (1848) موضعاً²⁹⁵، خالية من نون التوكيد، متنوعة بين فعل صحيح ومعنل، ثلاثي وغير ثلاثي، وتختص هذه الصيغة بالمخاطب مذكراً ومؤنثاً، مفرداً ومثنى وجمعاً، وفي كثرة هذه الأفعال التي يصدر غالبها من الله سبحانه وتعالى تنبيه ودليل على علو منزلة الأمر وحكمته وأن كل شيء بأمره، وعلى دنو منزلة غيره وانقياده له.

قال سبحانه وتعالى والأمر للمفرد: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾²⁹⁶، الأمر للمثنى ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾²⁹⁷، الأمر للجمع ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾²⁹⁸، الأمر للمفرد المؤنث ﴿يَمْرِيْمُ أَفْنَيْتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾²⁹⁹، الأمر للجمع المؤنث ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾³⁰⁰.

والملاحظ على جملة أفعال الأمر السابقة، هو دلالتها على وجوب امتثال الأمر، وفي ذلك تنبيه على عظمة الأمر، وعظم المأمور به، فطلب تلك الأوامر على سبيل الوجوب والإلزام، تنبيه

²⁹⁴ محمد بشير، الأمر ومعانيه في القرآن الكريم، الإيضاح 29، ديسمبر 2014، 300.

²⁹⁵ محمد عبد الخالق عظيم، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث القاهرة، 1981م، القسم الأول 465/3.

²⁹⁶ القرآن الكريم، الحجر، 99.

²⁹⁷ القرآن الكريم، طه، 43.

²⁹⁸ القرآن الكريم، الحج، 77.

²⁹⁹ القرآن الكريم، آل عمران، 43.

³⁰⁰ القرآن الكريم، الأحزاب، 33.

على وجوب امتثالها وعدم التهاون بها، على خلاف مجيئها بصيغة الخبر الذي قد لا تنتبه إليه النفوس وتتجذب نحوه، فثمة بون شاسع بين وقوع الكلام على المخاطب بصيغة الأمر ووقوعه بصيغة الخبر، لأن الإخبار عن الشيء قد يوحيه بضرورة الإلتزام به وقد لا يوحي، أما الأمر به فلا خلاف بضرورة الإلتزام، سواء كان على سبيل الوجوب أو الاستحباب أو الإباحة، وبالتالي فتضييع الأمر قد يترتب عليه عقاب، وامتثاله يترتب به الثواب، ولهذا كان ورود الأمر بحد ذاته هو تنبيه للمأمور.

صيغة المضارع المقترن بـ "لـ" الأمر: الصيغة الثانية الصريحة للأمر، وهي للغائب كما أن الأمر للمخاطب، وتدخل على المتكلم قليلاً، وأقل منه المخاطب³⁰¹، استعملت في القرآن الكريم ثمانين مرة، كلها للغائب إلا موضعاً واحداً للمتكلم، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ﴾³⁰².

وجاءت هذه الصيغة مسبوقة بحرف عطف باستثناء ثلاث مواضع، ومن أمثلتها في القرآن وقد سبقها حرف العطف: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾³⁰³، ﴿وَلْيَكْتُمِبَنَّكُمْ كَاتِبُ بِالْعَدْلِ﴾³⁰⁴، ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾³⁰⁵.

وهذه الصيغة شأنها شأن سابقتها في دلالة الطلب على الوجوب، وتفترق عنها من جهة المأمور بالأمر، فهنا الأمر للغائب وهناك للمخاطب، فالصيغتان تكملان بعضهما من هذه الجهة، وتبقى دلالة الطلب فيهما تؤدي وظيفة التنبيه، ففي آية النساء ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾³⁰⁶، جاء الأمر بالقتال في سبيل الله بصيغة المضارع مقروننا بلام الأمر التي قلبت الفعل المضارع من معنى الإخبار إلى الأمر الواجب تنفيذه، تنبيهاً على فضل هذا

³⁰¹ ابن هشام، 1985م، 296.

³⁰² القرآن الكريم، العنكبوت، 12.

³⁰³ القرآن الكريم، النساء، 74.

³⁰⁴ القرآن الكريم، البقرة، 282.

³⁰⁵ القرآن الكريم، الحج، 29.

³⁰⁶ القرآن الكريم، النساء، 74.

الأمر وحكمة تشريعه، ولعل علة توجيه الخطاب للغائب هي استمرارية وجوبه على هذه الأمة إلى قيام الساعة، وعدم قصره على فئة معينة، ومما توحى به هذه الصيغة هنا هو قلة الملتمزين به إما لسقوطه كفاية بقيام البعض به، أو لصعوبته لمشتته على النفوس.

صيغة اسم فعل الأمر: وهي ألفاظٌ تنوبُ عن فعل الأمر معنًى واستعمالاً، والغرضُ من استعمالها بَدَلَ فعلِ الأمر الإيجازُ وزيادة المبالغة في الأمر الذي تمتاز به هذه الصيغة³⁰⁷، وأسماء الأمر المُتَّفَق عليها في القرآن الكريم ليست بكثيرة، وأشهرها؛ "عَلَيْكَ"، "مَكَانَكَ"، "هَلُمَّ"، "هَأْوُمْ".

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾³⁰⁸، عَلَيْكُمْ: اسمُ فعلٍ أمرٍ بمعنى؛ إلزموا أنفسكم، واختيار اسم الفعل بدل صيغة الأمر والمضارع المقرون بلام الأمر غرض مهم يكمن في المبالغة في الأمر الموجه لكل شخص بعينه وأن واجب نفسه أولى من الواجب عليه تجاه غيره، ولا يعنى هذا الأمر ترك هداية الغير ونصحهم بل يعنى التنبيه على الواجب الأفضل وتقديمه على الواجب المفضول.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾³⁰⁹، مكانكم: اسم فعل أمر بمعنى؛ اثبتوا، وفي ذكر اسم الفعل المنقول عن الظرف إشارة وتنبيه لا يجب الغفلة عنه، فكأن الكلام صيغ من فعل أمر ومفعول يدل على المكان، وحذف الفعل وأبقى المفعول لينوب عن فعل الأمر، فمكانكم تعني إلزموا مكانكم الذي لن تغادروه، وفي هذا تحقير للمأمورين وتعظيم للأمر الذي ترفع عن أمرهم بأمر يعظم قدرهم، فأبقى أقلّ اللفظ الذي يُلزمهم بأمره، لأنهم لم يلتزموا أمره وأشركوا معه غيره.

³⁰⁷ ابن يعيش، غ. ت، 35/4.

³⁰⁸ القرآن الكريم، المائدة، 105.

³⁰⁹ القرآن الكريم، يونس، 28.

قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ)³¹⁰ ، هَؤُلَاءِ: اسم فعل أمر بمعنى، خذ³¹¹، واسم الفعل هنا هو "ها" أو "هاء".

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ سَأَلْتُمْ لِحُجَّتِمْ أَمْ لِحُجَّتِمْ أَمْ لِحُجَّتِمْ﴾³¹²، هَلَمْ: اسم فعل أمر بمعنى؛ هاتوا أو أحضروا³¹³ على لغة أهل الحجاز، «وذكر سيبويه أنها "ها" وضمت إليها "لم"»³¹⁴.

وأسماء أفعال الأمر وإن كانت قليلة الورد في القرآن الكريم إلا أن دلالة التنبيه فيها واضحة من جهة مبالغة الأمر فيها، ومن جهة تركب بعضها من "ها" التنبيهية التي تفيد التنبيه وتختص به.

المصدرُ النَّائبُ عن فعل الأمر: الصيغة الرابعة من صيغ الأمر، وهذه الصيغة هي صيغة المصدر الدالة على الحدث من غير زمن³¹⁵، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾³¹⁶، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾³¹⁷، فـ "ضرباً" وإحساناً" مصدران نائبان عن الأمر، ودلالتهما على الطلب هي ما جعلت منهما عنصراً مهماً في تأدية الوظيفة التنبيهية لأنها أخرجت الكلام لمعنى الطلب الجازم بعد أن كان يوحي بأنه خبر يحمل معنى التخيير، فجعله طلباً لئيبه على ووجوبه.

³¹⁰ القرآن الكريم الحاقّة، 19.

³¹¹ الزمخشري، 1407هـ، 602/4.

³¹² القرآن الكريم، الأنعام، 150.

³¹³ الزمخشري، 1407هـ، 60/2.

³¹⁴ الرازي، 1420هـ، 176/13.

³¹⁵ بشير، 2014، 315، و316.

³¹⁶ القرآن الكريم محمد، 4.

³¹⁷ القرآن الكريم الإسراء، 23.

النهي: قسيمُ الأمر في دلالة الطلبِ الجازمة، فالنهي طلب الكفّ عن الفعل طلباً جازماً ملزماً، جاءت صيغة النهي في القرآن الكريم في قرابةٍ أربعين وخمسة وعشرين موضعاً، منها ثلاثون وسبعة وتسعون موضعاً متفقاً في دلالتها على النهي، واختلفت في ثمانية وعشرين موضعاً³¹⁸، جُلُّ هذه الصيغ كانت موجهةً للمخاطب، وذلك أبلغ في التأثير في المتلقي لتعلق النهي به لا بغيره، ونصف تلك الصيغ جاء مسنداً إلى "واو" الجماعة³¹⁹ تنبيهاً على عموم النهي، وأنه خطابٌ تشريعٍ لعموم الناس أو عموم الفئة المعنية بالنهي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾³²⁰، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾³²¹، تتحدث هذه الآيات عن أمورٍ خطيرة قد يقع فيها الكثير حتى وإن كان من أهل الإيمان والصلاح، ولخطورتها على الإيمان فقد وجب التنبيه عليها، حتى تقوم الحجة وتتقطع المعذرة، ولا أبلغ في التنبيه على الشيء والتحذير منه مثل النهي عنه، بل قد وصل الأمر إلى التحذير من أسبابه التي توصل إليه خشية الوقوع فيه، وذلك أبلغ في التنبيه والتحذير.

وبعد هذه الأمثلة التي ذُكرت للتدليل على معنى الطلبِ سواءً في أسلوب الأمر بصيغته الأربع أو أسلوب النهي، لا يسعنا أن نُنكر دلالتها على الوظيفة التنبيهية، فهناك فرقٌ بين أن يأتي المعنى بصيغة الطلبِ الجازم وبين أن يأتي بصيغة الإخبار، فدلالة الطلبِ تلفتُ الانتباه إلى موجهِ الطلبِ وإلى المعنى المطلوب، أما الخبر فقد يلفتُ الانتباه وقد لا يلفت، وعلى أساس هذا المعنى بُنيَتْ كثيرٌ من الأحكام من حيث وجوبها وفرصيتها أو تحريمها، فالأمر عند علماء الأصول للوجِب والنهي للتحريم إلا أن تأتي قرينة تصرف عن ذلك، والذي يُعزّز من دلالة تلك الأساليب على التنبيه، كثرتها، فأساليب الأمر والنهي تُقربُ من "الألفين وخمسة" أسلوب.

³¹⁸ محمد أحمد الأشقر، أسلوب النهي في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2007م، 268

³¹⁹ ن. م، 268.

³²⁰ القرآن الكريم، المائدة، 51.

³²¹ القرآن الكريم، الإسراء، 34.

ب. توالي أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم:

ومما تتميز به أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم، هو تواليها، إذ يكثر فيه مجيء أكثر من أسلوب أمر، أو نهْي، أو أمرٍ ونهْيٍ في الآية الواحدة، وهذا التوالي يزيد من زخم الطلب في الموضوع الواحد فيكون ذلك أدعى لتنبيه المخاطب وجلب انتباهه وحضور عقله وقلبه، فهو أشبه بتكرار الطرق والقرع أكثر من مرة لتأكيد التنبيه، فمن غفلة أو شك في سماع الطريقة الأولى جاءت الثانية والثالثة لتذهب غفلة وتنفي شكّه، وهذا التوالي في القرآن على أنساق ثلاثة:

توالي أساليب الأمر: كثر في القرآن الكريم اجتماع أساليب الأمر في الآية الواحدة، وبالأخص أفعال الأمر، ولذلك التوالي تعليقات كثيرة ذكرها العلماء، مثل "الفضل" والسبق"، وقد يتوالى أسلوبان أو ثلاثة أو أكثر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾³²²، توالى في هذه الآية فعلاً أمر، وقُدِّمَتْ طاعةُ الله تنبيهاً على علوِّ المُقَدِّمِ وَعَظَمَتِهِ، وكُرِّرَ فعل الطاعة مع الرسول صلى الله عليه وسلم تنبيهاً على وجوب طاعته فيما يأمر به³²³، وللتنبيه أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله ولا يستقم إيمان مؤمن إلا بالطاعتين، ولا تغني إحداهما عن الأخرى، أما طاعة ولي الأمر فلم يكرر معها فعل الأمر، وذلك للدلالة على عدم استقلالها عن الطاعتين السابقتين، وللفرق بينهما في الحكم، فطاعة ولي الأمر ليست على الإطلاق كطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾³²⁴، ذُكِرَتْ هنا أربعة من أساليب الأمر معطوفة على بعضها من غير فاصل، مرتبة ترتيباً خاصاً، فأمر بالصبر العام ثم عطف عليه أمراً بصبر خاص بالجهاد وهو مُصَابِرَةُ العدو، ثم عطف عليه أمراً بالمرابطة والتي لا تكون بغير صبر ومصابرة، لِمَا فِي الرِّبَاطِ مِنْ شِدَّةٍ وَخَوْفٍ ثُمَّ عَقَّبَ عَلَى تِلْكَ الْأَوَامِرِ بِأَمْرِ أَخِيرٍ هُوَ الْأَمْرُ بِالنَّقْوَى، وهذا التوالي لأفعال الأمر على هذا الترتيب يجذب الانتباه وينير العقول لتقف عند كل طلب في تلك الأساليب، وكيف تدرج في الطلب من العموم

³²² القرآن الكريم، النساء، 59.

³²³ يوسف عبد الله الأنصاري، أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم، ماجستير، أم القرى، 1990م، 424.

³²⁴ القرآن الكريم، آل عمران، 200.

إلى الخصوص، مؤدياً بتلك الأوامر المتوالية وظيفية التنبيه، تنبيهاً على فضل كل صبر، وأن التقوى منزلة لا تتال بغير صبر ومصابرة ومرابطة، صبرٌ على الأمور، ومصابرة للنفس على المرغوب والمطلوب المحذور، وصبرٌ وربط للنفس على ما ينزلُ بها من القدرِ المقدور.

توالي أساليب النهي: إنَّ توالي أساليب النهي واجتماعها مع بعضها قليلٌ في القرآن الكريم، وذلك لقلَّةِ النَّواهي مقارنةً بالأوامر، ولعدم استقلال النهي بنفسه عن الأمر، إذ قلَّ أن ينفك عنه، وجمعُ النَّواهي مع بعضها تنبيه على استوائها بحكم معين، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقُ نَحْنُ نَرُفِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾³²⁵، يذكر الله لعباده في هذه الآيات ما حرَّم عليهم، لكنه لم يذكرها بصيغة الخبر مع أنَّ الموضوع يوحي بالإخبار، بل جاء بها بصيغة النهي تنبيهاً على حرمة تلك النَّواهي، وأنها الكبائر التي يجبُ اجتنابها، فكل نهْيٍ موجه لكبيرة بعينها وذاك لبيان عظمة اقتراف كل ذنب من تلك الذنوب وإن لم يتلبس صاحبها بسواها، وترتيبها من حيث عظمتها ذات ترتيبها في الآية فبدأ بأعظمها وانتهى بأخفها مقارنة بما قبله، وتواليها يحدث في النفس أثراً أشدَّ ممَّا لو ذُكِرَ كلُّ نهْيٍ في موضع مستقل، وجمعُ لها في حكم مشترك وهو كونها من كبائر الذنوب. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾³²⁶، اجتمع في هذه الآية نهيان، وفي هذا الاجتماع تنبيه على الأمر الوسط بين هذين الطرفين؛ وهو الاعتدال في الإنفاق، والوسط بين شحِّ وإسرافِ مذمومان وإن اختلفا.

توالي الأمر والنهي: قد يتوالى أمرٌ ونهْيٌ في موضع واحد، فينقدّم أمرٌ ويعقبه نهْيٌ يؤكده، أو ينقدّم نهْيٌ ويعقبه أمرٌ يؤكده، والأكثر تقدّم الأمر، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾³²⁷، بدأ بالأمر ثم تلاه بنهْيٍ يؤكد مضمونه، فعبادة الله تقتضي عدم الإشراك به لكنه عقبَ بالنهْي بعد الأمر تنبيهاً على حُبوطِ كلِّ عبادةٍ دخلها شركٌ مع الله، لأنَّ صرف العبادة لغير الله

³²⁵ القرآن الكريم، الأنعام، 151، 152.

³²⁶ القرآن الكريم، الإسراء، 29.

³²⁷ القرآن الكريم، النساء، 36.

شرك، وهذا الذي يطلق عليه اسم توحيد الألوهية: وتعني صرف العبادة لله وحده. وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُونَهَا حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾³²⁸، أمر باعتزال النساء حال الحيض، والاعتزال يعنى تجنّب قريهن، لكنّه عقّب الأمر بالنهي عن قريهن: "لا تقربوهن"، تنبيهاً وتأكيداً على الأمر الخطير الذي أمر به، فالنهي توكيداً وتوضيحاً للأمر السابق حتى لا يلتبس الأمر وينصرف إلى أمر غير مطلوب.

ج. تكرار بعض أفعال الأمر والنهي:

لم تقف دلالة التنبيه في صيغ الأمر والنهي عند معنى الطلب الجازم فيها بل اخصّنت بعض أفعال الأمر والنهي بنوع من التكرار يتفاوت من فعل لآخر، وهذا التكرار أعطى بعداً آخر لتلك الأفعال في دلالتها على التنبيه، ومن تلك الأفعال؛ "انظر"، "اذكر"، "اتق"، "قل"، "كن"، "اعلم"، "لا تقرب"، "لا تجعل"، "لا تقتل"، وغيرها من الأفعال، وسنكتفي بالكلام عن فعلين للأمر وهما "قل"، و"انظر"، وفعل للنهي وهو "تقرب" للتدليل على أثرهما في التنبيه.

الفعل "قل" ودلالاتها على التنبيه: "قل" فعل أمر من الفعل "قال"، تكرر في القرآن الكريم ثلاثمئة واثنين وثلاثين مرة، في "سبع وخمسين" سورة أي نصف سور القرآن، وتفاوت عدد تكراره باختلاف السور فوصل إلى "أربع وأربعين" مرة في سورة "الأنعام"، و"أربع وعشرين" في سورة "يونس"، وباقي السور أقل من ذلك حتى بلغ مرة واحدة في "تسع عشرة" سورة كسورة "الفلق" و"الناس"³²⁹.

والمأمور بهذا الأمر في كلّ تلك الأوامر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويُسنتنى من ذلك أربعة مواضع وجه الأمر فيه لغير النبي صلى الله عليه وسلم، اثنان كان الأمر فيهما ل"نوح" عليه السلام، قال تعالى: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من

³²⁸ القرآن الكريم، البقرة، 222.

³²⁹ عبد الباقي، 1945، 571.

القوم الظالمين ﴿٣٣٠﴾، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾³³¹، والقول الثالث كان الخطاب لـ"موسى" عليه السلام وهو قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾³³²، والرابع قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾³³³، فالخطاب هنا وإن كان موجهاً من الله جلّ جلاله لرسوله، فالمرادُ غيره، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يدركْ والديه في الوقت الذي حُوْطِبَ به بهذا الخطاب.

والغالب في مقولات الفعل "قل" أن تكون جملة، وقد تتكرّر بعض الجمل مثل عبارة؛ "قل سبيروا في الأرض"، وعبارة؛ "قل هاتوا برهانكم"، وعبارة؛ "قل بلى وربي".

وأبرزُ مضامين المقولات؛ محاورَةُ أهل الكتاب كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾³³⁴، بيان منهج النبيّ صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾³³⁵، الجواب على الأسئلة التي توجه للنبيّ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّ﴾³³⁶، الحديث عن الله سبحانه وتعالى، وعن نبيه، وعن الغيبيات والمعجزات: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾³³⁷، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ﴾³³⁸، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنزَلْنَا عَذَابَهُ بَيْتًا أَوْ نَهَارًا مَادًّا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾³³⁹، وتتعدد المقولات والقائل الله، والمقول له النبيّ صلى الله عليه وسلم غالباً.

³³⁰ القرآن الكريم، المؤمنون، 28.

³³¹ القرآن الكريم، المؤمنون، 29.

³³² القرآن الكريم، النازعات، 17، و18.

³³³ القرآن الكريم، الأسراء، 23.

³³⁴ القرآن الكريم، آل عمران، 64.

³³⁵ القرآن الكريم، الأعراف، 203.

³³⁶ القرآن الكريم، الإسراء، 85.

³³⁷ القرآن الكريم، الإخلاص، 1.

³³⁸ القرآن الكريم، فصلت، 6.

³³⁹ القرآن الكريم، يونس، 50.

ويُوحى الكلام السابق عن "قل" أنها صارت أشبه بأداة للتثنية، فحفتها على اللسان، وتصدرها الكلام يقربانها من ذلك المعنى، يضاف إلى ذلك معنى القول والمأمور به، حتى غدا ذكرها دليلاً وتثبيهاً على ما بعدها، ومعلوم أنّ القول هو التلفظ بالمقول، والقول لا يكون إلا باللسان، وفي ذكر لفظ القول صراحة تنبيه على أن القول كافٍ لإقامة الحجّة على السامع، وأنّ المعنى واضحٌ بيّنٌ لكلّ من سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَجِدْ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾³⁴⁰.

وأما تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيه الأمر إليه، ففي ذلك تنبيهٌ أيضاً لكل سامع أن النبي صلى الله عليه وسلم مُبلِّغٌ عن الله سبحانه وتعالى، ولا ينطق عن الهوى، إنّما وحيٌّ يوحى إليه من الله، كأنه يقول: انتبه يا مَنْ تسمع كلام الله فهو ليس بقول بشر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْتَبِئُ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾³⁴¹، وفي تقديم لفظ قل على هذه الآية دليل على مغزاها واختصاراً لمعناها، فمن لسانه لا ينطق بغير "قل" كيف له أن يقول ما ليس له به علم، فضلاً عن القول على الله بغير علم، وبهذا اللفظ وحده دون بقية الآية تعلم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه، وأنّه مُبلِّغٌ عن ربه سبحانه ولا ينطق عن هواه.

ومن معاني "قل" أنها تميّز الخطاب حتى لا يلتبس المعنى، فإذا ذُكرت "قل" فهي تنبيه على أنّ المقول الذي يعقبها من الله وليس محكياً على لسان أحدٍ من خلقه، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾³⁴²، وهنا تأتي "قل" لتكون فصلاً وتثبيهاً، فصلاً بين السؤال وجوابه وتثبيهاً على بداية تحول الكلام حتى لا يلتبس، فذكر بداية سؤالهم عن الخمر والميسر واختصره بدلالة الجواب عليه، وعاجل الإجابة على السؤال بلفظ "قل" الذي يدل على بداية كلام الله سبحانه وتعالى على سؤالهم، ونقل الكلام من صيغة المضارع في يسألونك إلى الأمر في "قل" تنبيه على أن الجواب من الله، وأنه حقيقة يجب التسليم بها لأنها ليست بقول بشر، ومجئ "قل" في مثل هذا السياق كثير، وأظهر مثالاً لذلك سورة الأنعام التي تكررت فيها "قل" في أربعة وأربعين موضعاً تدور حول

³⁴⁰ القرآن الكريم، الأنعام، 19.

³⁴¹ القرآن الكريم، الأعراف، 203.

³⁴² القرآن الكريم، البقرة، 219.

محااجة الكفار ودحض شبهاتهم وإغلاق جميع السبل التي يلوذون بها للتهرب والجحود والنكران، وذلك إمّا بالإجابة على أسئلة الكفار أو استحضار أسئلة قد تطرأ في وقت آخر ثم الإجابة عليها، وإخراج تلك الأجوبة على شكل مسلمات وحقائق يبلغها النبي صلى الله عليه وسلم، ويلجم بها الكفار، وتلجم كلٌّ من يساوره ما ساور الكفار من قبله.

ومن معاني الأمر في "قل" التنبيه على تشريف هذه الأمة بأن تخاطب مباشرة من الله بغير واسطة، كما في السور التي تبدأ بـ "قل" كـ "الإخلاص" و "المعوذتين" ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾³⁴³، لتفوز هذه الأمة بشرف المخاطبة³⁴⁴، وبهذا يظهر لك بديع أثر هذا الفعل على المواضع التي ذكر فيها وأثره على المتلقي من جهة تحفيزه وتنبيهه.

الفعل "انظر" ودلالته على التنبيه: تكرر الأمر بـ "النظر" في القرآن الكريم، فجاء "سِتِّ وعشرين" مرةً بصيغة "انظر"، وتسع مراتٍ بصيغة "انظروا"، ومرة بصيغة "انظري"، وبصيغة المضارع المقرون بـ "لا" الأمر ثلاث مرات³⁴⁵، مفيداً في جُلِّ تلك المواضع التنبيه، فالأمر في تلك الصيغ خرج لمعنى التأمل والاعتبار في الآيات الكونية، أو النفس الإنسانية، أو أحوال الأمم السابقة³⁴⁶، وهذا التأمل والاعتبار عبادة عظيمة يقصد منه تنبيه المخاطب لتلك المظاهر الدالة على من أوجدها، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾³⁴⁷، فالأمر "انظر" تنبيه ودعوة لإعمال الفكر في الآيات المبنوثة في السماوات والأرض الدالة على عظمة الخالق، وأنه الرب الذي ينبغي الإيمان به، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلْقِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مَنَّ قَبْلَهُ لَمُبْلِسِينَ فَأَنْظُرُوا إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ

³⁴³ القرآن الكريم، الإخلاص، 1.

³⁴⁴ صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة مصر، 1986م، 62. الزركشي، 1957م،

251/2.

³⁴⁵ عبد الباقي، 1945م، 704.

³⁴⁶ الأنصاري، 1990م، 129.

³⁴⁷ القرآن الكريم، يونس، 101.

لَمْحِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ³⁴⁸، بعد أن ذكر الله إثارة السحاب بالرياح وبسطه وإنزال الماء منه واستبشار الناس به، عَقَّبَ على ذلك بأمرِ النظر في تلك الآيات وأنها رحمة من الله، فهو أمرٌ للْتَنَبَه على أن مدبر تلك الأمور هو الله الذي يحيي ويميت، القادر على كلِّ شيء، المُسْتَحِقُّ للشُّكْرِ على الدَّوام³⁴⁹، ومن معاني الأمر بالنظر للإنسان تأمُّل خُلُقِهِ، وطعامه، تنبيهاً على ضعفه، وأنَّ له رباً هو مَنْ يدبر أمره، وهذا الخلق للإنسان ولطعامه آية من آيات الله الدالة على عظمته، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا³⁵⁰﴾، وقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ³⁵¹﴾، وكانت صيغة الأمر هنا المضارع المقرون بـ "ل" الأمر.

أمَّا التنبية على حال المكذبين من الأمم السابقة فقد جاء في أكثر من موضع، مقروناً إلى الفعل "انظر" اسم الاستفهام "كيف"، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ³⁵²﴾، وقال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ³⁵³﴾، وقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ³⁵⁴﴾، فالأمر "انظر" في كل هذه الآيات تنبيهٌ للنبي صلى الله عليه وسلم ولَمَنْ تبعه أنَّ سنة الله في مَنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ وعصى الله، إهلاكهم، والشاهدُ الأمم التي سبقتكم، والأمر بالنظر في هذه الآيات التي تحيط بالإنسان سواء كان في نفسه أو طعامه أو غير ذلك مما تقدم ذكره لا يعني أكثر من تقليب النظر فيها للْتَنَبَه على ما في تلك المظاهر من الدلائل الدالة على من بيده ملكوت كل شيء، وأنه القادر على كل شيء، والأمر بالنظر لم يكن لغياب تلك المرئيات، بل هو للتدبر الغائب عن كثير ممن يبصرون لكنهم لا يتدبرون فيما يرون، فهو أمرٌ للْتَنَبَه من الغفلة، لا مجرد النظر والتفكر.

³⁴⁸ القرآن الكريم، الروم، 48، و49، و50.

³⁴⁹ الأنصاري، 1990م، 131. أبي السعود، غ ت، 65/7.

³⁵⁰ القرآن الكريم، عبس، 24، و25.

³⁵¹ القرآن الكريم، الطارق، 5.

³⁵² القرآن الكريم، آل عمران، 137.

³⁵³ القرآن الكريم، الأعراف، 84.

³⁵⁴ القرآن الكريم، يونس، 73.

الفعل "تقرب" ودلالته على التنبيه: ذكر الفعل "تقرب" في سياق النهي في "أحد عشر" موضعاً، تنبيهاً على المبالغة في النهي، لأنّ النهي عن قُرب الشيء أبلغ من النهي عن فعله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾³⁵⁵، وعلّق البيضاويّ على ذلك أنّ تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدّمات التناول جاء للمبالغة في تحريمه، «ووجوب الاجتناب عنه وتنبيهاً على أنّ القُرب من الشيء يورثُ داعيه، وميلاً يأخذ بمجامع القلب، ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع»³⁵⁶، وهذا حال بقية الآيات التي جاء فيها الفعل "تقرب"، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾³⁵⁷، فالنهي عن قرب الصلاة حال السكر أبلغ من النهي عن الصلاة، وتنبيهٌ على أنّ النهي ليس موجهاً للصلاة بذاتها بلّ للحال المانعة من الصلاة، فالنهي هو نهى عن السكر لا الصلاة، وتخصيص النهي للقرب هو تنبيه يحمل في طياته معاني كثيرة ومن بعض تلك المعاني التي اشتملت عليها الآية السابقة أن الصلاة ليست مجرد حركات ظاهرة لا معنى لها تقبل من كل أحد، لا، لكنها عبادة غايتها الخشوع والخضوع لله سبحانه وتعالى، وكيف يخشع من لا يعي ما يقول، فشتان إذن بين حقيقة الصلاة وغايتها، وبين سكرٍ يذهب بالعقل، فالنهي عن قرب الصلاة دليل على بعد السكران عن تحقيق المراد من الصلاة، فتنبه ولا تقرب الصلاة حتى تعلم ما تقول.

وختام الكلام في دلالة الأمر والنهي على التنبيه، أنّ معنى الطلب الجازم فيهما هو الذي أعطاهما معنى التنبيه، وعزز ذلك المعنى توالي أساليب الأمر والنهي في الموضوع الواحد، يضاف إليه تكرار بعض الأفعال، مما جعلها تخرج عن دلالة الطلب إلى معنى التنبيه، ومن النتائج التي خلص إليها مبحث الأمر والنهي:

أنّ أساليب الأمر والنهي راعت الجوانب الحسية بالإضافة إلى الجانب المعنوي فيها، وذلك من خلال اختيار أفعال معينة وتكرارها أكثر من غيرها، فالفعل قل فيه مراعاة لحاسة السمع،

³⁵⁵. القرآن الكريم، البقرة، 35، الأعراف، 19.

³⁵⁶. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار

إحياء التراث العربي بيروت، 1418هـ، ط1، 1/ 72.

³⁵⁷. القرآن الكريم، النساء، 43.

والفعل انظر يراعي حاسة الرؤية، وشغل هذه الحواس بما يريده الله له دور كبير في لفت انتباه المخاطب، لعدم انشغال الحواس بصارف ثانٍ.

أن تكرار صيغة الطلب سواء كان بتكرار الصيغة في الآية الواحدة أو السورة، أو تكرار الفعل ذاته في الآية أو السورة، له دور كبير في لفت الأنظار والأسماع إلى الجرس الذي يحدثه ذلك التكرار في النص وإلى المعنى المراد التنبيه عليه.

3.1.4. التمني

الأسلوب الأخير من أساليب الإنشاء الطلبي التي سيتناولها البحث، ولن يطول الحديث عن هذا الأسلوب لسببين؛ الأول: قلّة شواهد هذا الأسلوب في القرآن الكريم، واقتصره على أداة واحدة هي "ليت"، الثاني: هو اقتران الأداة "ليت" بأداة النداء "يا" في جُلّ تلك الشواهد، وقد سبق الكلام عليها في مبحث النداء الذي تقدم.

ونبدأ الكلام على التمني بتعريفه وذكر أدواته ومن ثم شواهد في القرآن الكريم ودلالة التنبيه فيها.

3.1.4.1. تعريف التمني وأداته:

التمني: هو تمني الأمانى التي تقطعت بها الأسباب وحالت دون بلوغها، وهو مأخوذ في اللغة من «(مَنَى) فالميم والنون والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على تقدير شيءٍ ونفازٍ القضاء به، ومنه قولهم: مَنَى لَهُ المَانِي أَي قَدَّرَ المُقَدَّرُ»³⁵⁸، وقيل التمني: «تشهي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون، ولا يكون»³⁵⁹.

³⁵⁸ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م/ب، 276/5.

³⁵⁹ ابن منظور، لسان العرب، مادة(مني)، دار صادر بيروت، 1993م.

أمّا اصطلاحاً فقد تعدّدت تعاريف التمنيّ فقالوا: «هو طلب حصول شيءٍ على سبيل المحبّة»³⁶⁰.

وعرفه ابن يعقوب المغربي(ت:1128هـ) بقوله: «هو طلب حصول الشيء بشرط المحبّة ونفي الطماعيّة في ذلك الشيء»³⁶¹، فالتمني عنده هو للشيء المحبوب مع استحالة بلوغه.

وعرفه الدكتور عيسى العاكوب بأنّه «هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله»³⁶².

وليس للتمني إلا أداة واحدة هي "ليت"، و"ليت" بفتح التاء كلمة تمنّ، تقول: ليتني فعلت كذا وكذا³⁶³، وتتعلق بالمستحيل غالباً وبالممكن أحياناً³⁶⁴، وهي حرف مشبّه بالفعل من أخوات إنّ.

3.1.4.2. التمني في القرآن الكريم ودلالاته على التنبيه:

جاء التمنيّ في القرآن الكريم في "أربعة عشر" موضعاً هي قوله تعالى: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ﴾³⁶⁵، ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾³⁶⁶، ﴿قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾³⁶⁷،

³⁶⁰ التفتازاني، 2013م، 407.

³⁶¹ ابن يعقوب المغربي، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد، مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح، ت: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية بيروت، غ.ت، 460.

³⁶² عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة، جامعة حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 2000م، 300.

³⁶³ ابن منظور، لسان العرب، مادة(ليت)، دار صادر بيروت، 1993م.

³⁶⁴ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (ليت)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.

³⁶⁵ القرآن الكريم، القصص، 79.

³⁶⁶ القرآن الكريم، يس، 26.

³⁶⁷ القرآن الكريم، الزخرف، 38.

﴿فَقَالُوا يَلَيْتْنَا نَرُدُّ وَلَا نُكَدِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾³⁶⁸، ﴿يَقُولُونَ يَلَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾³⁶⁹، ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾³⁷⁰، ﴿وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾³⁷¹، ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًا﴾³⁷²، ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾³⁷³، ﴿يُوبِلْتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾³⁷⁴، ﴿فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ﴾³⁷⁵، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾³⁷⁶، ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾³⁷⁷، ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾³⁷⁸.

وأغلب مشاهد التمني كانت للكافرين إلا موضعين؛ أحدهما كان لمريم عليها السلام، والثاني للعبد الصالح، والتمني أغلبه جاء تصويراً لمشهدٍ من مشاهد الآخرة، التي تُبينُ مصير الكفار وندمهم، وتمني الرجوع للعالم الدنيا وإطاعة الله ورسوله، وهناك بعض من تلك المشاهد كانت تحكي حالاً من التمني في الدنيا، كمریم وكعبدا لله بن أبي بن سلول، وغلبَ على الأمنيات كونها مستحلهً، أما موضع التنبيه في التمني فهو كائن في تمني حال مغايرة أو مجنبه للحال التي هو عليها، وذكر هذه الحال على سبيل التمني دليل على بعدها عنه وفوات أوانها، وإظهار عظمة وقدر الفائت جعله أمنية صعبة المنال، ومما يلحظ على آيات التمني أن جاءت في سياق الإخبار الكائن في تقديم فعل القول بصيغة الماضي أو المضارع على أداة التمني، وفي ذلك فوائد منها التنبيه على معرفة الله لعلم الغيب سواء كان غيباً في الصدر أو غيباً في عواقب ومآلات الأمور.

³⁶⁸ القرآن الكريم، الأنعام، 27.

³⁶⁹ القرآن الكريم، الأحزاب، 66.

³⁷⁰ القرآن الكريم، النساء، 73.

³⁷¹ القرآن الكريم، الكهف، 42.

³⁷² القرآن الكريم، مريم، 23.

³⁷³ القرآن الكريم، الفرقان، 27.

³⁷⁴ القرآن الكريم، الفرقان، 28.

³⁷⁵ القرآن الكريم، الحاقة، 25.

³⁷⁶ القرآن الكريم، النبأ، 40.

³⁷⁷ القرآن الكريم، الفجر، 24.

³⁷⁸ القرآن الكريم، الحاقة، 27.

ومهما يكن من أحوال التمني فإن دلالاته على التنبيه ظاهرةً عياناً، بسبب اقتران التمني بالنداء، فدخل أداة النداء على "ليت" يجعل أداة النداء أداة خالصة للتنبيه لدخولها على ما ليس بمنادي، ف "يا" أداة تنبيه وتضاف إليه ليت فتزيد الطلب تنبيهاً، وذلك لأن يا تستعمل لمناداة البعيد، والتمني هو تمني الأمر البعيد الحصول، فالنداء والتمني يحققان الغرض ذاته في التنبيه على استحالة وبعد الأمنيات.

هنا ينتهي الكلام على التنبيه بالإنشاء الطلبي، وأهم ما وصل إليه الحديث من نتائج دلالة الطلب على التنبيه هي:

غزارة أساليب الإنشاء الطلبي، وتنوعها أساليبها وشمولها، وترتيبها من حيث كثرتها يبدأ من أسلوب الأمر والنهي، ثم الاستفهام، ثم النداء، ثم التمني، أما من جهة دلالة التنبيه فيها فهي على النحو التالي: النداء ثم الاستفهام ثم الأمر والنهي، ثم التمني.

أسلوب التمني يمكن إدراجه تحت أسلوب النداء في دلالاته على التنبيه، وذلك لاقتراحه بـ يا التي للنداء في أغلب أمثله.

اقتصار النداء على الأداة يا في النداء، استحواذ الهمزة في أسلوب الاستفهام على شطر أساليبه، وتكرار أفعال معينة في أسلوب الأمر والنهي.

استفتاح كثير من سور القرآن الكريم بأساليب الإنشاء الطلبي كالنداء والاستفهام وأفعال الأمر.

3.2. التنبيه بالعدول (التنبيه غير المباشر):

مما لا شك فيه أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين، عربي في حروفه، ومفرداته، وتراكيبه، وعباراته، ومع ذلك فقد عجز العرب أن يجاروه أو يأتوا بمثله، فهو وإن كان عربياً إلا أنه خارج عن كلّ معهودٍ ومألوفٍ عندهم، فما هو بشعرٍ ولا نثرٍ ولا سجعٍ كسجع الكهان، وهذا الخروجُ جعله البعضُ من علماء البلاغة واللغة سرّاً إعجاز القرآن الكريم، فالخروجُ سرّاً بلاغة

القرآن، وبالتالي سرّ إعجازه عندهم، يقول الباقلائي (ت403هـ): «إنّ نظم القرآن على تصرّف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خُطبهم، وله أسلوبٌ يختص به، ويتميّز في تصرّفه عن أساليب الكلام المعتاد»³⁷⁹، ممثلاً بذلك مستوى ثانياً يثير الدهشة والغرابة في نفس كلّ متلقٍ له.

وهذا الخروج الذي عناه البلاغيون ليس خروجاً عن سنن العربية وأساليبها، لا، بل هو استخدام المفردات والتراكيب استخداماً مميزاً جديداً يتناسب مع قوانين اللغة، ويبلغ ذروة الكمال في كلّ فنٍ وأسلوب.

وقد عرفت اللغة العربية كثيراً من مظاهر مفارقة المألوف، وأطلقوا عليه تسميات كثيرة مثل: "التوسع"، "شجاعة العربية"، "مخالفة الظاهر"، "العدول"، "الانزياح"، وهذان الأخيران أكثر المصطلحات تداولاً، و"العدول" هو الأكثر رواجاً في تراثنا البلاغي، لذلك ارتضينا مصطلحاً لهذا الأسلوب في بحثنا، فما هو العدول؟ وما معياره؟ وما الهدف منه؟

3.2.1. مفهوم العدول وضابطه وهدفه:

3.2.1.1. تعريف العدول:

للعُدول أكثر من معنَى في اللغة أو الاصطلاح وهذه المعاني قريبة من بعضها فهو في اللغة من: عدلَ عنه يَعِدِلُ عَدْلًا وَعُدُولًا: حاد، وعدلَ إليه عُدُولًا: رجع، وما له مَعْدَلٌ ولا معدول: مصرف، وعدلَ عن الطريق عُدُولًا: مالَ وانصرف، وعدلَ الشيء بالكسر: مثله من جنسه ومقداره، وعدلَهُ بالفتح: ما يقوم مقامه من غير جنسه³⁸⁰.

³⁷⁹ الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1997م، ط5، 69.

³⁸⁰ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عدل)، دار صادر بيروت، 1993م.

وفي الاصطلاح للعدول تعاريف كثيرة نذكر منها: «مُجاوزة السنن المألوف بين الناس في محاوراتهم، وضُروب معاملاتهم، لتحقيق سمةٍ جمالية في القول تمتع القارئ، وتطربُ السامع، وبها يصير نصاً أدبياً»³⁸¹.

وعرّفه الزركشي: «نقلُ الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، تطريةً للسامع، وتجديداً لنشاطه، وصيانةً لخاطره عن الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه»³⁸².

3.2.1.2. معيار العدول:

إنّ التسليم بأنّ تجاوز المألوف وغير المعتاد يثير الدهشة والغرابة في النفوس ويجذبها إليه، لا يقتضي التسليم بأنّ كلّ خروجٍ، خروجٌ مستساغٌ وحسن، وهذا ما حدّا بالعلماء لوضع ضوابط ومعايير للخروج، وأطلقوا على هذا المعيار مسميات؛ "الاستعمال الدارج"، "المألوف"، "درجة الصفر"، "الأصل"، "الشائع"³⁸³، في مقابل "العدول" الذي يمثل انتهاكاً لها، فالعدول: مظهرٌ فرعيّ يقابل مظهراً أصلياً قاعدياً يُقاسُ عليه.

وبهذا يمكن أن نميّز بين صورتين للعدول؛ عدولٌ عن الصواب، وعدولٌ عن الأصل³⁸⁴، وقد قام البحثُ البلاغيّ العربي على مبدأ يحترّم الصواب، وعدّه أمراً لا يجوزُ مخالفته، فالخطأ اللغويّ في بناء الألفاظ، أو أداء المعنى يُذهبُ جمالها ويُنزِلها عن درجة الفصاحة³⁸⁵، وبالتالي هو عدولٌ عن الصواب، وهذا النوع من العدول ليس بحسنٍ ولا مستساغٍ،

³⁸¹ عبد الموجود متولي يهنسي، العدول عن النمطية في التعبير الأدبي، 1993م، ط1، 5.

³⁸² الزركشي، 1957م، 314/3.

³⁸³ موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار جرير، عمّان، 2014م، ط1، 45.

³⁸⁴ إبراهيم منصور التركي، العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد19، العدد 40، ربيع الأول 1428هـ، 556.

³⁸⁵ ن. م، 556.

أمّا العدول المقبول والمستساغ، فهو العدول المُتَّفِقُ مع قواعد اللغة وقوانينها، من حيث المعنى والدلالة، وصُورُهُ كثيرةٌ، فلا تكادُ تجدُ مبحثاً يخلو منه³⁸⁶.

3.2.1.3. الهدف من العدول:

يمكننا استجلاءً غايةِ العدول، والهدف منه، من تعاريفه التي تجتمعُ على هدفٍ واحدٍ هو؛ إثارة المتلقي وجذبُ انتباهه إلى الموضوع ليرسخ في ذهنه³⁸⁷، فالمفاجأةُ التي تأتي من الجديد المعدول عن الأصل المألوف، هي ما تثيرُ انتباه المتلقي، وتوقظه من غفلته، ليعملَ فكره في السبب الذي استدعى العدول عن المألوف.

ويؤكد هذا الكلام ما ذهب إليه ريفاتير: من أنّ وقع المفاجأة على النفس مرهونٌ بمدى بعدها عن المُتَوَقَّعِ والمُنْتَظَرِ، ومتى ما تكررَت ضَعْفُ أثرها، فالانتباه إلى الكلمات مرهونٌ بما تقدّمه من معنَى جديدٍ مدهشٍ³⁸⁸، فالكلام متى ما نُقِلَ من أسلوب إلى آخر كان أنشطاً للسامع من إجرائه على أسلوبٍ واحدٍ³⁸⁹، وتنشيطُ المتلقي وإثارة دهشته، هي وظيفة العدول العامة في الكلام، وهناك وظيفة خاصةٌ تُستفادُ من موقع العدول في الكلام، وهي التي عناها الزمخشريُّ بقوله: وقد تَخَنَصَّ مواقعُه بفوائد³⁹⁰.

ومن السِّبَاقين في الكلام على وظيفة العدول، والقول: بأنّها "إثارة المتلقي"، الجاحظ الذي بيّن أنّ «الناس موكلون بتعظيم الغريب، واستطراف البعيد، وليس لهم في الموجدِ الراهن مثلُ الذي لهم في الغريب القليل، وفي النادرِ الشاذ»³⁹¹.

386 ن. م، 557.

387 مرتضى قانمى، إسماعيل يوسفى، جواد محمد زاده، أسلوبية الانزياح في سورة الحديد، إضاءات نقدية، السنة 6، العدد 24، كانون الأول 2016م، 44.

388 عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، غ. ت، ط3، 86.

389 الزمخشري، 1407هـ، 14/1.

390 ن. م، 14.

391 الجاحظ: 1423هـ، 93.

وإذا ما جئنا إلى النصّ القرآني، وجدناه يَزَخَرُ بمظاهر العدول التي تثيرُ العقول على مرّ العصور والدهور، وقد سجّلت كثيرٌ من الدراسات القرآنية تلك المظاهر، تحت مسميات كـ "مخالفة ظاهر اللفظ معناه"³⁹²، و"نقض العادة"³⁹³، ويمكن تصنيف مظاهر العدول في القرآن على صنفين اثنين؛ "عدولٌ صوتي"، و"عدولٌ تركيبِي"، وتحت كلّ صنفٍ أصنافٌ أخرى من العدول، فمن أصناف العدول الصوتي؛ "الحروف المقطعة"، و"الفاصلة القرآنية"، و"التكرار"، أمّا العدول التركيبي فمن أصنافه؛ "الالتفات"، و"التقديم والتأخير"، و"الحذف"، و"الرسم القرآني".

3.2.2. العدول الصوتي:

الصوتُ هو الوحدة الأساسية للغة التي تُنشئ النصّ، والمحورُ الأوّل للولوج فيه وفهمه، والخطوة الأولى في دراسة أيّ نصّ³⁹⁴.

وقد حظي الجانب الصوتي في القرآن الكريم بخصوصية كبيرة، لاعتماده على الصوت في الأداء، والسماع، والتلقي، فالخاصية الصوتية للقرآن الكريم بوقّعها الإعجازي تَلَفَّت السمع وتثيرُ الأحاسيس، وتنبّه الغافل، ولا سيّما إن كان عربياً وذا حسّ لغوي مُرهِف³⁹⁵.

والمجال الصوتي في النصّ القرآني مجالٌ رحبٌ مترامي الأطراف، فكلُّ حرفٍ فيه له طريقةٌ في النطق تتناسب مع صفاته ومع ما يجاوره من حروفٍ أو وقْفٍ ووَصْلٍ، حتّى غدا علماً مستقلاً أُطْلِقَ عليه؛ "علمُ التجويد"، وهذا العلم ليس بالعدول الذي نبتغي الكلامَ عنه، ولا هو بعيدٌ عنه، وملاحم العدول الصوتي يمكن لحظّها في جوانب أخرى مثل "الحروف المقطعة" و"الفاصلة القرآنية" و"ظاهرة التكرار".

³⁹² ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرحه: السيد أحمد الصقر، دار الكتب العلمية بيروت، ط3، 1981م، 275.

³⁹³ الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، 1976م، ط3، 111.

³⁹⁴ محمد خان، اللهجات العربية والقراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط، دار الفجر للنشر والتوزيع، المغرب، 2002، 65.

³⁹⁵ سليم سعداني، من دلالات العدول الصوتي في الفاصلة القرآنية سورة الضحى أنموذجاً، مجلة علوم اللغة العربية وأدائها، جامعة الوادي، 2017م، المجلد 9، العدد2، 8.

ولا تكاد تجدُ قارئاً أو مستمعاً للقرآن يُنكرُ الأثر الذي أحدثته تلك الظواهر الصوتية فيه، وهو عين ما أدركه العربيُّ ببلاغة طبعه، فرغم بلوغه درجةً ساميةً ومنزلةً عاليةً في فنون الشعرِ ودروب النثر، لم يكن لهم مناصٌّ من الإقرار بحلاوة جرسه وطلاوة صوته، فقد ملكَ شغافَ قلوبهم وتغلغل فيه، وأرجعوا ذلك الأثر إلى خُروجه عن قيودِ المعنى ومتطلباتِ القافية فترى نظماً يغريك استهلالِ سوره فتجري وراءه، وختام آياته فتقف خاضعاً خاشعاً له، ويكرر حروفاً ومفرداتٍ وجملاً وآياتٍ فتجمل معناه ومبناه ولا تنزله عن علاه.

3.2.2.1. الحروف المقطّعة

أثارت فواتح بعض سور القرآن الكريم انتباه كلِّ مستمعٍ وقارئٍ لها، بما حملته من عدولٍ في نُطقها، فقد تميّزت بلمح صوتي تجلّى فيه جانبٌ من جوانب إعجاز كلام ربِّ العالمين، وعُرفت هذه الفواتح باسم "الحروف المقطّعة"، فما هذه الحروف؟، وما جانب العدول فيها؟، وما أثر هذا العدول على متلقِّ هذا القرآن.

الناظرُ في فواتح سور القرآن الكريم يرى أنّها تقسم قسمين: فواتحٌ بأساليب لغوية معهودة ذات معاني؛ كـ "أمر" و"نداء" و"استفهام" و"خبر" و"قسم" و"شرط" و"دعاء"، وفواتحٌ بحروفٍ مفردةٍ أو مركّبةٍ لا تتألف في كلمات لغوية³⁹⁶.

أ. مفهوم الحروف المقطّعة:

اشتقَّ هذه المصطلح لهذه الفواتح من كلمة الحرف، ومقطّعة، نظراً لأنها تُقرأ بنظام تقطيع حروف الكلمة، جامعةً بذلك بين المعاني اللغوية المستفادة من لفظي الحرف ومقطّعة.

فالْحَرْفُ لُغَةً: الطَّرْفُ وَالْجَانِبُ وَبِهِ سُمِّيَ الْحَرْفُ مِنْ حُرُوفِ الْهَجَاءِ³⁹⁷.

³⁹⁶ أسماء طارق ريان، الحروف المقطّعة في فواتح السور القرآنية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 2017م، 3.

³⁹⁷ ابن منظور، لسان العرب، مادة(حرف)، دار صادر، 1993م.

أما المقطعة: فالقطع إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلاً، قطعه يقطعُه قطعاً وقطيعةً وقطوعاً³⁹⁸.

أما اصطلاحاً: فهي حروفٌ من حروف الهجاء، ذَكَرَهَا القرآن في مطلع بعض السور، وذلك في تسع وعشرين سورة، تتكوّن من حرفٍ أو أكثر، يُنطَقُ كلُّ حرفٍ بمفرده³⁹⁹.

وجاءت هذه الحروف المقطعة على النحو التالي: في البقرة: (ألم)، آل عمران: (ألم)، الأعراف: (المص)، يونس: (ألر)، هود: (ألر)، الرعد: (ألر)، إبراهيم: (ألر)، الحجر: (ألر)، مريم: (كهيعص)، طه: (طه)، الشعراء: (طسم)، النمل: (طس)، القصص: (طسم)، العنكبوت: (ألم)، الروم: (ألم)، لقمان: (ألم)، السجدة: (ألم)، يس: (يس)، ص: (ص)، غافر: (حم)، فصلت: (حم)، الشورى: (حم)، الزخرف: (حم)، الدخان: (حم)، الجاثية: (حم)، الأحقاف: (حم)، ق: (ق)، القلم: (ن).

وعدّد هذه السور "تسع عشرون" سورةً، وعدد الحروف من غير تكرار "أربعة عشر" حرفاً، سُمّيت "أربع" سورٍ منها باسم الحروف التي افتتحت بها؛ (طه، يس، ص، ق)، وحاول البعض جمعها في جُمْلٍ فقالوا: "نصّ حكيمٌ قاطعٌ له سرٌّ"⁴⁰⁰، "طرقَ سمعك النصيحة"⁴⁰¹، "صنّ سرّاً يقطعك حملة"⁴⁰²، "ألم يسطع نور حقِّ كُرِه"⁴⁰³.

³⁹⁸ ن. م، مادة(قطع)، 1993م.

³⁹⁹ الزركشي، 1957م، 1/165.

⁴⁰⁰ ابن كثير، 1999م، 159.

⁴⁰¹ الزركشي، 1957م، 1/167.

⁴⁰² ن. م، 1/167.

⁴⁰³ ن. م، 1/167.

ب. العدول في الحروف المقطعة:

العدول في الحروف المقطعة ظاهرٌ جليٌّ لكلِّ قارئٍ ومستمعٍ عارفٍ بكلامِ العرب، فليس من عادة العرب استخدامُ الحروف بهذه الطريقة، فهي وإن كانت حروفاً عربيةً إلا أنها جاءت على غير سَنَنهم في استعمالِ الحروف، ولا نعني بالخروج عن المألوف هنا خروجاً عن طريقة رَسْمها، بل طريقة نُطْق تلك الحروف، والتي جاءت متواترةً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولولا ذلك لَمَا فُرِئَتْ كذلك، فهي تُفْرَأُ مقطّعةً بذكرِ أسمائها لا مُسمياتها، فنقول: "ص"، "صاد" صوتاً نطقياً، لا حرفاً مرسوماً "ص" أو "اص"، فهي تُنطَقُ بأسماء تلك الحروف أصواتاً، لا بأشكالها الهجائية رسوماً، وتُرسمُ بصورة الحروف لا بصورة أصواتها⁴⁰⁴، وهذا العدول الصوتي في تلك الحروف، هو ما لفت الانتباه إليها، وشدّد العقولَ لتبحث عن سرّها، مع الإقرار بإعجازها، سواء عرف معناها ومغزاها، أو كان مجهولاً.

وللعلماء فيها مذهبان: الأوّل يراها ممّا استنوّث علمه عند الله، وممّن قال بهذا الرأي السيوطي فهي عنده من المُتشابه والأسرار التي لا عِلْمٌ لمخلوقٍ بها⁴⁰⁵، وذهبَ عامرُ الشعبيّ وسفيانُ الثوريّ إلى القول: إنّها سرُّ الله في القرآن، ومن المُتشابه الذي لا يجبُ التكلّمُ فيه، وتُفْرَأُ كما جاءت⁴⁰⁶، وتبعهم على هذا المبدأ مالك بن نبي(ت1393هـ) بقوله: «ولسنا نعتقدُ بإمكان تأويلها إلا إذا ذهبنا إلى أنّها مجردُ إشارات متفقٍ عليها، أو رموزٍ سرّية لموضوعٍ محددٍ تام التحديد»، ومن تواضع المفسرين أن يقولَ في حالٍ كهذه: الله أعلم⁴⁰⁷.

404 ريان، 2017م، 24.

405 السيوطي، الإتقان، 1974م/2، 309/2.

406 محمد أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 2001م، ط4، 199/1.

407 بن نبي، مالك بن الحاج عمر، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر بيروت، 2000، ط4، 274.

المذهب الثاني يرى أنّ المراد منها معروفٌ، لكنهم اختلفوا في ذلك المراد، فوصلَ إلى قُرابة ثلاثين قولاً⁴⁰⁸، ومن بعض تلك الأقوال: "أن كل حرف منها رمزٌ لاسم، أو صفة، أو فعل"⁴⁰⁹، أو "أسماء للسور التي أفتتحت بها"⁴¹⁰، أو "أقسامٌ أقسم بها الله"⁴¹¹، أو "بيانٌ لإعجاز القرآن بمعنى أنّ القرآن من هذه الحروف لكنهم عاجزون عن صوغ مثله"⁴¹²، فهي كالإيقاظِ وقرعِ العصا لمن تُحدّي بالقرآن وبغرابةِ نظمه⁴¹³، وهذا الرأي الأخير هو أشهر الأقوال وأرجحها.

وعدول هذه الحروف يُقاسُ إلى أصليين؛ لغة القرآن، واللغة العربية، فهي بالقياس إلى لغة القرآن عدول من جهتين؛ فمن جهة قراءتها تنفردُ هذه الحروف بقراءة تميّزها عن سائر النصّ القرآني، ومن جهة استفتاح السور بها تنفرد "تسعٌ وعشرون" سورة من بين سور القرآن بهذه الحروف، والغالبُ على سور القرآن استفتاحها بأساليب اللغة المعتادة.

أمّا عدولها عن اللغة العربية، فالعدول كائن في استخدامها على غير ما استعملت العرب الحروف، فليس من معهود العرب أن تبدأ كلامها بحروف تُلفظُ على غير ما تُكتبُ، فالعدول في كلا المقياسين عدولٌ صوتي.

ج. دلالة الحروف المقطّعة على التشبيه:

ولئن كان معنى الحروف المقطّعة محلّ خلافٍ بين العلماء، فإنّ لفظها محلّ اتفاقٍ عندهم، فالكلُّ مُجمّعٌ على مجيئها على خلافِ المعهودِ من كلام العرب، وخارجةً بطريقة أدائها عمّا سواها من لفظ القرآن الكريم، وهذا العدولُ الصوتي الذي أدته تلك الحروف، كأنّه منبّهٌ حسّيٌّ يسترعي

⁴⁰⁸ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محي الدين خطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ،

554/8.

⁴⁰⁹ الزركشي: 1957م، 173.

⁴¹⁰ ن. م، 174.

⁴¹¹ ن. م، 173.

⁴¹² الباقلائي، 1997م، 260.

⁴¹³ الزمخشري، 1407هـ، 27.

سَمِعَ مَنْ يَسْمَعُهُ وَيَجْذِبُهُ لِلْبَحْثِ عَنْ سَبَبِ الْعُدُولِ، وَهَذَا مَا جَعَلَ بَعْضَ الْمَفْسِرِينَ يُرَجِّحُ أَنَّ الْغَايَةَ مِنْهَا اسْتِقْطَابُ سَمْعِ الْمُشْرِكِينَ بِغَرَابَتِهَا، لِيَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ، لِأَنََّّهُمْ كَانُوا يُعْرَضُونَ عَنْ سَمَاعِهِ، قَالَ تَعَالَى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)⁴¹⁴، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْحُرُوفَ لِيَسْتَعْرِبُوهَا وَتَتَجَدَّبَ لَهَا أَسْمَاعُهُمْ فَتَجِبَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ.⁽⁴¹⁵⁾

وَمَعْنَى التَّنْبِيهِ فِي تِلْكَ الْحُرُوفِ هُوَ مَا قَصَدَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ بِقَوْلِهِ: وَوُرُودُ هَذِهِ الْحُرُوفِ مَسْرُودَةٌ عَلَى نَمَطِ التَّعْدِيدِ «كَالِإِقْطَابِ وَقِرَعِ الْعَصَا لِمَنْ تُحَدِّي بِالْقُرْآنِ وَبِغَرَابَةِ نَظْمِهِ، وَكَالتَّحْرِيكِ لِلنَّظَرِ فِي أَنَّ هَذَا الْمَثَلُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ عَجَزُوا عَنْهُ مِنْ آخِرِهِمْ، كَلَامٌ مَنْظُومٌ مِنْ عَيْنٍ مَا يَنْظِمُونَ كَلَامَهُمْ»⁴¹⁶، وَمِمَّا يَعْزُرُ تَوْظِيفَهَا لِلتَّنْبِيهِ تَصَدَّرُهَا مَطَالِعَ السُّورِ، فَلَمْ تَأْتِ هَذِهِ الْحُرُوفُ فِي غَيْرِ صَدْرِ السُّورِ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَأْتِ فِي كُلِّ السُّورِ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْعُدُولِ فِيهَا كَمَا تَبَيَّنَ.

وَتَطَالَعْنَا هَذِهِ الْحُرُوفَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَعْدَ فَاتِحَةِ الْكِتَابَةِ فَتَبْدَأُ السُّورَةَ بِ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁴¹⁷، وَأَكَادَ أَجْزَمَ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَرَفَ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ شَيْئاً يَسِيراً قَدْ وَقَفَ حَائِراً مَعَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي طَرَقَتْ مَسْمَعَهُ عَلَى غَيْرِ مَا عَرَفَ وَالْفَ، فَأَبْهَرْتَهُ وَأَعْجَزْتَهُ مَعَ أَوَّلِ حَرْفٍ نَطَقَهُ وَسَمِعَهُ، فَيَقِفُ مَعَهُ وَلَا يَجَاوِزُهُ إِلَى مَا بَعْدَهُ إِلَّا وَفِي نَفْسِهِ شَيْءٌ لَمْ تَرْضَ أَنْ تَجَاوِزَهُ إِلَّا وَقَدْ أَقْرَتْ شَاعَتْ أَمْ أَبَتْ بِإِعْجَازِ هَذَا الْقُرْآنِ وَعِظْمَةِ مُنْزَلِهِ، وَأَنَّهَا عَاجَزَتْ أَمَامَ الْمُنْزَلِ وَالْمُنْزَلِ، فَلَمْ تَرَى أَثَرَ وَقَعَ هَذِهِ الْحُرُوفِ عَلَى مَثَلِهَا قِرَاءَةً وَسَمَاعاً، وَدَوْرَهَا لَيْسَ فِي تَنْبِيهِ حَوَاسِهِ، بَلْ جَعَلَهَا أُسِيرَةً دَهْشَةً وَمَفَاجَأَةً لَا مَلَادَ مِنْهَا إِلَّا التَّسْلِيمَ وَالْإِنْقِيَادَ لَهَا، وَلَمَّا بَعْدَهَا، فَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ كَمَا قِيلَ عَنْهَا إِقْطَابٌ وَقِرَعٌ وَتَحَدٌّ، وَالْحَالُ وَاحِدَةٌ فِي كُلِّ السُّورَةِ الَّتِي اسْتَهَلَّتْ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ، فَهِيَ تَنْبِيَةٌ عَلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَعِجْزِ الْخَلْقِ عَرَبِهِمْ قَبْلَ عَجْمِهِمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمَثَلِهِ، وَلَوْلَا عِظْمَةُ أَثَرِهَا مَا أُثِرَتْ عَلَى سِوَاهَا بِاسْتِفْتَاكِ بَعْضِ السُّورِ، وَاسْتِفْتَاكِ أَوَّلِ سُورَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَعْدَ فَاتِحَتِهِ، وَهَذَا الْأَثَرُ جَاءَ كُلُّهُ مِنَ الْعُدُولِ فِي نَطْقِ هَذِهِ الْحُرُوفِ، فَالْمَخَالَفَةُ مَخَالَفَةٌ صَوْتِيَّةٌ فِي طَرِيقَةِ نَطْقِهَا لَا رِسْمَهَا.

⁴¹⁴ القرآن الكريم، فصلت: 26.

⁴¹⁵ الزركشي، 1957م، 175.

⁴¹⁶ الزمخشري، 1407هـ، 27.

⁴¹⁷ القرآن الكريم، البقرة، 1.

3.2.2.2. الفاصلة القرآنية

لم تكن لتقف عجائب الأثر الصوتي للقرآن الكريم على فواتح سورها دون خواتيمها وفواصل آياتها، لما في التقفية من أثر يقابل الاستفتاح أو يفوقه، وجرياً على المألوف عند العرب من حب التصريح، والتسجيع، والتقفية، وهذا الذي لم يغب عن القرآن الكريم ولم يحضر، فغاب السجع والقافية، وحضرت في القرآن الفاصلة.

أ. تعريف الفاصلة القرآنية:

ولتميّز القرآن في كلّ شيء حاول العلماء تمييز المصطلح الدالة على ما فيه، فكانت الفاصلة القرآنية هي بديل مصطلحات النثر والشعر، كالقافية والرّويّ والسجع.

والفاصلة لغةً: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النّظام، وعقد مفصل أي جعل بين كلّ لؤلؤتين خرزة، والفصل: الحاجز بين الشيئين فصل بينهما يفصلُ فصلاً فانفصل، وفصلتُ الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع، والفصل القضاء بين الحقّ والباطل⁴¹⁸.

واصطلاحاً: هناك أكثر من تعريفٍ للفاصلة، فعرفها الدانيّ بقوله: هي «كلمة آخر الجملة»⁴¹⁹.

الرّمانيّ قال: «الفواصل حروفٌ متشاكلة في المقاطع تُوجبُ حُسناً إِفهام المعاني»⁴²⁰.

فضل عباس قال: «دَلِك اللفظ الذي حُتمتْ به الآية»⁴²¹.

⁴¹⁸ ابن منظور، لسان العرب، مادة(فصل)، دار صادر بيروت، 1993م.

⁴¹⁹ الزركشي، 1957م، 53/1.

⁴²⁰ الرّماني، 1976م، 97.

⁴²¹ فضل عباس، إعجاز القرآن، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1997م، ط2، 214.

الزركشي: «كلمة آخر الآي كقافية الشعر وقريظة السجع»⁴²².

محمد الحسناوي: «الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر والتفصيل توافق أواخر الآي في حروف الزوي، أو الوزن، مما يقتضيه المعنى، وتسترخ إليه النفوس»⁴²³.

ب. الفاصلة والسجع:

تمتاز الفاصلة بوقع صوتي جميل يؤثر في مخاطب، ويشدده نحو الكلام، وما كان هذا الأثر ليغيب عن ذوق العربي الذي رأى فيها ملامح السجع، إلا أن الفاصلة تمتاز على السجع بأن الفاصلة تبع للمعاني، فهي بلاغة توجب حسن إفهام المعنى، والسجع عيب لأن المعنى تابع له⁴²⁴، وعلى أساس هذا التمايز نزه العلماء القرآن عن نثر العرب وسجع الكهان، فعلبوا مصطلح الفاصلة على السجع، وردّ البعض هذا الكلام بأن السجع ليس كله جارٍ على هذا الضرب، بل منه ما هو حسن وتابع مبناه لمعناه، فالقول بسجع القرآن بعد عن الصواب، ونسبة العيب إلى السجع غلو، والقول بالفاصلة هو القول الوسط، لما فيه من توافق مع القرآن وتنزيهه عن قول البشر⁴²⁵.

ج. العدول الصوتي في الفاصلة:

مظاهر العدول كثيرة في فواصل القرآن الكريم، وتستحق أن يفرد لها بحث مستقل، فعندنا في القرآن أكثر من معيار يمكن أن نعدّه أصلاً نقيس عليه العدول، فعندنا مستويان للعدول؛ مستوى العدول في تركيب الفاصلة للتوافق مع سلسلة صوتية متتالية، أو سورة بأكملها، ومستوى عدول الفاصلة عن مثيلاتها في السورة الواحدة.

⁴²² الزركشي، 1957م، 53/1.

⁴²³ محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، 2000م، ط2، 29.

⁴²⁴ الرماني، 1976م، 97.

⁴²⁵ الحسناوي، 2000م، 125.

وبحكم أنّ الفاصلة في القرآن تابعة للمعنى، فإنّ العدول قد يأتي ليحقق توافقاً بين فاصلةٍ وما يجاورها من فواصل، لأنّ المعنى يقتضي التوافق لا الاختلاف، وقد يكون العدول كسراً لتوافق الفواصل لتلائم المعنى المراد، وكلا العدولين يُنتج أثراً صوتياً يجذب انتباه المتلقي ويشدّه للمعنى.

1- العدول في الفاصلة لتلائم مثيلاتها:

العدول في تركيب الفاصلة لتوافق ما يجاورها له ثلاثة مظاهر؛ حذف، أو زيادة، أو تقديم وتأخير، وهذا العدول يجري على عادة العرب في تغيير بنية الكلمة بغية تحقيق توافقٍ صوتيٍّ وتكافؤٍ في المقاطع، ولا عَجَبَ أن يراعي القرآن ذلك فهو قد نزلَ بلغة العرب⁴²⁶.

"الحذف": أحدُ مظاهر العدول في الفاصلة، ويكون بحذفِ الحرفِ الأخير من الكلمة والوقوفِ بالسكون على ما قبله، مراعاةً للتوائِمِ الصوتيِّ في الفواصل، وأكثرُ ما يكونُ الحذفُ في "ياء" المنكلم⁴²⁷، وهذا الحذفُ قد يكونُ مطابقاً لقواعد العربية، وقد لا يطابق، فمن الحذفِ الخارجِ عن قواعد العربية، حذفِ الياءِ من الفعلِ المضارعِ "يسري" في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾⁴²⁸، فالحذفُ هنا حذفٌ تخفيفٍ لمراعاةِ توافقِ الفاصلة، قال الفراء: «حذفُها أحبُّ إليّ لمُشاكلةِ رؤوسِ الآياتِ»⁴²⁹.

ومن الحذفِ حذفِ "الياء" من قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمُنِ﴾⁴³⁰، ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنُنِ﴾⁴³¹، والحذفُ هنا أحدثُ نوعاً من التوازنِ الصوتي الذي يُفقدُ بثبوتها.

⁴²⁶ الزركشي، 1957م، 1/ 71.

⁴²⁷ السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب القاهرة، 2000، ط1، 86.

⁴²⁸ القرآن الكريم، الفجر، 4.

⁴²⁹ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي/محمد علي النجار/ عبد الفتاح الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، غ. ت، ط1، 260/3.

⁴³⁰ القرآن الكريم، الفجر، 15.

⁴³¹ القرآن الكريم، الفجر، 16.

وقد يُحذف غير "الياء" كـ "الكاف" في سورة الضحى في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾⁴³²، لم يقل: "قلاك"، ومن محاسن الحذف هنا مراعاة الفاصلة⁴³³.

"الزيادة": هي زيادة حرفٍ لمراعاة الفاصلة شأنها شأن الحذف، تُضفي بُعداً صوتياً ومحتوى دلاليّاً على الفاصلة، يهزُّ المشاعر، ويحرك العواطف، ويثبِّد الأذهان إلى ما في ذلك الصوت من جمالٍ وعظيم بيان، ومن أمثلة ذلك زيادة "ألف" الإطلاق في بعض الفواصل التي حفها الفتح دون مدٍّ يوصلها لتكون "ألفاً"، كما في سورة الأحزاب: ﴿وَتَطْمَنُّنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾⁴³⁴، ﴿وَأَطَعْنَا الرُّسُولَا﴾⁴³⁵، ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾⁴³⁶، فواصل هذه السورة "ألفات" منقلبة عن "تنوين" في الوقف، فزيد على "النون"، و"اللام" "ألف" لتساوي المقاطع وتناسب نهاية الفواصل⁴³⁷.

ومما زيد من الحروف مراعاة لفاصلة "هاء" السكت كما في فاصلة سورة القارعة، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ﴾⁴³⁸، وسورة الحاقة؛ "كتابه"، "حسابيه"، "ماليه"، "سلطانيه"، فأعطت زيادة "الهاء" صوتاً حزيناً مديداً في نهاية الفاصلة ينسجم مع الفواصل السابقة، ويحقق توافقاً صوتياً بينها، يجعل من يقرأها يقف خاشعاً مبهوراً بذلك الصوت الحزين، الذي تقشعر له الأبدان، وتتهاوى عنده الشهوات، وتعتظم الأخرة.

"التقديم والتأخير": ويكون في تركيبية الجملة مراعاة لانسجام الفاصلة مع مثيلاتها، ويشتراط فيه أن يكون ضمن الجائز في اللغة، ومما لا لبس فيه، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁴³⁹، وعلق ابن الأثير (ت637هـ) على هذا التقديم، بأنه قدّم لمكان النظم، لأنه لو قال:

432 القرآن الكريم، الضحى، 2، و3.

433 الفراء، غت، 274/3.

434 القرآن الكريم، الأحزاب، 10.

435 القرآن الكريم، الأحزاب، 66.

436 القرآن الكريم، الأحزاب، 67.

437 الزركشي، 1957م 61/1.

438 القرآن الكريم، القارعة، 10، 11.

439 القرآن الكريم، الفاتحة، 5.

"تعبدك ونستعينك" لم يكن له من الحُسن ما لقوله: "إياك نعبد وإياك نستعين"⁴⁴⁰، فالتقديم والتأخير مرتبطان بقيمة الفاصلة في النظم الصوتي للقرآن⁴⁴¹.

ومنه تقديم الضمير على ما يفسره، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾⁴⁴²، فأصل الكلام في العربية أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول، لكن أحر الفاعل "موسى" لأجل رعاية الفاصلة، ولتتسوق النفس لفاعل "أوجس"⁴⁴³.

وهكذا يبيِّن أثر العدول في مراعاة الفاصلة، فانسجام أصوات الفواصل له أثره على النفس، وهذا ما راعاه النص القرآني، والغاية لفنُّ الانتباه ومداومة الإصغاء حتى لا يغفل المخاطب عن المعنى، فالحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، في هذه الأمثلة التي ذكرت له أكثر من تعليل لكن أظهرها هو مراعاة تجانس الفواصل الذي له دور كبير في جذب انتباه المتلقي الذي اعتاد الانجذاب إلى الكلام الموزون المقفى أو المنثور المسجوع، وهذا الانجذاب يتحقق في فواصل القرآن التي تحمل وقفاً خاصاً في الأذن فتتشوف لسماعه بلا كلل أو ملل.

2- العدول في فواصل السورة الواحدة:

إذا كان انسجام الفواصل مع مثيلتها يحقّق نوعاً من الانجذاب نحو النص القرآني، فإنه لا يعني بالضرورة التزام ذلك في سائر سور القرآن الكريم، أو حتى على مستوى السورة الواحدة، لأنّ مداومة توريث السامة والملل، ولأجل ذلك ترى النص القرآني يكسر ذلك الانسجام ليتوافق مع المعنى، وهذا الكسر للفاصلة ليس عبثاً بل هو موافق للمعنى، فكلّ موقفٍ فاصلةً تتناسب معه صوتاً ومعنى، ويمكن ملاحظة ذلك حتى في السور القصار من القرآن الكريم مثل:

⁴⁴⁰ أبو الفتح ضياء بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة البابي

الحلي، 1939، 39/2.

⁴⁴¹ محمد السيد سليمان العبد، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، المجلة العربية للعلوم الإسلامية، المجلد 9، العدد 36،

1989م، 103.

⁴⁴² القرآن الكريم، طه، 67.

⁴⁴³ الزركشي، 1957م، 93/3.

"القارعة": (القارعة، المبتوث، المنفوش، موازينه، راضية، هاوية، ما هيه، حامية).

"الضحى": (الضحى، سجي، قلى، الأولى، فترضى، فأوى، فهدى، فأغنى، تقهر، تنهر، فحدث).

"البلد": (ولد، كبد، أحد، لبد، أحد، عينين، شفتين، نجدين، العقبة، رقبة، مسغبة، مقرية، مترية، مرحمة، ميمنة، مشامة، مؤصدة).

فقد جاءت فواصل تلك السورة على أكثر من فاصلة مع أنها سورٌ قصار، في حين هناك من السور من هي أطول منها وجاءت على فاصلة واحدة، وهذا العدول والكسر في تلك الفواصل يحدث نوعاً من الخَلْخَلَةِ المَقْصُودَةِ، خَلْخَلَةٌ تَنْبِيهُ أَنْ الكَلَامَ اخْتَلَفَ، فاخْتَلَفَتِ الفاصلة تبعاً لاختلاف المعنى، وهناك من السور من تكون أقصر من ذلك، ولا تأتي كل فواصلها بانسجام واحد، وهذا العدول في الفاصلة هو عدول صوتي تابعٌ للمعنى.

وكان بمقدور الخالق أن يأتي بالقرآن على فاصلة واحدة متوازنة ومختومة بحرف واحد، أو أن تأتي السورة الواحدة بفاصلة واحدة، من غير إخلال بالمعنى، لكنه لما ارتضى التنوع في ذلك دلَّ أن التنوع هو الأبلغ والأنسب، فالمعنى الذي يكون الانسجام أليق به جاءت فواصله منسجمة، وربما عدل في تركيب الكلام من أجل التوافق، وحيث كان العدول عن ذلك الانسجام أجدر على حمل المعنى والتنبيه على جدته واختلافه، جاءت الفواصل خارجة عما يسبقها أو يعقبها، فغرض الفاصلة ليس جمالاً صوتياً من غير فائدة معنوية، لو كان الأمر كذلك لما حاد عن الانسجام إلى الاختلاف، ولو كان الانسجام في الفواصل عديم الأثر لما روعي في كثير من المواضع بحذف وزيادة وتقديم وتأخير، وبهذين العدولين يتضح لك جانب مهم يفرق الفاصلة عن السجع، وهذا دليل على أن العدول في الفواصل، ما هو إلا نوع من العدول الصوتي الذي يُوظَّف لخدمة المعنى، وهو بذلك عدولٌ عن مَعهود العرب في كلامهم، غرضه تنبيه المتلقي إلى سماع القرآن وتدبر آياته.

3.2.2.3. التكرار

التكرارُ إعادة الشيء مرّةً أخرى، ويكون في الألفاظ والمعاني، وهو من أدوات التنبيه والإيقاظ، وشحذ القلوب بالمعاودة على الشيء، وليس بعيبٍ ما دام لغايةً وحكمةً مقصودةً.

والتكرار لغةً: مأخوذ من كرر: والكر: الرجوع، والكر مصدر كرّ عليه كُروراً وتكراراً، والكرّة: المرّة، والجمع كرّات، ويُقال كررتُ الحديث إذا رددته عليه، والكر الرجوع على الشيء ومنه التكرار⁴⁴⁴.

اصطلاحاً: تكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرّة في سياق واحد، لئكتة ما كالتوكيد، أو الانتباه، أو التهويل، أو التعظيم⁴⁴⁵.

والتكرار من الأساليب المعروفة عند العرب، ومن محاسن الفصاحة، ولا يُستغنى عنه، وقد وردَ هذا الفن من القول في القرآن الكريم، وله أنواع، منها تكرار حرفٍ، أو كلمةٍ، أو جملةٍ، أو فقرةٍ.

والتكرار في الحقيقة نوعٌ من العدول عن الأصل، فالأصل في الكلام عدم تكراره، فإذا كرر المخاطب شيئاً في كلامه فإنه بذلك يُخالفُ أفقَ توقُّع المُتلقِي، وهذا الانتهاك للمُتوقِّع يُثيرُ انتباه المُتلقِي، ويُوقِظه، فلا ينصرفُ عن الكلام حتّى يرى نهايته، هذا في التكرار المَحْمُودِ لا المَذْمُومِ، وكلُّ ما جاء من التكرار في القرآن الكريم من هذا النوع، لأنَّ كلَّ كلمةٍ في القرآن جاءت في مكانه على أحسنِ وضعٍ، وأنسبِ أسلوبٍ، مُفيدةٌ للمعنى، ومفصّولةٌ في المبنى.

أ. دلالة التكرار على التنبيه:

والأثر الصوتي الذي يُحدثه التكرار بِجِرسِه غايةً الأولى لفتِ انتباه المُتلقِي، وذلك بتكرار وقع معين في السورة الواحدة، وخصصنا الكلام على السور دون عموم القرآن لوضوح الأثر

⁴⁴⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة (كر)، دار صادر بيروت، 1993م.

⁴⁴⁵ عبد الشافي أحمد علي الشيخ، ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، جامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية القاهرة، غت، 6.

الصوتي في قرب التكرار في الموضع الواحد وضعفه حال بعده، دون إنكار أثره المعنوي في الحاليين، وأنواع التكرار كثيرة في القرآن الحكيم، تبدأ من تكرار حرف في سورة معينة أو تكرار كلمة أو جملة أو آية.

فمن تكرار الحرف تكرار حرف السين في سورة الناس، (الناس، الوسواس، الخناس، يوسوس)، ومما يذكر من أحوال وصفات حرف السين أنه حرف همس وصفير، وبين هذه الصفات ومعاني السورة ثمة توافق كبير، فصوت السين يوحي لك بحال الإنسان مع شياطين الإنس والجن، وأنهم لا يقدرن على شيء أكثر من الهمس في الصدور، بكلمات أشبه بالصفير الذي لا يفهم منه شيء إلا مجرد لفته للمعصية والإثم، وهذه الوسوسة علاجها اللجوء إلى الله والاستعاذة به، فانظر كيف خلع صوت السين أثراً على السورة يبين مدى الحكمة من تكراره، وهذا الأمر ملاحظ في كثير من سور القرآن، ومن تلك السور سورة الإخلاص التي تكرر فيها حرف "الدال" في كل آياتها، ومن المعلوم أنّ الدال حرف شديد مقلقل، والسورة تحدثنا عن توحيد الله وأنه أمر شديد الأهمية، فهو وحده المتقرّد بصفات الألوهية والربوبية، ولا شريك له، ولا ند، ولا ولد، ولا والد، ولا صاحبة، ولا مماثل أو مشابه له من خلقه، وهذه المعاني ينبغي أن تتغلغل في قلب كل موحد، وينطق بها لسانه وجوارحه بنبرة قوية شديدة تشبه قفلة حرف "الدال" على اللسان كي لا يتلاشى أثره، وتكرار الحروف من هذا القبيل كثير، ولكل حرف أثره في السورة التي غلب فيها.

تكرار كلمة: وهذا أيضاً من التكرار المشاهد في القرآن الكريم، وله أمثلة كثيرة لعل أبرزها للعيان وأقربها للبيان التكرار في بداية بعض السور كسورة الحاقة، ﴿الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة﴾⁴⁴⁶، ﴿القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة﴾⁴⁴⁷، هذا في بداية السور وأمثلة التكرار بهذه الطريقة كثير في سور القرآن سواء كان في صدرها أو وسطها أو ختامها، كتكرار القدر في سورة القدر والطارق في سورة الطارق، ونقف مع سورة الحاقة والقارعة، لتشابه التكرار فيهما وتشابه المحتوى، فكلاهما يتحدثان عن يوم القيامة وعظمته وأهواله، وهذا التكرار مع أنه متجاور ولا يفصل بين الكلمات المكررة إلا الشيء اليسير من الألفاظ إلا أنه يعطيك تصوراً وانطباعاً يختلف في كل مرة يكرّر اللفظ فيها، فبدأ الكلام بلفظ الخبر "الحاقة" معرفة كأنّ القصد

446 القرآن الكريم. الحاقة، 1، 2، 3.

447 القرآن الكريم. القارعة، 1، 2، 3.

من ذلك هو إظهار علم الله بها، ثم سأل عنها ليظهر جهل الخلق بها من جهة زمانها ومكانها وأحوالها، ثم عَقَّب ذلك بسؤال ثانٍ يبين فيه جهل الإنسان بها وحاله حال وقوعها، والقصد من هذا التكرار والسؤال هو تعظيمها وتعظيم من لا يعلمها إلا هو، ولا علم لمخلوق بها إلا من أعلمه هو بها، وهذه التّفخيم والتعظيم يظهر في التكرار أيضاً، فلم يكتفِ بإنابة الضمير عن الاسم، وكرّر اللفظ ثلاث مرات ليقرع به الأسماع، وينبها لعظمة المُخْبِر عنه لفظاً ومعنى، بحروفها ومعانيها التي تُذهِلُ الأسماع، كأنه قرع على شيء له صدى يتردد أكثر من مرة.

وأما أكثر أنواع التكرار أثراً، وخروجاً عن المألوف من كلام العرب، هو تكرار آية كاملة في سورة واحدة كسورة "الرحمن"، و"المرسلات"، و"القمر"، وتفصيل الكلام بها كما يلي:

التكرار في سورة القمر: يَتَمَثَّلُ التكرار في سورة "القمر" بتكرار الآية ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾⁴⁴⁸ أربع مرات في السورة، ولهذا التكرار أسبابٌ ومُقْتَضِيَات، وقد رَافَقَت الآية في كل مرةٍ قِصَّة عجيبة.

فَذَكَرَت آية ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ بدايةً مع قصة نوح عليه السلام، والتي رصدها القرآن وبيّن لنا حال الصراع الذي نشأ بين نوح وقومه، ثم انتصار الله لنوح من قومه بإغراقهم، فلم ينجُ إلا من نجاه الله مع نوح في السفينة، فصارت هذه القصة مثلاً يُذَكَّر على إهلاك الله لمن كذّب الرُّسُل وكفر بالله، ولتَهْوِيلِهَا ولفَتِ الأَنْظَارَ إِلَيْهَا عُقِبَت بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

وقِصَّة "عاد" التي تَلَّتْ قِصَّة نوح عُقِبَت بآية "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر"، وربما كان ذلك التكرار للتنبية على غرابة الوسيلة التي أُهْلِكُوا بها، وهي الرِيحُ العقيم، وهذا النوع من الإهلاك لم يسلط على غيرهم فَوَجَبَ التأمّل فيه أكثر من غيره.

448 القرآن الكريم، القمر، 17.

الموضع الآخر للتكرار كان للتذكير بهلاك ثمود الذين أكثروا الفساد، ثُمَّ تَكَرَّرَتْ مع قصة لوط عليه السلام، وعلقَ سيد قطب على هذا التكرَّر بعدَ كلِّ قصة؛ بأنَّه دعوةٌ هادئةٌ للقلب البشريِّ إلى التَّدكُّر والتَّدبُّر، بعدَ عَرَضِ صورةٍ من العذاب الذي نالَ المُكذِّبين⁴⁴⁹.

فتكرار تلك الآية عَقِبَ كلِّ قصة صار بمثابةِ الفاصلة التي تُخْتَمُ بها كلُّ قصة، فمتى ما طرق سمعك قوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾، فانتبه لِمَا قَبْلَهُ ففيه موعظةٌ لمن يَعْتَبِر، فالغايةُ من ذِكْرِ هلاك الأَقوام، إنذارٌ لمن بلغَ حتَّى لا يصيبه ما أصابهم، فتكرارُ الإنذار دليلٌ على تَكَرَّرِ العذاب مع كلِّ مَنْ حاله حالٌ من وَقَعَ عليه العذاب.

التَّكرار في سورة المرسلات: تَكَرَّرَ في سورة المرسلات قوله تعالى: ﴿ويل يومئذ للمُكذِّبين﴾⁴⁵⁰ ستَّ مرات، والغايةُ من التكرار، تنبيهُ المُكذِّبين إلى مآلهم ومصيرهم المحتوم، وهو عذابُ جهنم، وكَرَّرَ الله وعيده للمُكذِّبين بتكرار أسرار الغيب التي تُلِيت عليهم؛ من "أحداث يوم القيامة، وخلق الإنسان والأرض وما عليها، والنار، ومصير الكفار، ومصير الكذِّبين، ومصير المتقين"، فالتكرار هنا يَدُلُّ على أنَّ التَّكذِيبَ بأيِّ خبرٍ من هذه الأخبار التي تُتلى، مُوجِبُ العذاب لصاحبه، فالإيمان بجزءٍ منها لا يكفي، إذ لا بدَّ للنَّجاة من العذب أن تكون خارجاً من وصف المُكذِّبين، فالشُّكُّ في خبرٍ من أخبار الله، هو شكٌّ في المُخْبِر، وهذا لا يُقبَلُ من أحدٍ مَهْمَا عَلَا قَدْرُهُ، وجاء التَّكرار ليكونَ بِمَنَابَةِ مُنْبَهٍ يُنبِّه على مصير المُكذِّبِ، فكأنَّه يقول: حَذَارِ حَذَارِ من التَّكذِيبِ بأيِّ شيءٍ يَأْتِيكم من الله، فَتَصِيرُوا إلى ما تَوَعَّدكم به.

التَّكرار في سورة الرحمن: والتَّكرار في هذه السورة تَكَرَّرَ نادراً لا مثيل له في القرآن، ويُنْدَرُ أن يكون له مثيلٌ في العربية، إذ تَكَرَّرَتْ آية: ﴿فَبِأَيِّ آءِآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبان﴾⁴⁵¹ "إحدى وثلاثين" مرَّةً في سورة واحدة، حائزاً بذلك على ثلثِ السورة تقريباً، خارجاً بذلك عن كلِّ تكرارٍ مألوف، وما كان الله ليكرِّر هذه الآية عبثاً - حَاشَاهُ - فالتكرار هنا له حكمةٌ بليغةٌ قد يُدركها البعض، وقد تغيب عن غيرهم، والذي يبدو من ظاهر هذا التكرار أنَّه جاء للتنبيه على نِعَمِ الله والإقرار بها وبيان

⁴⁴⁹ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق بيروت - القاهرة، 1412 هـ، ط7، 17/6، 3431.

⁴⁵⁰ القرآن الكريم، المرسلات، 15.

⁴⁵¹ القرآن الكريم، الرحمن، 13.

كثرتها، وأنه لا يُنكر تلك النعم إلا معاند صم سمعه وبصره عن الحق، والعدول في هذا التكرار يكمن في التكرار الخارج عن المؤلف المفاجئ للمتلقي، فلا قارئ ولا سامع يتوقع أن تتكرر عليه هذه الآية بعد كل آية تذكر فيها بنعم الله، فكلما قرأ آية جاءه السؤال التقريبي؛ "فبأي آلاء ربكما تكذبان"، مُحدثاً بهذا التكرار عدولاً صوتياً، لا يكمن في تكرار فاصلة لتتسجم مع مثيلاتها، بل في آية كاملة جعلت كالفاصلة بين كل آيتين، شاداً بذلك العدول انتباه المتلقي إلى نهاية السورة، ومشوقاً له لذلك التعداد من النعم التي لا حصر لها.

وبالوقوف مع التكرار في كل سورة من هذه السور الثلاث يتبين أن التكرار جاء ليؤكد صوتاً مُتجانساً يُقطع السور إلى مقاطع مختومة بالفاصلة ذاتها، جاعلاً من الآية الواحدة فاصلة لسلسلة من الآيات قبلها، مفاجئاً للمتلقي، ولأقنناً انتباهه إلى الفاصلة المقطعية المكررة، مُحدثاً وقفاً صوتياً غريباً تهتت له النفوس، ويذهب الغفلة والملل.

ومن المعلوم أن تكرار حرف في القرآن يقوي العبارة ويعزز دلالتها بما فيه من أصوات ومعاني، فكيف بتكرار آية كاملة؟، لا شك أنه أبلغ وأشدّ جذباً للانتباه، لأنه يُعطي الكلام محاسن كثيرة ويمنحه نوعاً من التجانس، يوحي بحقيقة الاتساق بين المعنى العام في النص والآية وبين مكوناته التي تبدأ من الحرف والكلمة وصولاً إلى الآية، وهذا الذي بان لنا بعض من أثره في الأمثلة التي ذكرناها كحرف السين في سورة الناس أو الدال في الإخلاص، والكلمة كالحاقة والقارعة في السورة التي سميت بها، وانتهاء بالآية كسورة الرحمن والمرسلات والقمر، وهذا التكرار هو نوع من العدول الصوتي يهتت له النفوس ويلفتها لذلك المُكرر الذي لا يكون عبثاً أو سهواً أو ضعفاً في بيان، بل صادر عن دقة وحكمة وحسن اختيار.

وبالكلام على التكرار ينتهي الكلام عن العدول الصوتي، الذي يتبين منه أن النص القرآني ينفق الأصوات لتتناسب مع المعاني، وأن العدول الصوتي بما فيه من مفاجأة، وخرق للقوانين، سبب في جذب انتباه النفوس وإيقاظها من غفلتها، وهذا ما بيّنه الكلام عن مظاهر هذا العدول الصوتي المتمثل في "الحروف المقطعة" و"الفاصلة" و"التكرار"، والتي أضفت على الصوت القرآني قوة في التأثير تهتت أذن كل من سمعه حتى وإن كان جاهلاً بكلام العرب، فكيف بمن علمه؟ فوظيفة العدول الصوتي وظيفته تنبيهية.

3.2.3. العدول التركيبي:

ممّا يميّز الكلام عن بعضه ويعطيه معناه، طريقة تأليفه مع بعضه، وإنزال كلِّ عنصرٍ فيه منزلة الصحيحة، وهذا ما قصده الجرجاني فقال: «الألفاظ لا تقيّد حتى تُؤلف ضرباً خاصاً من التّأليف، ويُعمد بها إلى وجهٍ دون وجهٍ من التّركيب»⁴⁵².

والعدول من وجهٍ إلى آخر يقتضي وجود أكثر من نظامٍ يحكم طريقة تأليف الكلام؛ نظام لغويّ سابق، ونظام لغويّ لاحق، وعدّ النظام السابق أصلاً ومعيّراً، واللاحق عدولاً عنه، والعدول هنا عدولٌ تركيبِيٌّ هدفه تحقيق دلالاتٍ جديدةٍ، لا تتحقق بالنظام اللغوي المعيارِي، وهذه الدلالات هي ما تُبرّر ذلك العدول ولولا ذلك لما حسن واستسيع.

وممّا ينبغي التنبية عليه قبل الولوج في مظاهر هذا العدول في القرآن الكريم، أنّ العدول التركيبي «لا يكسر قوانين اللغة المعيارية لبحث عن قوانين بديلة، لكنّه يخرق القانون باعتبارِه بما يُعدّ استثناءً أو نادراً فيه»⁴⁵³، فالخروجُ خروجٌ عن الأصل لا خروجٌ عن الصواب.

ومن مظاهر هذا العدول في القرآن الكريم؛ "الالتفات"، و"التقديم والتأخير"، و"الحذف"، و"الرسم القرآني"، وهذه المظاهر تُحدث نوعاً من المفاجأة للمتلقّي، تنبّه وتسترعي انتباهه للبحث عن السبب الذي جعل الكلام فيها، يأتي على خلاف غيره في موضع آخر.

3.2.3.1. الالتفات:

لا يذكر العدول في موضع إلا ويذكر الالتفات في أول أبوابه، لوضوح دلالته عليه، والالتفات في اللغة مأخوذ من: لَفَتَ وَجْهَهُ عن القوم: صَرَفَهُ. وَالتَّفَتَ التَّفَاتاً وَالتَّفَتُّ أَكْثَرُ مِنْهُ. وَتَلَفَتَ إِلَى الشَّيْءِ وَالتَّفَتَ إِلَيْهِ: صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ. وَالتَّفَتُ اللَّيُّ. وَلَفَتَهُ يَلْفِتُهُ لَفْتاً: لَوَّاهُ عَنْ غَيْرِ وَجْهِهِ. وَقِيلَ: اللَّيُّ: هُوَ أَنْ تَرْمِيَ بِهِ إِلَى جَانِبِكَ وَلَفَتَهُ عَنِ الشَّيْءِ يَلْفِتُهُ لَفْتاً: صَرَفَهُ⁴⁵⁴.

⁴⁵² الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، علق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، غ/ت/4،a.

⁴⁵³ سامح الرواشدة، فضاءات الشعرية دراسة في ديوان أمل دنقل، المركز القومي للنشر، إربد، ط1، 1999م، 53.

⁴⁵⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة (لفت)، دار صادر، 1993م.

وإصطلاحاً: "الالتفات": التحوّل والانتقال من أسلوبٍ في الكلام إلى أسلوبٍ آخر مُخَالِفٍ
لِلأَوَّل⁴⁵⁵.

وعرّفه القزويني بقوله: التّعبيرُ عن معنَى بطريقٍ من الطُّرقِ الثلاثِ (التكلم، الغيبة، الخطاب)
بَعْدَ التّعبيرِ عنه بطريقٍ آخر⁴⁵⁶.

القزويني حَصَرَ الالتفات في الضمائر، وغيره يرى أَنَّهُ يَتَسَعُّ ليشملَ أموراً أخرى مثل؛ أزمة
الفاعل، والعدد، والتذكير والتأنيث، وزاد البعض أساليب غيرها، والذي يَجْمَعُ كُلَّ هذه الأساليب
تَحْتَ مصطلح الالتفات، هو مخالفة مُقتَضَى الظاهر فيها.

أ. الالتفات في الضمائر:

وَنَعْنِي بالالتفات في الضمائر العدولَ من ضميرٍ إلى ضميرٍ يُعَايِرُهُ في الحُضُورِ أو الغيبة
أو التكلّم، بشرط أن يعودا إلى مُفسّرٍ واحدٍ، وهذا الانتقال في الضمائر يُحْدِثُ خللاً لدى المُتلقّي
في مرجعية الضمير، ويُنبِئُهُ إلى وُجُوبِ البَحْثِ عن مرجعية هذا الضمير، لِيعيِدَ الاستقرارَ في
ذهنه، ويُبَيِّنُهُ على تواصل مع النصّ، ولهذا العدول في القرآن الكريم شواهد كثيرةٌ تتفاوتُ من
صورةٍ لأخرى من حيث الكثرة والقلّة⁴⁵⁷، وهو على ستّ صور:

العدولُ من التكلّم إلى الخطاب: وهو نادرٌ في القرآن الكريم وردَ في موضعٍ واحدٍ هو قوله
تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁴⁵⁸، عدلَ عن ضمير التكلّم في "أعبد" إلى

⁴⁵⁵ العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية بيروت، 1423هـ،

71/2.

⁴⁵⁶ القزويني، الإيضاح، غبت 86/2.

⁴⁵⁷ الشاذلي الهيشري، الالتفات في القرآن الكريم، حوليات الجامعة التونسية، العدد 32، 1991م، 169.

⁴⁵⁸ القرآن الكريم، يس، 22.

الخطاب في "ترجعون"، لِيُفِيدَ التَّلَطُّفَ في توجيه قومه وإعلامهم بتوحيده مصيره مع مصائبهم، وتنبئهم إلى أنه مثلهم يَتَوَجَّبُ عليه عبادة من إليه المَرْجِعُ والمآل.

العدول من التكلم إلى الغيبة: كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁴⁵⁹، بدأ بصيغة التكلم "جعلنا" وانتقل منها إلى الغيبة في "هو الذي"، والهدف من هذا العدول لفت الأَبْصَارِ واستثارة العقول لتأمل عظمة الخالق.

العدول من الخطاب إلى التكلم: وهو من القليل النادر، ومنه قوله تعالى: ﴿يُقِيمُ لَكُمْ الْمُلْكَ أَيَّامَ ظُهُورِنَا فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾⁴⁶⁰، انتقل من الخطاب "لكم الملك" إلى التكلم "ينصرتنا" لئنبه على وحدة المصير.

العدول من الخطاب إلى الغيبة: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَجِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رُجْعُونَ﴾⁴⁶¹.

العدول من الغيبة إلى الخطاب: وهذا كثير في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾⁴⁶²، انتقل من ضمير الغائب "قالوا" إلى الخطاب "جئتم" «تنبهوا لهم على عظم ما قالوه، كأنه يخاطب قوماً حاضرين بين يديه مُنْكَرًا عليهم وموبخاً لهم»⁴⁶³.

459 القرآن الكريم، الأنبياء، 32، و33.

460 القرآن الكريم، غافر، 29.

461 القرآن الكريم، الأنبياء، 92، و93.

462 القرآن الكريم، مريم، 88، و89.

463 ابن الأثير، المثل السائر، 1939م، 7/2.

العدول من الغيبة إلى التكلم: قال جلّ وعلا: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾⁴⁶⁴، عدل عن ضمير الغائب في "أرسل" إلى التكلم في "سقنا" و"أحيينا"، والغاية تنبيه السامع وإيقاظه إلى أنّ هذه الأشياء ليست لغير الله⁴⁶⁵.

ومهما يكن من سبب تغيير الضمير ونقل الاسناد في الأمثلة التي ذكرت أو في سواها من آيات القرآن الكريم، والتي تتناسب مع المعنى الذي أودعه الله فيها، فإن إيرادها على هذا النوع من التغاير يفاجئ المتلقي ويحفزه للبحث عن المعنى الذي اقتضى هذا التغاير، مع وحدة المرجع، وتنبيهه في الوقت ذاته على عظمة القرآن وبراعة أسلوبه، وقدرة من أنزله على أفصح لفظ وأجمل أسلوب.

ب. الالتفات في العدد:

والمراد بالعدول في العدد: الانتقال من التعبير بصيغة الإفراد، أو التثنية، أو الجمع، إلى التعبير بصيغة أخرى منها، وله ست صور:

العدول من المفرد إلى المثني: قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾⁴⁶⁶، بدأ السياق بصيغة الإفراد "يد الله" ثم جاء الكلام بصيغة "يداه مبسوطتان"، وظاهر السياق يوحي أنّ الكلام المتوقّع؛ نفى البخل عن اليد التي نُسب إليها، لكنّ السياق جاء بصيغة المثني "يداه"، والغاية من ذلك كما بيّنها المفسّرون، المبالغة في الإنكار، والتدليل على ثبات السخاء ونفي البخل عنه، والتنبيه على أنّ كلتا يدي الله يمين، فلا ينصرف الكلام إلى إحداهما؛ أنّ المقصود إحدى اليدين وهي الشمال⁴⁶⁷، بل كما ورد في السنة كلتا يديه يمين.

⁴⁶⁴ القرآن الكريم، فاطر، 9.

⁴⁶⁵ محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، مكتبة وهبة القاهرة، ط4، 1996م/ a، 255-256.

⁴⁶⁶ القرآن الكريم، المائدة، 64.

⁴⁶⁷ أبو حيان، 1993م/ b، 3 / 534-535.

العدول من المفرد إلى الجمع: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾⁴⁶⁸، انتقلَ الخطاب من الأفراد في قوله "أيها النبي" إلى الجمع في "طلقتن"، وفيه تنبيهٌ على التعظيم والتّخيم للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وعموم الخطاب للمتلقى كأنّه مخاطبٌ كالنبيّ صلى الله عليه وسلم.

العدول من المثني إلى الإفراد: قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾⁴⁶⁹، عدلَ إلى الإفراد في قوله "تشقى" مع أنّ الخطاب كان للمثني "فلا يخرجنكما"، والمرادُ - والله أعلم - التّنبية على أنّ شقاءَ الزوجة مرتبٌ بشقاءِ زوجها، أو التّنبية على أنّ الشقاء هنا طلبُ الرزق والقوتِ وهذا مُتعيّنٌ في حقّ الرجل دون المرأة⁴⁷⁰.

العدول من المثني إلى الجمع: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁴⁷¹، عدلَ من المثني إلى الجمع للتّنبية على أنّ الخطاب للجميع، وليسَ خاصاً للأنبياء دون باقي الناس⁴⁷².

العدول من الجمع إلى المفرد: قال تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾⁴⁷³، والمتوقّع من ظاهر السياق أن يُقال "أطفالاً" لكنّه جاء بلفظ المفرد "طفلاً"، للتّنبية على أنّ الناس لا يتفاوتون في حالِ ولادتهم فكُلهم إذ ذاك "طفل"⁴⁷⁴.

468 القرآن الكريم، الطلاق، 1.

469 القرآن الكريم، طه، 117.

470 الزمخشري، 1407هـ، 3/ 92.

471 القرآن الكريم، يونس، 87.

472 الزمخشري، 1407هـ، 2/ 364.

473 القرآن الكريم، الحج، 5.

474 أحمد غالب النوري، أسلوبية الانزياح في النص القرآني، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة 2008م، 136.

العدول من صيغة الجمع إلى المثنى: وهذا قليلٌ في كتاب الله، منه قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾⁴⁷⁵، الالتفات كائنٌ في التعبير عن السماوات والأرض بلفظ المثنى "كانتا"، للتنبيه؛ إِمَّا أَنَّ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ سَمَاءً وَاحِدَةً وَالْأَرْضَيْنِ أَرْضٌ وَاحِدَةٌ⁴⁷⁶، أو على أَنَّ السَّمَاوَاتِ نَوْعٌ وَالْأَرْضَيْنِ نَوْعٌ، فأخبر عن النوعين بصيغة الاثنين⁴⁷⁷.

والعدول بالالتفات في العدد هو شاهد آخر على عظمة القرآن ووجوه تصرفه في اللغة بحكمة تتناسب مع المعنى المراد إيصاله للمتلقي على وجه يظهر معاني قد تخفى لو جاء الكلام على المعهود المنتظر، فالمغايرة في اللفظ توحى بمغايرة في المعنى وجب التنبيه عليه بظاهر اللفظ، وهذه المغايرة أحدثت مفاجأة لدى المتلقي صرفت ذهنه للبحث عن سبب التغيير.

ج. الالتفات في صيغ الأفعال:

من المظاهر التي لا تخفى على أحد في النصّ القرآني التّصَرُّفُ غيرُ المألوفِ في أزمنة الفعل في السياق الواحد، فَيَعْدِلُ عن الماضي إلى المضارع أو العكس، أو عن الماضي إلى الأمر، وغير ذلك من مظاهر العدول في صيغ الأفعال، وهذا الاختلاف في الأزمنة يَدْفَعُ المتلقي للالتباهِ والبحثِ عن المَعزَى من هذا العدول، وصورُ هذا العدول في القرآن على النحو التالي:

العدول من صيغة الماضي إلى المضارع: قال تعالى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾⁴⁷⁸، عدل عن الماضي "أنزل" إلى المضارع "تصبح" لِيَسْتَحْضِرَ المتلقي الحدثَ كَأَنَّهُ يُعَايِشُهُ بنفسه⁴⁷⁹، فَيُنْتَبِه إلى المعنى المُرادِ تقريره في

⁴⁷⁵ القرآن الكريم، الأنبياء، 30.

⁴⁷⁶ الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل شلبي، عالم الكتاب العربي بيروت،

1988م، ط1، 390/3.

⁴⁷⁷ أبو حيان، 1993م/أ، 286/6.

⁴⁷⁸ القرآن الكريم، الحج، 63.

⁴⁷⁹ فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، 2000م، ط1، 330/3.

ذهنه، فليس التعبير عن حدثٍ بصورة الإخبارِ مثلَ تمثيله بصورة حيّة، تجلب انتباه المتلقي وتشدّه لمُتَابَعَةِ النّصِّ والتّفاعلِ معه.

العدول من صيغة الماضي إلى الأمر: وهذا العدول قليل بالنسبة لغيره، قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾⁴⁸⁰، عدل عن الماضي "أمر" إلى الأمر "أقيموا"، للتنبيه على أهميّة الصلاة، وأنها من أوكد العبادات التي ينبغي المحافظة عليها في الحاضر والمستقبل.

العدول من صيغة المضارع إلى الماضي: وهذا النوع كثير في النص القرآني، يرد كثيراً في الحديث عن الأمور المستقبلية المتعلقة بيوم القيامة، للدلالة على قطع حُدُوثها، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دُخْرِينَ﴾⁴⁸¹، عدل عن المضارع "يُنْفَخُ" إلى الماضي "فزع"، للإشعار بتحقّق الفزع وثبوتّه وأنه واقع لا محالة على أهل السماوات والأرض، فالغرض التنبيه على قطعيّة الفزع من النَّفْخِ في حقّ الكلِّ إِلَّا مَنْ اسْتَنْتَاهُ اللَّهُ.

العدول من المضارع إلى الأمر: ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾⁴⁸²، عدل عن المضارع "أشهد" إلى الأمر "اشهدوا" للتنبيه على الفرق بين الإشهادين، فإشهاد الله على حقيقته، أمّا إشهدهم فهو على سبيل السخرية منهم، وربما للتنبيه على التمايز بين خطابهم وخطاب الله، فيخطب الله بما فيه توقيّر أكثر، ويخطبهم بما يكون واجباً حتماً في حقهم، وإظهاراً لحقارة شأنهم عنده⁴⁸³.

والإلتفات في العدول في أزمنة الفعل هو الآخر دليل على تصرف الله سبحانه وتعالى في اللغة، وإيراد اللفظ على وجه يظهر إعجاز القرآن في لفظه ومعناه، وأن كل لفظ جاء في موضعه

480 القرآن الكريم، الأعراف، 29.

481 القرآن الكريم، النمل، 87.

482 القرآن الكريم، هود، 54.

483 الزمخشري، 1407 هـ، 2 / 403-404.

الذي لا ينوب عنه سواه، حتى ولو أوحى ظاهره بخلاف ذلك، وهذا الخلاف في الظاهر، والله أعلم، هو مقصودٌ للتنبيه والإثارة.

وللانتقالات كما تبيّن من الأمثلة السابقة دورٌ في تنبيه المتلقي، لأنّ الانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر يُظهِرُ تَصَادُماً مع الأسلوب الأول، يُحَفِّزُ المتلقي وَيَسْتَدْعِي انتباهه للبحث عن سرِّ هذا الاختلاف، ولا سيما مع إقرار النفس أنّ هذا الأسلوب بعيدٌ عن الخطأ والزلل، لأنّه كلامُ الله سبحانه وتعالى الذي لا ريبَ فيه ولا عيبَ، بل العيبُ في سوء الفهم من المتلقي، فكلُّ ما كان خارجاً عن المألوف لا بُدَّ أن له دلالةً تتناسبُ مع العدول الذي حدث في التركيب، فالعدولُ في المبني يترافقُ مع عدولٍ في المعنى، وكلما كان اللفظ حملاً للمفاجأة والاستغراب من وروده في موضعه على وجه يخالف المعهود المنتظر، كانت النفوس تواقّة للوصول إلى المعنى المختزن فيها، ومواصلة للبحث عن أسرارها التي لا تنتهي إلا عند الله.

3.2.3.2. التقديم والتأخير:

لموقع الكلمة في اللغة العربية دورٌ في تحديد معناها، وقد حدّدت قواعد اللغة مواقع لكلِّ جزءٍ في الكلام، إلّا أنّ هذه لا يعني صرامةً تلك القواعد، وعدم القدرة على تبادل المواقع إذا اقتضى المقام، فقد يقدّم ماحقّه التأخير ويؤخّر ماحقّه التقديم لغاية بلاغية ما كانت لتتحصّل لو بقيت كلّ كلمة في موقعها الذي حدّته قاعدة الانضباط المعياري⁴⁸⁴، وهذا عدولٌ تركيبى عن الأصل يُكسب التركيب حريةً ودقّةً في التعبير⁴⁸⁵.

ويرتبط التقديم والتأخير باعتباريات، منها ما يتعلّق بالمتكلم، ومنها ما يتعلّق بالمتلقي، بالإضافة إلى طبيعة الصياغة ذاتها؛ أي ضمن الإمكانيات المتاحة، فليس كلّ تقديم وتأخيرٍ جائز، فهناك رُتبٌ نحويّة محفوظة لو اختلّت لختلّ المعنى باختلالها مثل: "تقديم الصلة على الموصول"، و"الصفة على الموصوف" و"المجرور على حرف الجر".

484 منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1988، 138.

485 أحمد مطلوب، بحوث لغوية، دار الفكر، عمان، ط1، 1987، 41.

وللعدول بالتقديم والتأخير بين أجزاء الكلام فوائدٌ أجّلها ذلك الأثر الذي تُحدثه في المتلقي، وهذا مصداق قول الجرجاني: ولا تزال ترى شعراً يروقك سماعه، ويلطفُ لديك موقه، ثم تنظر فتجدُ سببَ أن راقك ولطفَ عندك، أن قُدّم فيه شيءٌ وحولَ اللفظ عن مكان إلى مكان، فيَحْتَلُّ المقدمُ مركزاً ممتازاً، هو أول ما تقعُ عينك عليه وتتأثر به، وهذا الأثر هو عين الوظيفة التنبهية، وشواهدُ هذا العدول في النص القرآني كثيرةٌ يَضيقُ المقامُ عن الإحاطة بها، لذلك سيكون الكلام على (التقديم والتأخير في الجملة الاسمية)، (والتقديم والتأخير في الجملة الفعلية)، (والتقديم والتأخير في المُتشابه من آيات القرآن الكريم).

أ. التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

الأصلُ المستقرُّ عن ترتيب عناصر الجملة الاسمية، تقدّمُ المبتدأ على الخبر في الجملة المجردة وفي حالِ دُخول الحروف والأفعال الناسخة، وهذا الترتيب قد يُعدّلُ عنه ويتقدّم الخبر على المبتدأ في النصّ القرآني، ويكون لهذا العدولِ أغراضٌ كالعناية والاهتمام والتشويق وغيرها من الأغراض البلاغية⁴⁸⁶ التي تصبُّ كلها للفتِ انتباه المتلقي إلى المعنى المقصود من هذا العدول، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا نَسَبْنَا لِهِمُ الْمُشْرِكِينَ قَالَ اللَّهُ لَوْلَا إِذْ سَأَلْتَهُمْ لَئِن لَّمْ يَظْهَرُوا عَلَيْنَا لَخَسِمْ لَكُمْ أَنفُسَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّكُمْ كَذِبُونَ﴾⁴⁸⁷، فترتيب الجملة من حيث المبتدأ أولاً يليه الخبر هو "حصونهم مانعهم"، لكن الآية جاءت بتقديم الخبر "مانعهم" على المبتدأ "حصونهم"، للفتِ انتباه المتلقي إلى أمرين: كمالِ قدرة الله وأنه لا عاصم من أمره، وإلى ثقة الكفار بحصونهم وأنها تمنعهم، ولو كان تقديم المبتدأ أقدّر على تبليغ المعنى ما عدل عنه.

ومن التقديم في الجملة الاسمية قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁴⁸⁸، قُدّم خبرُ الفعل كان على اسمها للتنبه على الخبر، وأنه المعنى بالاهتمام، فالعدول في هذه الآية تنبيهٌ على شرفِ وقدرِ المؤمنين حيثُ جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم، وفيه مراعاةٌ للفاصلة.

⁴⁸⁶ الزركشي، 1957م، 3/ 235-236.

⁴⁸⁷ القرآن الكريم، الحشر، 2.

⁴⁸⁸ القرآن الكريم، الروم، 47.

وقال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾⁴⁸⁹، فُذِّمَ خبرُ "إِنَّ" على اسمها "ربي"، لتبنيه النفوس الخائفة إلى أنَّ معه ما يُطمئنُّ قلوبهم وينقذهم وهو ربُّه، وأخر الكلام عن الربِّ لتشويقهم وتعليقهم به، فليس لهم سبيلٌ للخلاص بغيره.

ب. التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

العدول في ترتيب أجزاء الجملة الفعلية يصعُبُ الوقوف على كل مظهره لكثرتها، ولأنَّ أصل تركيب الجملة الفعلية هو تقديم الفعل على ما سواه ثم تقديم الفاعل على المفعول، فإنَّ عماد تلك المظاهر هو **تقديم الفاعل على الفعل** كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁴⁹⁰، فُذِّمَ لفظ "الله" وهو فاعل "خلقكم" على فعله، والغرض من هذا العدول إثارة انتباه المتلقي إلى أنَّ الله الخالق ولا خالق غيره.

أو تقديم نائب الفاعل: كما في قوله تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾⁴⁹¹، فُذِّمَ نائب الفاعل "شر" على الفعل "أريد"، للتبنيه على أنَّ المُسيطرَ على هاجس الجنِّ هو توفُّع الشرِّ والعذاب أكثر من الخير بسبب بُعدهم عن الله، وأسندَ الفعل لغير فاعله تنزيهاً لله من نسبة الشرِّ المحض إليه.

أو تقديم المفعول به: والأصل في المفعول به أن يأتي بعد الفعل والفاعل، إلاَّ أنَّه قد يتقدَّم على الفاعل أو على الفعل والفاعل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾⁴⁹²، فُذِّمَ المفعول به "فريقاً" على الفعل "تقتلون" وأخر في "تأسرون"، فقدَّم الأوَّل للتبنيه على أهميته، فقتلَ هذا الفريق الذي يحصلُ

489 القرآن الكريم، الشعراء، 62.

490 القرآن الكريم، الصافات، 95، و96.

491 القرآن الكريم، الجن، 10.

492 القرآن الكريم، الأحزاب، 26.

به الظفر وأخذ المال والأسرى، أما الفريق الثاني فلا داعي لتقديمه لضعفه وقلة حيلته⁴⁹³، فقدّم الأول فقتل وأُخِر الثاني فأُسِرَ.

والتقديم والتأخير بين عناصر الجملة الاسمية والفعلية هو نوع من العدول عن أصل التركيب في اللغة وخروج عن الأصل المعياري لا خروج عن الصواب وهو مستعمل في لغة العرب بكثرة لأهميته في تحسين الكلام وإظهار براعة المتكلم في التصرف في اللغة من جهة، ولفت الانتباه إلى المقدم لأهميته ووجوب الاعتناء به، أو لتقدمه على ما سواه في رتبة أو غيرها، وهذه الجوانب راعاها القرآن الكريم في لغته ووصل بها مرتقى أعظم مما وصلت إليه في غيره.

ج. التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم:

ونعني بالمتشابه اللفظي هنا، اتفاق آيتين أو أكثر في بعض الألفاظ مع الاختلاف بينهما بصورٍ ووجهٍ، ومن وجه الاختلاف التقديم والتأخير، فما يكون مقدماً في إحداها قد يأتي مؤخراً في الأخرى، فمنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾⁴⁹⁴، ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾⁽⁴⁹⁵⁾، فما قدّم في الآية الأولى أُخِر في الثانية، للتبنيه على تمايز المعنى على حسب سياق الآية، فقدّم في كلّ منهما ما هو أنسب للمقام الذي جاءت فيه.

ومنه قوله تعالى: ﴿تُورْهُم بَيْتَ رَبِّهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْحَقِّ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ﴾⁴⁹⁶، ﴿يَسْعَى تَوْرَهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ﴾⁴⁹⁷، ناسب في الأولى تقديم الفاعل على الفعل لإثبات معية المؤمنين لنبيهم، والثبات مما تفيده الجملة الاسمية، وأُخِر في الثانية لأنها في سياق بشارة المؤمنين، والبشارة يحسن فيها

⁴⁹³ ابن عاشور، 1984م، 313/21.

⁴⁹⁴ القرآن الكريم، البقرة، 120.

⁴⁹⁵ القرآن الكريم، آل عمران، 73.

⁴⁹⁶ القرآن الكريم، التحريم، 8.

⁴⁹⁷ القرآن الكريم، الحديد، 12.

تَجَدُّدُ الحُدُوثِ وذلك تفيدهُ الجملة الفعلية⁴⁹⁸، ففي كلا الآيتين قُدِّمَ ما يتناسبُ مَبْنَى ومعْنَى مع السياق الذي جاء فيه، ففي كلِّ تقديمٍ تنبيهٌ على معْنَى مغايرٍ للآخر.

وأمثلةُ اختلافِ المتشابهِ في التقديمِ والتأخيرِ كثيرةٌ، تتفقُ كُلُّها على أنَّ المُقدِّمَ ما قُدِّمَ إلا لعلَّة تقتضي تقديمه، فوَجَبَ تقديمه لبيانِ أهميته ولفَتِ الانتباهِ إليه، وهذا النوع من العدول هو عدول ضمن النص القرآني، الذي يرعي أبسط الفروق في اللفظ، فحتى إن أتى باللفظ واحداً في أكثر من موضع فإنه قد يبدل بين مواقع الكلمات، للتنبيه على اختلافِ في المعنى قد اقتضى الإشارة إليه.

وبعد الوقوف على أمثلة للتقديم والتأخير في الجملة الاسمية الفعلية والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، يمكن القول إنَّ الغاية من هذا العدول التركيبي الذي يَكْسِرُ النمط المألوف في ترتيب الكلام، إثارة النفوس، ولفَتِ انتباهها إلى المُقدِّم للبحث عن سبب تقديمه على غيره، وهذه عادة العرب فهم «يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم، وهم ببيانه أعنى، وإنَّ كانا جميعاً يُهمَّانهم ويعنيانهم»⁴⁹⁹، وبهذا النمط من العدول يتضح جانب آخر من جوانب المفاجأة التي تحدث للمتلقي من جراء مخالفة المعهود المنتظر، وتلفت انتباهه إليه.

3.2.3.3. الحذف:

الحذف واحدٌ من مظاهر العدول التَّركيبي عن الأصل، وَضَعَهُ ابنُ جَنِّي على رأسِ بابِ شجاعةِ العربية⁵⁰⁰، قال فيه الجرجاني: «بابٌ دقيقُ المسلك لطيفُ المأخذِ عَجِيبُ الأمرِ شبيهٌ بالسحر، فإنَّكَ ترى به تَرْكَ الذِّكْرِ أَفْصَحَ من الذِّكْرِ، والصَّمْتُ عن الإِفاضةِ أزيدُ للإِفاضةِ، وَتَجِدُكَ أَنْطَقَ ما تَكُونُ إذا لَمْ تَنْطِقْ، وَأَنْتَ ما يَكُونُ بياناً إذا لَمْ تُثِنُّ»⁵⁰¹، وشرطُ المحذوفِ ذهابُ الحُسْنِ

⁴⁹⁸ بريكان سعد الشلوي، التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مجلة جامعة الطائف، المجلد 1، العدد 4، 2010م،

263.

⁴⁹⁹ سيبويه، 1988م، 1/ 34.

⁵⁰⁰ ابن جني، غ.ت، 2/ 362.

⁵⁰¹ الجرجاني، 1992م، 146.

في الكلام متى ظَهَرَ⁵⁰²، والغرض من الحذف تنشيط ذهن المتلقي لتقدير المحذوف، واكتشاف سرِّ حذفه.

أ. الحذف لغةً واصطلاحاً:

تقدم لنا ذكر الحذف في مبحث العدول الصوتي في معض حديثنا عن العدول في الفاصلة القرآنية، والحذف في اللغة معناه: الإسقاط، والإزالة، وحذف الشيء إسقاطه، ومنه حذفتُ من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذت⁵⁰³.

أمّا اصطلاحاً: «هو إسقاط عنصرٍ من عناصر النصِّ سواءً كان كلمةً، أو جملةً، أو أكثر، على أن يكون الإسقاط لغرضٍ من الأغراض البيانية، مع وجود قرينة تدلُّ عليه»⁵⁰⁴.

الحذف في القرآن الكريم: ممّا يجب التنبيه عليه قبل الخوض في أسلوب "الحذف" في القرآن الكريم، أن الحذف ليس منسوباً للقرآن الكريم، «فلسنا ننسب الحذف إلى مضمون القرآن الكريم، وإنما ننسبه إلى تراكيب اللغة، ذلك بأن اللغة تجعل للجملة العربية أنماطاً وتراكيباً معينة»⁵⁰⁵، فالحذف عدولٌ عن أصل تلك التراكيب لا حذف شيءٍ من القرآن، وقد يذكر التركيب في موضع ويكون بغير حذف، ويذكر في موضع آخر وقد حذف منه بعض ما ذكر في الموضع الأول.

ب. أنواع الحذف:

ثمّة أكثر من نوع للحذف عن أصل التركيب في القرآن الكريم، تبدأ من جزء الكلمة إلى جزء الجملة إلى أن تصل أحياناً إلى حذف جملة كاملة من سياق عام.

⁵⁰² ابن الأثير، 1939م، 81/2.

⁵⁰³ ابن منظور، لسان العرب، مادة(حذف)، دار صادر بيروت، 1993م.

⁵⁰⁴ مصطفى شاهر خروف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم، دار الفكر عمان، ط1، 2009م، 23.

⁵⁰⁵ تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط1، 1993، 380/1.

1- حذف جزءٍ من الكلمة:

وَيُقْصَدُ بِحَذْفِ جُزْءٍ مِنَ الْكَلِمَةِ حَذْفُ حَرْفٍ أَوْ حَرَكَةٍ مِنْهَا، وَلَا يَكُونُ الْحَذْفُ عَدُولًا إِلَّا إِذَا كَانَ بِغَيْرِ عِلَّةٍ صَرْفِيَّةٍ أَوْ نَحْوِيَّةٍ، وَإِلَّا كَانَ الْحَذْفُ مَأْلُوفًا، وَمِنْ هَذَا الْحَذْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾⁵⁰⁶، ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾⁵⁰⁷، وَرَدَّتْ هَاتَانِ الْآيَاتَانِ فِي سُورَةِ "الْكَهْفِ" فِي قِصَّةِ "مُوسَى" مَعَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ، وَقَدْ لَقِيَ حَذْفُ "التاء" مِنَ الْفِعْلِ "تسطع" فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ - مَعَ أَنَّهَا ذُكِرَتْ فِي الْآيَةِ الْأُولَى - اِنْتِبَاهَ كُلِّ مَنْ سَمِعَ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ، لِأَنَّهُ حَذْفٌ غَيْرُ مَأْلُوفٍ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لِعِلَّةٍ صَرْفِيَّةٍ أَوْ نَحْوِيَّةٍ لَحُذِفَ فِي الْآيَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَ التَّعْلِيلُ الصَّرْفِيُّ وَالنَّحْوِيُّ غَيْرَ مُمَكِّنٍ حَلَّ مَحَلَّهُمَا التَّعْلِيلُ الْبَلَاغِيُّ، فَرِطُوا الْحَذْفَ بِالْجَانِبِ النَّفْسِيِّ لِـ "مُوسَى" عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَعِنْدَ عَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى الصَّبْرِ، جَاءَ الْفِعْلُ بِكَامِلِ حُرُوفِهِ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ ذَلِكَ، وَلَمَّا زَالَ عَنْهُ أَثَرُ الْمُفَاجَأَةِ، كَانَ أَقْلُ اللَّفْظِ كَافِيًا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْحَالِ⁵⁰⁸، وَمَهْمَا يَكُنُ لِلْحَذْفِ مِنْ عِلَّةٍ فَإِنَّ التَّيْبِيهِ قَائِمٌ فِيهِ لِعُدُولِهِ عَنِ الْأَصْلِ.

وَمِنَ الْحَذْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي ذَاتِ السُّورَةِ ﴿فَمَا أَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا أَسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾⁵⁰⁹، وَهُنَا ذَكَرَ الْفِعْلُ "استطاعوا" مَرَّتَيْنِ أَوْلَاهُمَا مَحذُوفٌ مِنْهُ حَرْفٌ، وَلَا عِلَّةٌ لِهَذَا الْحَذْفِ إِلَّا أَنْ زِيَادَةَ الْمَبْنِيِّ تَفِيدُ زِيَادَةَ الْمَعْنَى، فَالْحَذْفُ دَلٌّ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي الْمَعْنَى، فَالصُّعُودُ أَهْوَنُ مِنَ النَّقْبِ، وَيَسْتَعْرِقُ زَمَنًا أَقْلًا، فَنَاسَبَ الْحَدِثُ الْإِخْفَ الْفِعْلَ الْأَخْفُ فِي النُّطْقِ "استطاعوا" مَحذُوفٌ "التاء"، وَالْآخِرُ عَمَلٌ شَاقٌّ فَنَاسَبَهُ الْفِعْلُ بِالصِّيغَةِ الْأَكْمَلِ⁵¹⁰، وَالَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ الْحَذْفَ قَدْ أَثَارَ الْإِنْتِبَاهَ إِلَى الْفَعْلَيْنِ وَمَعْنِيهِمَا، وَذَلِكَ مَا كَانَ لِيَحْصَلَ لَوْ كَانَا بِنَفْسِ الصِّيغَةِ مِنْ غَيْرِ حَذْفٍ، وَلِئِنْ تَرَى كَيْفَ صَرَفَ الْحَذْفَ الْأَنْظَارَ وَالْإِذْهَانَ إِلَى أَنَّ الْفِعْلَ قَدْ تَغَيَّرَ مَعْنَاهُ بِحَذْفِ جُزْءٍ مِنْهُ وَأَنَّهُ قَدْ انصَرَفَ إِلَى مَعْنَى يَخَالِفُ مَعْنَى الْفِعْلِ الثَّانِي .

⁵⁰⁶ القرآن الكريم، الكهف، 78.

⁵⁰⁷ القرآن الكريم، الكهف، 82.

⁵⁰⁸ عودة الله منبع القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن الكريم، دار البشير عمان، ط1، 1996م، 98.

⁵⁰⁹ القرآن الكريم، الكهف، 97.

⁵¹⁰ عبد القادر بن زيان، جمالية الانزياح، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2012م، 81.

2- حذف كلمة:

وهذه الكلمة قد تكون: "الفاعل" أو "المفعول به" أو "المبتدأ" أو "الخبر"، أو "الموصوف" أو "الصفة"، والحذف عدولٌ عن الأصل الذي هو ذِكْرُ المحذوف.

حذفُ الفاعل: قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا رِضُ أَبْلِعِي مَاءَكَ وَيُسَمِّأُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁵¹¹، ذُكِرَتِ الأفعال "قيل" و"غيض" و"قضي" من غير أن يُبيِّنَ فاعلها، تنبيهاً على عَظَمَتِهِ وَتَشْرِيفاً لَهُ، فتلك الأمور العِظَامُ لا تَصْدُرُ إِلَّا عن قَادِرٍ لا يعجزه شيءٌ في السماوات ولا في الأرض.

حذف المفعول به: قال تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾⁵¹²، حذفَ مفعول "لا يبصرون" للتنبيه على عَدَمِ الرُّؤْيَةِ مطلقاً، كأنَّ الفعلَ غيرُ متعدِّ أصلاً، وللعنايةِ بالفعل، وإثباتِهِ لصاحِبِهِ.

حذفُ المبتدأ: وحذفُ المبتدأ كثيرٌ في القرآن الكريم، «إمَّا لأنَّ إضمارَهُ أَنَسُ من إظهاره»⁵¹³، أو لأنَّ الخبرَ انَّصَفَ بصفةٍ تشيرُ إلى المبتدأ، بلغت به شهرةً تُغني عن ذكره»⁵¹⁴، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾⁵¹⁵، ﴿كَأَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلْيَيْنِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلْيُونَ كِتَابَ مَرْفُومٍ﴾⁵¹⁶، حذفَ المبتدأ من الآيتين فلم يقل: "هم في سدر مخضود"، أو "هو كتاب مرفوم"، والغرضُ تشويقُ المتلقي وتنبيهه لسماعِ الجوابِ.

⁵¹¹ القرآن الكريم، هود، 44.

⁵¹² القرآن الكريم، البقرة، 17.

⁵¹³ الجرجاني دلائل الإعجاز، 1992م/ب، 152.

⁵¹⁴ بدوي طبانة، 1988م، 158.

⁵¹⁵ القرآن الكريم، الواقعة، 27، و28.

⁵¹⁶ القرآن الكريم، المطففين، 18، و19، و20.

حذف الخبر: قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾⁵¹⁷، والخبر وإن كان محذوفاً إلا أنه سهل التَّعيين، وهذا ما يُلْفِتُ الأَنْظَارَ إليه لِتُعْمَلَ الْفِكْرَ فِي تَقْدِيرِهِ.

3- حذف جملة:

والعدولُ في حذفِ الجملِ أظهر، لِبُعْدِهِ عن القواعد المعياريةِ واتِّصالِهِ بالبلاغة، «وَكَثُرَ وُرُودُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ رُسُوحِ قَدَمِهِ، وَظُهُورِ أَثَرِهِ، وَاشْتِهَارِ عِلْمِهِ»⁵¹⁸، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾⁵¹⁹، فالجوابُ عن هذا السؤالِ جملةٌ محذوفةٌ تقديرها؛ "كان هذا القرآن"، والذكرُ لهذا الجوابِ يَسْلُبُ الكلامَ بَهْجَتَهُ وَيُذْهِبُ فَائِدَتَهُ، فكان الحذفُ أولىً تنشيطاً للسامع.

وبهذه الأمثلة يَبَيِّنُ لك العدولُ بالحذف، وأثره على المتلقي لتَوْفُّعِهِ فائدةٌ يَنُمُّ بها المعنى، وكيف أنَّ الاجتهادَ في استنباطِ المحذوفِ يُعْظَمُ شأنه ويرفَعُ قدره، وكفى بهذا تنبيهاً وإيقاظاً، وقد سبق أن تكلمنا ع حذف خلال الكلام على العدول في الفاصلة القرآنية ومظاهر العدول فيها.

3.2.3.4. الرِّسْمُ الْقُرْآنِيُّ (الرِّسْمُ الْعُثْمَانِيُّ)

لَمْ يَقِفْ تَمَيُّزُ الْقُرْآنِ عِنْدَ مَعَانِيهِ، وَأَصْوَاتِهِ، وَتَرَائِكِيهِ، بَلْ تَمَيَّزَ حَتَّىٰ بِطَرِيقَةِ رَسْمِهِ، فَكَلِمَاتِ الْقُرْآنِ جَاءَتْ عَلَى رَسْمٍ يُخَالِفُ الرِّسْمَ الْإِمْلَاتِي الَّذِي تَعَارَفُوا عَلَيْهِ، وَالَّذِي جَاءَ بَعْدَ رَسْمِ الْمَصْحَفِ، فَالْأَسْبَقِيَّةُ لِرَسْمِ الْمَصْحَفِ، وَالرِّسْمُ أَوْ الْإِمْلَاءُ فِي الْحَقِيقَةِ مُسْتَقِلٌّ نَوْعاً مَا عَنِ الْمَبْحَثِ الصَّوْتِيِّ وَالتَّرْكِيبِيِّ، وَلِقُرْبِهِ مِنَ التَّرْكِيبِيِّ أَدْرَجْنَاهُ مَعَهُ، وَكَلَمْنَا عَنِ الْعُدُولِ فِي رَسْمِ الْمَصْحَفِ لَنْ يَكُونَ قِيَاساً إِلَى الْإِمْلَاءِ الْقِيَاسِيِّ، بَلْ قِيَاساً إِلَى رَسْمِ الْمَصْحَفِ، أَيُّ هُوَ اخْتِلَافُ رَسْمِ بَعْضِ كَلِمَاتِ الْمَصْحَفِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى آخَرَ ضِمَّنَ الْمَصْحَفِ.

⁵¹⁷ القرآن الكريم، فاطر، 8.

⁵¹⁸ العلوي، 1423هـ، 51/2.

⁵¹⁹ القرآن الكريم، الرعد، 31.

أ. تعريف الرسم القرآني:

الرسم هو طريقة كتابة الحروف في الكلمات من جهة حذفها ولفظها موجود وكتابتها ولفظها مفقود ورسمها بصورة تغاير المنطوق، وقبل الخوض في تفاصيله لا بد من معرف معناه في اللغة والاصطلاح.

والرسم لغةً: أثر الشيء وبقيته، ورسم الدار الأثر الباقي للدار بعد أن عفت، ورسمت الكتاب أي كتبت، ويرادفه الخط، والكتابة، والزبر، والسطر⁵²⁰.

أما اصطلاحاً: فرسم المصحف: «هو خط يُتَّبَعُ فيه الاقتداءُ السلفي»⁵²¹.

أو «طريقة رسم الكلمات في المصحف من ناحية عدد حروف الكلمات ونوعها، لا من حيث نوع الخط وجماليته»⁵²².

ويُسمَّى الرسمُ القرآني الرسمَ العثمانيَّ نسبةً للخليفة "عثمان بن عفان" رضي الله عنه، ويسمى الرسمَ التوقيفيَّ، والاصطلاحِيَّ؛ أي ما اصطلح الصحابةُ عليه في رسم القرآن، فهو علمٌ يُعرَفُ به مخالفةُ خطِّ المصحفِ العثمانيِّ لأصولِ الرسمِ القياسيِّ، كـ "الحذف" و"الزيادة" و"الهمزة" و"الإبدال" و"الفصل والوصل" و"ما فيه قراءتان"، أو هو مخالفةُ الخطِّ للفظ.

ورسمُ القرآنِ منه القياسيُّ ومنه الاصطلاحِيُّ، وبقياسِ هذين الرسمين إلى بعضهما يُقاسُ خروجُ أحدهما عن الآخر، فالعدولُ في الرسمِ القرآنيِّ؛ هو رسمُ بعض الكلمات في موضعٍ على خلافِ رسمها في موضعٍ آخر، فهو عدولٌ ضمنَ النصِّ الواحد، ولا يُقالُ إنَّ رسمَ المصحفِ عدولٌ عن الرسمِ القياسيِّ، لأنَّ رسمَ المصحفِ سابقٌ على الرسمِ القياسيِّ.

⁵²⁰ ابن منظور- لسان العرب، مادة(رسم)، دار صادر بيروت، 1993م.

⁵²¹ الزركشي، 1957م، 376.

⁵²² غانم قدوري الحمد، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، اللجنة الوطنية، ط1، 1982م، 155.

ب. العدول في الرسم القرآني:

مظاهرُ العدول في الرسم القرآني مَرَدُّها إلى عِدَّةِ أسباب: "الحذف"، و"الزيادة"، و"الإبدال"، و"الوصل والوصل".

الحذف: ونعني بالحذف هنا حذفاً يختلف عن الحذف الذي ذكرناها سابقاً والذي يعني حذفاً بالكلية، لفظاً وصورة، في حين أن الحذف في الرسم هو حذفٌ لصورة الحرف مع بقاء لفظه، وقد كَثُرَ في القرآن الكريم ورُودُ بعض الكلمات على صِيغَةٍ قد حُذِفَ منها ما هو أصلٌ في كتابتها، وما يميِّزُ هذا الحذف هو خروجه عن قواعدِ الحذفِ المألوفةِ، فلا مُسَوِّغٌ نحويٌّ أو صرفيٌّ للحذف، والذي حذف من الحروف في رسم القرآن الكريم هي: "الألف" و"الياء" و"الواو" و"اللام"، وأكثرها حذفاً "الألف" وحذفها على ثلاثة أضرب:

حذف إشارة: ويكون موافقاً لبعض القراءات مثل: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾⁵²³، حذف اختصار: كحذف "الألف" من جمع المذكر أو المؤنث السالمين، ما تكرر منها وما لم يتكرر، حذف اقتصار: وهو حذف "الألف" من كلمة في موضعٍ دون موضعٍ آخر⁵²⁴، وهذا الأخير هو العدول الذي نعني به الخروج عن المألوف في القرآن الكريم، أما الأوليان فهما عدولٌ عن الرسم القياسي.

ومن أمثلة العدول في الرسم القرآني بالحذف، حذف "ألف" (قرعان) في موضعين هما قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁵²⁵، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁵²⁶، وأما في غير هذين الموضعين فقد رُسِمَتِ بالألف.

523 القرآن الكريم، الفاتحة، 3.

524 عبد الكريم عوض، المتحف في رسم المصحف، دار الصحابة للنشر بطنطا، 2006م، ط1، 22.

525 القرآن الكريم، يوسف، 2.

526 القرآن الكريم، الزخرف، 3.

كلمة (قال) رُسِمَت بـ "ألف" في جميع القرآن، باستثناء خمسة مواضع رُسِمَت بغير "ألف"⁵²⁷
كقوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا أَرْحَمُنَّ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ﴾⁵²⁸

ومن حذف "الياء" في القرآن على غير اطرادٍ أو قياس، حَذَفُ "الياء" من اسم (إبراهيم)،
فلفظة "إبراهيم" رُسِمَت في القرآن بـ "ياء" إلا في سورة "البقرة" فقد جاءت بغير "ياء" في عدة آيات
(529) مثل قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾⁵³⁰، ﴿وَمَنْ
يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾⁵³¹.

ومن حذف "الواو" حذفها من المضارع "يدعو"، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾⁵³²،
﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾⁵³³، ﴿سَدَّعُ الزَّيَّانِيَّةِ﴾⁵³⁴.

الزيادة: والزيادة في الرسم مجيء اللفظ في القرآن الكريم على صيغة فيها حرفٌ زائدٌ على
أصل الكلمة، زيادةً في الرسم من غير أن يكون ملفوظاً، لا وقفاً ولا وصلًا، والذي يزداد من
الحروف: "الألف" و"الواو" و"الياء"، وأكثر ما تزداد "الألف"، ومما جاء مزيداً في القرآن على غير
اطراد:

⁵²⁷ محمد طاهر عبد القادر الكردي، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1953م،
ط2، 7.

⁵²⁸ القرآن الكريم، الأنبياء، 112.

⁵²⁹ أبو عمرو الداني، عثمان سعيد بن عثمان بن عمر، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ت: محمد صادق قمحاوي، مكتبة الكليات
الأزهرية القاهرة، غت، 96.

⁵³⁰ القرآن الكريم، البقرة، 127.

⁵³¹ القرآن الكريم، البقرة، 130.

⁵³² القرآن الكريم، الإسراء، 11.

⁵³³ القرآن الكريم، القمر، 6.

⁵³⁴ القرآن الكريم، العلق، 18.

"الألف": كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنَّي فَأَعِلَ ذَلِكَ عَدَاً﴾⁵³⁵ ، جاءت كلمة شيء مرسومةً بألفٍ على خلافِ كتابتها في سائرِ القرآنِ الكريمِ، فقد رُسِمَت بغيرِ "ألف".

"الواو": كما في الفعل "أريكم" فقد رُسِمَت مرتينِ بواو بين الهمزة والراء، في قوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾⁵³⁶، ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾⁵³⁷.

"الياء": ومن أشهر أمثلتها كلمة "أيدي" التي جاءت مرسومة بياء ثانية في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾⁵³⁸، ورسمُ كلمة "أيدي" هنا ببياعين هو خلافُ رسمها في باقي القرآن الكريم.

البدل: والبدلُ هنا غيرُ البدلِ في الصرفِ، فهو جعل حرفٍ مكانَ حرفٍ في رسمِ الكلمةِ مع بقاءِ لفظٍ واحدٍ لكلا الرسمين، فالعدولُ في الرسمِ فقط.

"الألف": كلمة "الدى" كُتِبَت بطريقتين بـ "ألف" ممدودةً وبصورة "ياء" غير منقوطة، قال تعالى: ﴿وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾⁵³⁹، ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كُظْمِينَ﴾⁵⁴⁰.

وهناك كلمات غلب عليها رسم "الألف" فيها "واو" مثل: "الصلوة"، "الزكوة"، "الحياة"، لكن رسمها بـ "الواو" ليس مُطَرِّداً، بل جاءت بصورتها الأصلية في مواضع مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا

⁵³⁵ القرآن الكريم، الكهف، 23.

⁵³⁶ القرآن الكريم، الأعراف، 145.

⁵³⁷ القرآن الكريم، الأنبياء، 37.

⁵³⁸ القرآن الكريم، الذاريات، 47.

⁵³⁹ القرآن الكريم، يوسف، 25.

⁵⁴⁰ القرآن الكريم، غافر، 18.

كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَاءً وَتَصَدِيقَةً⁵⁴¹، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁵⁴².

"التاء": وَرَدَتْ بعض الكلمات مرسومةً بـ "تاء" مبسوطةً حيناً، و"تاء" مربوطةً حيناً آخر، مثل: (رحمة، رحمت)، (نعمة، نعمت)، (امراة، امرأت)، فمثلاً كلمة "رحمة" كُتِبَتْ بـ "تاء" مبسوطة في قوله تعالى: ﴿ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيًّا﴾⁵⁴³، و"تاء" مربوطة في ﴿وَلِنَجْعَلُ آيَةَ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾⁵⁴⁴.

الوصل والفصل: ويُقصد بالوصل وصل كلمتين لفظاً وكتابةً، والفصل فصلهما كتابةً، ومن العدول في الوصل والفصل في القرآن العدول في كتابة (أن، لا) كُتِبَتْ مفصولةً وبعض المواضع جاءت موصولةً كقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾⁵⁴⁵، و(عن، ما) رُسِمَتْ موصولةً باستثناء قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَآ ثُهُوْا عَنْهُ﴾⁵⁴⁶، وفُصِلَ حرف الجر "اللام: عن الاسم المجرور في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾⁵⁴⁷.

وهذا العدول الذي دُكِرَ في الرسم العثماني يَخْتَلِفُ عن كل عدولٍ سَبَقَ ذِكْرُهُ، فهو عدولٌ يتعلّقُ بفئةٍ معيّنةٍ من المتلقين، ألا وهم القارئون الناظرون للقرآن الكريم، أمّا مَنْ كَانَ مُسْتَمِعاً له فلا يلحظُ فرقاً، لأنّ الذي عُدِلَ عنه هو رسمُ الكلمات لا لفظُها وصوتُها، ومع ذلك فقد كَانَ لهذا الرسم دورٌ في إثارة المتلقي، ولَفَتِ انتباهه إلى هذه الظواهر غير المألوفة ضمن النص القرآني، فالذي يزيدُ هذا العدول دهشةً عُدولُه عن رسم المصحف، لا عدوله عن رسم العربية القياسي فقط، فهو عدولٌ فوق العدول، وهذا ما جعلَ الأنظارَ تَشَخُّصُ نحوه والقلوبُ تخشعُ له، ولهذا

541 القرآن الكريم، الأنفال، 35.

542 القرآن الكريم، الأنعام، 162.

543 القرآن الكريم، مريم، 2.

544 القرآن الكريم، مريم، 21.

545 القرآن الكريم، الأحقاف، 21.

546 القرآن الكريم، الأعراف، 166.

547 القرآن الكريم، الفرقان، 7.

العدول فوائدٌ جمَّةٌ منها؛ التَّنْبِيه على القراءات القرآنيَّة، أو التَّنْبِيه على بعض لغاتِ العرب وأنَّ القرآنَ نزلَ موافقاً لها، أو التَّنْبِيه على أصلِ الحركةِ والحرفِ، أو على اختلافِ المعنى.

ولعلَّ أعظمَ مميِّزةٍ لهذا العدولِ في الرسمِ، تنبيهُ المتلقي أنَّ القرآنَ حُفِظَ كما نُقِلَ عن الصحابةِ والدليلُ بقاءُ رَسْمِهِ على خلافِ ما هو متعارفٌ عليه، ومع ذلك لم يُغَيَّرُوا فيها أيَّ شيءٍ، وفي هذا تنبيهٌ على اتصالِ سندهِ إلى النبي صلي الله عليه وسلم، وأنَّ القرآنَ يُرَخِّدُ مشافهةً، ولا يستطعُ أيُّ قارئٍ مهما علا قدره أن يقرأ القرآنَ من غيرِ مُقرِّئٍ، فهو حتماً سيقراً كلَّ ما كُتِبَ وسيهملُ كلَّ ما حُذِفَ وسيقرأ المُبدَّلَ بالحرفِ الذي أُبدِلَ منه، وهذا لا يسنَّقيمُ مع كتابِ الله، فالعدولُ واضحٌ وأثره أكثرُ وضوحاً منه.

وبالعدولِ الذي في رسمِ القرآنِ يُرْفَعُ القَلَمُ عن الكلامِ في أساليبِ التَّنْبِيه في القرآنِ الكريمِ، وعَن دَوْرِ العدولِ في لَفَتِ الانتباهِ، وشَحَذِ الهِمَمِ للغوصِ والبحثِ عن أسبابِ كلِّ عدولٍ، وأنَّ الكلامَ على العدولِ قد استوفى كثيراً من الأساليبِ التي تقابلُ أساليبِ الانشاءِ الطلبيِّ، وأنَّ الكلامَ عليها جاء تحت مسمَّى العدولِ ليس لأنها خالية من التَّنْبِيه بناتاً بل لأنَّ العدولِ فيها أظهر وأقدر على التَّنْبِيه، ومن جهةٍ ثانية هو يجمعُ أساليبَ لم يكن بالإمكانِ إدراجها إلا تحت هذه النوعِ من الاصطلاحِ وتقسيمها لعدولِ صوتي وتركيبِي، حتى لا تغدو عناوينَ متناثرة لا يجمعها جامع إلا دورها في التَّنْبِيه.

4. الخاتمة

هذا بحث خصّص لتتبع وظيفة لغوية مهمة في القرآن الكريم وهي "التنبيه" في ظل غياب شبه تام لطرق هذا المعنى، سواء على مستوى كونه وظيفة من وظائف اللغة، أو أسلوباً نحوياً، أو أسلوباً بلاغياً، إذ لم يتجاوز الكلام الذي قيل في التنبيه ذكر بعض الأدوات التي تفيد التنبيه، هذا في النحو، أو ذكره كمعنى ثانوي تخرج إليه بعض الأساليب أحياناً، هذا في البلاغة، فكان هذا البحث الذي حاول الجمع بين التنبيه في البلاغة والنحو باعتباره وظيفة لغوية يندُر أن يخلو منها نصّ لغويّ، وبعد تتبع هذه الأساليب في القرآن الكريم وصل البحث إلى جملة من النتائج وبعض التوصيات وهي كما يلي:

التنبيه وظيفة لغوية من جملة الوظائف التي تؤدّيها اللغة وذلك بجملة من الأساليب منها النحوي والبلاغي، وحقيقة تلك الوظيفة إثارة المتلقي وشدُّ انتباهه إلى ما يليق به المخاطب، حتى لا يفوته المقصود من الخطاب بسبب عارض عرض له من غفلة وسهو أو إعراض ومعاودة.

أن الأدوات التي اصطلح على جعلها أدوات للتنبيه، وعليه شبه إجماع هي: (ألا، أما، ها)، لا تستطيع الوفاء لهذا الأسلوب بحقه، ولا تستوعبه، لكنها جزء من جملة من الأساليب التي تؤدي وظيفة التنبيه في اللغة، وربما كان الباعث على إفرادها بهذه الوظيفة أنها أدوات لا محل لها من الإعراب، ويصح الكلام من دونها، بالإضافة لتصدرها.

أن المعاني العامة التي تدرج تحتها تلك الأدوات هي التي تقوم بدور الوظيفة التنبيهية سواء كان في هذه الأدوات أو في غيرها، فالألا و"أما" يندرجان ضمن أساليب الإنشاء الطلبية، التي تتضمن النداء والاستفهام، والأمر والنهي، والتمني، ومما يؤكد دلالة هذه الأساليب على التنبيه:

أن يا التي للنداء ترد ضمن أدوات التنبيه عند كثير من أهل اللغة وقد نص غير واحد على ذلك، فقالوا يا: حرف يرد للنداء والتنبيه، وإذا وليها ما ليس بمنادى أعربت حرف تنبيه.

الخلاف في ألا وأما من حيث بساطتها وتركيبها، فعلى قول من يراها مركبة تكون مركبة من همزة الاستفهام وحرف نفي، مما يعني إدراجها ضمن أسلوب الاستفهام، وهو من أحد أساليب الإنشاء الطلبية.

دخولها التنبيهية على أي التي لنداء المعرف بـ "ال"، فيقال يا أيها ويا أيها.

وكشف البحث أن القرآن الكريم قد استخدم هذه الأساليب ووظفها توظيفاً بديعاً للتأثير في المتلقي لهذا الكتاب العزيز، فالتنبيه لم يقتصر على معنى الطلب في تلك الأساليب، بل تجاوزها إلى مظاهر أخر نذكر منها:

أن النداء في القرآن الكريم لم يأت إلا بالأداة يا المصنفة ضمن حروف النداء، وذلك في 361 موضعاً، واستعملت صيغة "أيها" التي تضمنها التنبيهية في 143 موضعاً، وكان لتنوع المنادى دور في تعزيز التنبيه وذلك من جهة اختياره ليتناسب مع أحوال المتلقين ومضامين سور القرآن الكريم وزمن نزولها، فالنداء العام كان غالبه في مكة، ونداء الذين آمنوا كان بعد الهجرة، وغير ذلك من الفروق التي ينبه عليه اختيار المنادى.

الاستفهام خرج غالبه عن دلالاته الوضعية إلى الدلالة البلاغية التي لا تستدعي جواباً، ولم يجاوز الاستفهام الحقيقي أكثر من عشرين مثلاً من بين 1260 أسلوباً للاستفهام، وأشهر المعاني البلاغية التي خرج إليها الاستفهام هي الإنكار والتقرير، وانفردت همزة بشطر تلك الأساليب تقريباً، وشكلت مع أدوات النفي صيغاً تقرب كثيراً من أدوات التنبيه ألا وأما كصيغة: (ألا، أولاً، أفلاً، ألم، أولم، أفلم، أليس)، يضاف إليه اقترانها بأفعال تتعلق بالحواس ك رأى (أرأيت، ألم تر)، والإدراك ك عقل وعلم (ألم يعلم، أفلا يعقلون).

أما الأمر والنهي استعملا بكثرة، واختصت مجموعة من أفعالهم بنوع من التوالي والتكرار، يتناسب مع معنى السور وسياق الآيات، وأشهر أفعال الأمر في التنبيه الفعل: (قل، وانظر)، وفي النهي (لا تقرب).

التمني كانت أساليبه قليلة، فلم تتجاوز 14 موضعاً، اقترنت كلها بأداة النداء "يا" باستثناء موضعٍ واحدٍ تجرد منها، مما أكسب التمني معنى التنبيه.

كما أن البحث وصل إلى أن تتجاوز القرآن لأساليب اللغة المعهودة له دور في جلب انتباه المتلقي وإثارته، وذلك ينأتى من خلال عنصر المفاجأة التي تأتي بمخالفة أصل مستقرٍ أو معهودٍ، إما في لغة العرب أو لغة القرآن ذاته، ويجمع هذه الأساليب مصطلح العدول، والعدول يحمل في جعبته بعضاً من مظاهر إعجاز القرآن الكريم الصوتية والتركيبة بل والكتابية التي حارت بها أسماع وعقول أرباب الفصاحة والبيان.

وخلص البحث إلى أن أهم الأساليب الصوتية تأثيراً في المستمع للقرآن العظيم هي حروف الاستفتاح المسماة بالحروف المقطعة، تليها فواصل الآيات، ثم التكرار بأشكاله التي تنتهي بتكرار الآية في ذات السورة، والعدول هو من أعطى تلك الأساليب أثراً صوتية يغري المستمع بالموافاة والمتابعة، فالعدول الصوتي يستهدف حاسة السمع في التنبيه، وهو بهذه الحال يشبه إلى حدٍ كبير أداة التنبيه "ها".

وخلص البحث إلى أن طريقة القرآن الكريم في خلخلة تراكيبه وإيرادها بطريقة تثير تعجب المتلقي، هو نوع من لفت النظر إلى تلك التراكيب، وهذه الخلخلة قد تكون التقافاً في الضمائر أو زمن الفعل أو العدد، أو تكون بتقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم في اللغة أو في موضع آخر في القرآن، وقد تكون في حذف يصيب كلمة أو جملة هنا أو هناك، ووصل عدول القرآن إلى خلخلة رسم الكلمات وهذا الأخير يتعلق بحاسة البصر لا بالسمع.

وانتهى البحث إلى أن أسلوب التنبيه في القرآن الكريم هو أقرب للبلاغة من النحو، وذلك لقلة استخدامه لأدوات التنبيه النحوية والتي انحصرت في (ألاوها)، في ظل غياب (أما) بالكلية عن النص القرآني، ويمكن أن نقسم التنبيه البلاغي إلى تنبيه مباشر (الطلب)، يخاطب العقل والقلب وينبههما إلى المعنى بطلب يسبقه مباشرة أو يعقبه، وتنبيه غير مباشر يستهدف حواس المتلقي ويجذبها إلى المعنى المراد من خلال جاذبية أصواته وطريقة تركيب مفرداته وصور

كلماته، وهذي يفضي بالضرورة إلى وجود نوعين من التنبيه؛ تنبيه معنوي عقلي، وتنبيه شكلي حسي، ولا عجب أن يراعي القرآن الكريم كل جوانب التأثير في المتلقي فهو كلام رب العالمين ورسالته إلى خلقه، به تقوم حجته عليهم، وتتقطع كل معذرة لديهم.

أما التوصيات فهي:

ضرورة احترام قدسية القرآن الكريم، وعدم الخوض فيه بغير علم، وتجنب تطبيق كل النظريات الحديثة عليه ولا سيما الغربية منها إلا بالشروط والضوابط التي تحفظ له مكانته ولا تخلّ بشيء من قدره.

البحث عن أساليب التنبيه في كل سورة من سور القرآن الكريم لاحتوائها على أساليب قد تنفرد بها عن سواها من القرآن الكريم، ولم يستطع البحث أن يتداركها.

تخصيص النداء والاستفهام بدراسة تكشف عن خبايا التنبيه فيهما في اللغة وفي القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، 1939م.
3. الأنصاري، محمد أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط4، 2001م.
4. الإسفراييني، عصام الدين إبراهيم، شرح العمام على الكافية، دار الكتب العلمية، غ.ت.
5. الإسترباذي، رضي الدين، شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق طهران، 1978م.
6. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1997م.
7. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
8. بلعيد، صالح، النحو الوظيفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
9. بهنسي، عبد الموجود متولي، العدول عن النمطية في التعبير الأدبي، ط1، 1993م.
10. البيتوشي، عبد الله الكرد، كفاية المعاني في حروف المعاني، ت: شفيق برهان، دار اقرأ للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2005م.
11. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط1، 1418هـ.
12. التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، المطول شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط3، 2013م.
13. الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، دار ومكتبة الهلال بيروت، 1423هـ.

14. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة، علق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، غ.ت/ا.
15. الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ط1، 1992م/ب.
16. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، غ.ت.
17. ابن الحاجب النحوي: أبو عمرو عثمان، شرح الوافية نظم الكافية، ت: موسى بناي علوان، مطبعة الآداب بالنجف، 1980م.
18. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محي الدين خطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
19. حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط1، 1993.
20. حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، ط15، غ.ت.
21. الحسناوي، محمد، الفاصلة في القرآن، دار عمار، ط2، 2000م.
22. الحمد، غانم قدوري، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، اللجنة الوطنية، ط1، 1982م.
23. أبو حيان الأندلسي، محمد بن علي بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ت: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1993م/ا.
24. أبو حيان الأندلسي، محمد بن علي بن يوسف، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ت: حسن هندراوي، دار القلم دمشق، ط1، 2000م/ب.
25. الخطيب، طاهر يوسف، المعجم المفصل في الإعراب، مراجعة: إميل بديع يعقوب، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط4، 2007م.
26. خلوف، مصطفى شاهر، أسلوب الحذف في القرآن الكريم، دار الفكر عمان، ط1، 2009م.
27. خضر، السيد، فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2000م.
28. الداني، أبو عمرو عثمان سعيد بن عثمان بن عمر، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ت: محمد صادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، غ.ت.
29. دراز، صباح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة مصر، 1986م.

30. ديك الجن الحمصي، أبو محمد عبد السلام، ديوانه، ت: مظهر الحجى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2004م.
31. الذبياني، النابغة، ديوانه، ت: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية بيروت، ط3، 1996م.
32. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب/ التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط3، 1420هـ.
33. ربايع، موسى سامح، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار جرير، عمان، ط1، 2014م.
34. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.
35. الرواشدة، سامح، فضاءات الشعرية دراسة في ديوان أمل دنقل، المركز القومي للنشر، إربد، ط1، 1999م.
36. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل شلبي، عالم الكتاب العربي بيروت، ط1، 1988م.
37. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، ت: أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء العربية عيسى البابي الحلبي ط1، 1957م.
38. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، طبعة دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1407هـ.
39. زيان، عبد القادر، جمالية الانزياح، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2012م.
40. السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 2000م.
41. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي بيروت، غ. ت.
42. السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1987م.
43. سلطان، منير، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1988.
44. ابن أبي سلمى، زهير، ديوانه، ت: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1988م.

45. السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين، أجمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق، غ.ت.
46. ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 1982م.
47. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م/ا.
48. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ت: عبد الرحمن هنداوي، غ.ت/ب.
49. سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق بيروت - القاهرة، ط17، 1412هـ.
50. سيوييه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1988م.
51. ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد الحسني، الآمالي، تح: محمد محمود الطناحي، مكتبة الناجي القاهرة، ط1، 1992م.
52. الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، 1984م.
53. طبانة، بدوي أحمد، معجم البلاغة العربية، دار المنارة جدة، دار الرفاعي الرياض، ط3، 1988م.
54. العاكوب، عيسى علي، المفصل في علوم البلاغة، جامعة حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 2000م.
55. عباس، فضل، إعجاز القرآن، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط2، 1997م.
56. ابن العبد، طرفة، ديوانه، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط3، 2002م.
57. عبد الباقي، محمد فؤاد، المجمع المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، 1945م.
58. عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة بيروت، ط1، 2009م.
59. عتيق، عمر عبد الهادي، علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة الأردن، عمان، ط1، 2012.

60. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدا لله بن سهل بن سعيد بن يحيى، الصناعتين، ت: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت 1419هـ.
61. عظيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث القاهرة، 1981م.
62. العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية بيروت، 1423هـ.
63. علي الشيخ، عبد الشافي أحمد، ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، جامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية القاهرة، غ.ت.
64. عوض، عبد الكريم، المتحف في رسم المصحف، دار الصحابة للنشر بطنطا، ط1، 2006م.
65. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهم، الناشر: محمد علي بيضون، 1997م/ا، ط1.
66. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م/ب.
67. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي/محمد علي النجار/ عبد الفتاح الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، غ.ت.
68. فياض، سليمان، النحو العصري دليل مبسط لقواعد اللغة العربية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1995م.
69. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.
70. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرحه: السيد أحمد الصقر، دار الكتب العلمية بيروت، ط3، 1981م.
71. القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، المعروف بخطيب دمشق، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت، ط3، غ.ت.
72. القيسي، عودة الله منيع، سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن الكريم، دار البشير عمان، ط1، 1996م.

73. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م.
74. الكردي، محمد طاهر عبد القادر، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط2، 1953م.
75. ابن كلثوم، عمرو، ديوانه، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1، 1991م.
76. اللبدي، عبد الرؤوف سعيد عبد الغني، همزة الاستفهام في القرآن الكريم، عمان الأردن، 1992م.
77. ابن مالك، محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، ت: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي، ط1، غ.ت.
78. المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ت: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، غ.ت.
79. محمد خان، اللهجات العربية والقراءات القرآنية دراسة في البحر المحيط، دار الفجر للنشر والتوزيع، المغرب، 2002م.
80. المرادي، الحسن بن القاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، ت: د. فخر الدين قباوة/ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1992م.
81. مرتاض، عبد الجليل، اللغة والتواصل، دار هومة الجزائر، ط1، 2003م.
82. المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، غ.ت.
83. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، غ.ت.
84. المصري، فتح الله صالح، الأدوات المفيدة للتنبيه في كلام العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، غ.ت.
85. المصطاوي، عبد الرحمن، ديوان امرئ القيس، دار المعرفة بيروت، ط2، 2004م.
86. المطعني، عبد العظيم، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، مكتبة وهبة القاهرة، ط3، 2011م.
87. مطلوب، أحمد، بحوث لغوية، دار الفكر، عمان، ط1، 1987م.
88. ابن الملح، قيس، ديوانه، ت: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1999م.

89. ابن منظور، أبو الفضل محمد بم مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر بيروت، 1993م.
90. أبو موسى، محمد محمد، خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1996م/ا.
91. أبو موسى، محمد محمد، دلالات التركيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 1987م/ب.
92. ابن نبي، مالك بن الحاج عمر، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر بيروت، ط4، 2000.
93. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ت: مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، دار الفكر دمشق، ط6، 1985م.
94. ابن يعقوب المغربي، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ت: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية بيروت، غ.ت.
95. ابن يعيش، موفق الدين بن علي، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، غ.ت.

الرسائل والأطروحات الجامعية:

96. الأشقر، محمد أحمد، أسلوب النهي في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2007م.
97. الأنصاري، يوسف عبد الله، أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم، ماجستير، أم القرى، 1990م.
98. ريان، أسماء طارق، الحروف المقطعة في فواتح السور القرآنية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 2017م.
99. زدام، سعاد، دلالة الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم النداء أنموذجاً، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2019/2018.
100. أبو سبيب، آمنة محمد علي، همزة الاستفهام الداخلة على لم ولا النافيتين للمضارع في القرآن الكريم، ماجستير، جامع أم درمان، 2011م.
101. سومية، مسلم، الوظيفة التواصلية لحروف التنبيه في اللغة العربية، (ماجستير)، جامعة وهران، 2012.2011.

102. شريف البلخي، محمد إبراهيم محمد، أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم، دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، 2007م.
103. صالح، حبيب الله عبد الرحيم محمد، أحرف التنبيه في القرآن الكريم، ماجستير، جامعة أم درمان، 2009م.
104. النوري، أحمد غالب، أسلوبيّة الانزياح في النص القرآني، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة 2008م.

البحوث والمقالات:

105. بشير، محمد، الأمر ومعانيه في القرآن الكريم، الإيضاح، المجلد 29، العدد 2، ديسمبر 2014، 290-328.
106. التركي، إبراهيم منصور، العدول في البنية التركيبية قراءة في التراث البلاغي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد 19، العدد 40، ربيع الأول 1428هـ، 546-612.
107. تريكي، مبارك، النداء بين النحويين والبلاغيين، حوليات التراث، العدد: 7 / 2007م، 135-147.
108. زيان، ليلي، عملية التواصل اللغوي عند رومان جاكسون، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، العدد 1، 2016م، 88-102.
109. سعداني، سليم، من دلالات العدول الصوتي في الفاصلة القرآنية سورة الضحى أنموذجاً، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، 2017م، المجلد 9، العدد 2، 7-15.
110. الشلوي، بريكان سعد، التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مجلة جامعة الطائف، المجلد 1، العدد 4، 2010، 249-290.
111. صادق، فاطمة الزهراء، التواصل اللغوي ووظائف عملية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، مجلة الأثر، العدد 28، 2017م، 51-60.
112. عبد الكريم، حاقّة، الوظائف اللغوية وتطبيقاتها في القرآن الكريم، المنهل، 2019م، المجلد: 5، العدد: 1، 31-60.
113. العبد، محمد السيد سليمان، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، المجلة العربية للعلوم الإسلامية، المجلد 9، العدد 36، 1989م، 72-111.

114. محمد، عبد الفتاح، التنبيه في اللغة، جامعة البعث، حمص، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، العدد 61، 2002م، 47-11.
115. مرتضى قائمى، إسماعيل يوسفى، جواد محمد زاده، أسلوبية الانزياح في سورة الحديد، إضاءات نقدية، السنة 6، العدد 24، كانون الأول 2016م، 73-40.
116. الهيشري، الشاذلي، الالتفات في القرآن الكريم، حوليات الجامعة التونسية، العدد 32، 1991م، 172-131.

